مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية
سلسلة الأدلة والكشافات

ملف رقم (١٢٩)

التكشيف الاقتصادي للتراث

الزكاة (٣٠)

موضوع رقم (١٠٥)

إعداد
الدكتور / أحمد جابر بدران
إشراف
أ . د / علي جمعة محمد

فهرس محتويات ملف (١٢٩)

الزكاة (٣١) موضوع (١٠٥)

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم

١- قوله عالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٣] قال ابن عباس: زكاة أموالهم. وقال ابن مسعود: نفقة الرجل على أهله، وهذا قبل أن تنزل الزكاة جـ١ ص٤٢.

٢- قال الضحاك: كانت النفقات قرباناً يتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات في سورة براءة جـ ١ ص٤٢.

٣- في قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٣] اختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات جـ ١ ص٤٢.

٤- يرى المؤلف أنه كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال. فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٣].

٥- قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله - إلى أن قال وإيتاء الزكاة.. الحديث جـ ١ ص٤٢.

٦- في قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۝ ﴾ [البقرة: ٤٣] أمرهم أن يدفعوا الزكاة إلى النبي ﷺ، وفي رواية الزكاة هنا صدقة الفطر جـ ١ ص٨٤، ٨٥.

٧- عن فاطمة بنت قيس قالت: قال رسول الله ﷺ في المال حق سوى الزكاة جـ ١ ص٢٠٨.

٨- اقتران الزكاة بالصلاة في الآيات القرآنية جـ ١ ص١١٩، ١٢٠، ١٥٣، ١٥٤، ٥٢٥، جـ٢ ص٦٩، ٧١، ٢٨٦، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٦٩، ٥١٠، جـ٣ ص١٨٤، جـ٣ ص١٨٥، ٢٢٦، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٥، ٤٨٢، ٤٨٨، ٥٥١، جـ٤ ص٣٢٦.

٩- نهى رسول الله ﷺ أن يؤخذ في الصدقة لونان من التمر، الجعرور والحبه (أنواع رديئة يابسة) جـ١ ص٣٢١.

١٠- قال رسول الله ﷺ: أن الذي لا يؤدي زكاة ماله يمثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان ثم يلزمه يطوقه يقول: أنا مالك أنا كنزك جـ ١ ص٤٣٢، ٤٣٣.

١١- قال رسول الله ﷺ: ألا أن أولياء الله المصلون -إلى أن قال: ويعطى زكاة ماله يحتسبها... الحديث جـ ١ ص٤٨١.

١٢- امتناع المرتدين عن أداء الزكاة جـ ١ ص٥٤٨، جـ٢ ص٣٣٦، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤٠٢.

١٣- في قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۝ ﴾ [الأنعام: ١٤١] هي الزكاة المفروضة. وقيل: كانوا يعطون شيئ سوى الزكاة جـ٢ ص١٨١.

١٤- في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ۝ ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال ابن عمر: الكنز هو المال الذي لا تؤدى زكاته، وكان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهر للأموال جـ ٢ ص٣٥٠.

١٥- في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ۝ ﴾ [التوبة: ١٠٣] أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة ويطهرهم ويزكيهم بها، ولهذا اعتقد بعض ما نعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام جـ ٢ ص٣٨٥.

١٦- في قوله تعالى: ﴿ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ۝ ﴾ [إبراهيم: ٣١] أن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكاة والنفقة على القرابة والإحسان إلى الأجانب جـ٢ ص٥٣٩.

١٧- في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ۝ ﴾ [الحجرات: ٦] نزلت في الوليد بن عقبة حين بعثه الرسول ﷺ على صدقات بني المطلق، فرجع وزعم أنهم منعوا الزكاة وأرادوا قتله جـ٤ ص٢٠٨-٢١٠.

١٨- الرسول ﷺ يستعمل الحارث بن أبي ضرار على زكاة قومه جـ ٤ ص٢٠٩.

١٩- في قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ ﴾ [الذاريات: ١٩] يعني الزكاة والبر والصلة جـ ٤ ص٢٣٤.

٢٠- عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه زكاة فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت جـ ٤ ص٢٧٣.

٢١- في قوله تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝ ﴾ [الماعون: ٧] قال مجاهد: الماعون يعني الزكاة جـ ٤ ص٥٥٥، ٥٥٦.

٢٢- قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ۝ ﴾ [البقرة: ١٧٧] أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر جـ١ ص٢٠٨.

٢٣- في قوله تعالى: ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ۝ ﴾ [البقرة: ١٧٧] قرابات الرجل، وهم أولى من أعطى من الصدقة جـ ١ ص٢٠٨.

٢٤- ثبت فى الحديث: الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة، فهم أولى الناس بك وببرك واعطائك جـ ١ ص٥١٤ .

٢٥- قال رسول الله ﷺ: ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فتصدق عليه ٣٢٥، جـ٤ ص٢٣٤ .

٢٦- ﴿ السَّائِلِينَ (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١٧٧] هم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكاة والصدقات جـ ٤ ص٢٠٨ .

٢٧- الأصناف الذين تحق لهم الصدقات فى قوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١٧٧] جـ ٤ ص ٢٠٧-٢٠٩ .

٢٨- قال رسول الله ﷺ: للسائل حق وان جاء على فرس جـ ٤ ص٢٠٨، جـ٤ ص٢٣٤ .

٢٩- قال رسول الله ﷺ: خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول جـ ٤ ص٢٥٦ .

٣٠- لما نزلت الآية: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا (٢٤٥) ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، (الحديد: ١١) تصدق أبو الدحداح الأنصارى بحائط له فيه ستمائة نخلة جـ ٤ص٢٩٩، جـ٤ ص٣٠٧ .

٣١- قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا (٢٦٢) ﴾ [البقرة: ٢٦٢] يمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون فى سبيله ثم لا يمنون على ما أنفقوا من الخيرات والصدقات، لا بقول ولا فعل.

٣٢- قال رسول الله ﷺ: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى، والله غنى جـ ٤ ص٣١٨ .

٣٣- قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة - إلى أن قال: والمنان بما أعطى . . جـ ٤ ص٣١٨ .

٣٤- نهى رسول الله ﷺ عن المن فى الصدقة جـ١ ص٣١٨ .

٣٥- فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى (٢٦٤) ﴾ [البقرة: ٢٦٤] أخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى جـ ١ ص٣١٨ .

٣٦- فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ (٢٦٧) ﴾ [البقرة: ٢٦٧] المراد به الصدقة . وقال مجاهد: يعنى التجارة . وقال السدى: يعنى الذهب والفضة ومن الثمار والزروع جـ ١ ص٣٢٠ .

٣٧- فى قوله تعالى: ﴿ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ (٢٦٧) ﴾ [البقرة: ٢٦٧] نهى عن الصدقة بالأنواع الرديئة من التمر كما كان يفعل بعض الأنصار جـ ١ ص٣٢٠ .

٣٨- قال رسول الله ﷺ فى المساكين: لا تطعموهم مما لا تأكلون جـ ١ ص٣٢١ .

٣٩- فى قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ (٢٧١) ﴾ [البقرة: ٢٧١] دلالة على أن أسرار الصدقة أفضل من اظهارها، لانه أبعد عن الربا جـ ١ ص٣٢٢ .

٤٠- قال رسول الله ﷺ: سبعة يظللهم الله فى ظله -إلى أن قال: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه جـ ١ ص٣٢٢، جـ٢ ص٤٧٧، جـ٣ ص٤٨٨ .

٤١- فى الحديث المروى: صدقة السر تطفيء غضب الرب جـ٣ ص٣٢٣ .

٤٢- فى قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ (٢٧١) ﴾ [البقرة: ٢٧١] قيل أنزلت فى أبى بكر وعمر. أما عمر فجاء بنصف ما له، وأما أبو بكر فجاء بماله كله جـ ٣ ص٣٢٣ .

٤٣- فى قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ (٢٧١) ﴾ [البقرة: ٢٧١] قال ابن عباس: جعل الله صدقة السرف ى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفًا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفًا جـ١ ص٣٢٣ .

٤٤- فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ (٢٧٢) ﴾ [البقرة: ٢٧٢] قال ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بالا يتصدق الا على أهل الإسلام حتى نزلت الآية جـ ١ ص٣٢٣ .

٤٥- حث الرسول ﷺ على الصدقات جـ ١ ص٢٢٤، جـ٢ ص٢١٩ .

٤٦- قال رسول الله ﷺ: من سال وله قيمة أوقية فهو ملحف جـ ٢ ص٣٢٥ .

٤٧- فى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً (٢٧٤) ﴾ [البقرة: ٢٧٤] مدح منه تعالى للمنفقين فى سبيله وابتغاء مرضاته فى جميع الأوقات جـ ٢ ص٣٢٥ .

٤٨- قال رسول الله: أن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها، كانت له صدقة جـ ٢ ص٣٢٦ .

٤٩- فى قوله تعالى: ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (٢٧٦) ﴾ [البقرة: ٢٧٦] قال رسول الله ﷺ: من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله الا الطيب، فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها . . . الحديث جـ ٢ ص٣٢٩، ٣٣٠، جـ٢ ٣٨٦، جـ٣ ص٤٣٤ .

٥٠- قال رسول الله ﷺ: من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة جـ ٢ ص٣٣١-٣٣٣ .

٥١- كان أبو طلحة الأنصارى أكثر الأنصار بالمدينة ما لا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء فلما نزل قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (٩٢) ﴾ [آل عمران: ٩٢] جعلها صدقة لله تعالى .

٥٢- عمر بن الخطاب يتصدق على المسلمين بسهمه من خيبر جـ١ ص٣٨١ .

٥٣- جاء فى الحديث : ما خالطت الصدقة مالا إلا أفدته جـ ١ ص٤٥٦ .

٥٤- فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤١] قيل معناه لا تسرفوا فى الأعطاء فتعطوا فوق المعروف . وفى رواية : لا تمنعوا الصدقة فتغضبوا ربكم جـ٢ ص١٨٢ .

٥٥- قال رسول الله ﷺ : كلوا وتصدقوا والسوا فى غير اسراف ولا مخيلة جـ ٢ ص٢١٠ .

٥٦- فى قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال ابن عباس : خذ ما عفا لك من أموالهم وما أتوك به . وكان هذا قبل أن تنزل «براءة» بفرائض الصدقات، وما انتهت إليه الصدقات جـ ٢ ص ٢٧٧ .

٥٧- الاصناف الذين تجب فيهم الصدقات فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠] جـ ٢ ص٣٦٤- ٣٦٦ .

٥٨- قال رسول الله ﷺ : لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى جـ ٢ ص٣٦٤ .

٥٩- قال رسول الله ﷺ : أن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، أنما هى أوساخ الناس جـ ٢ ص٣٦٥ .

٦٠- قال رسول الله ﷺ : لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة : العامل عليها، أو رجل اشتراها بماله، أو غارم، أو غاز فى سبيل الله، أو مسكين تصدق عليه منها فاهدى لغنى جـ ٢ ص٣٦٦ .

٦١- قال رسول الله ﷺ : من يتصدق بصدقة، أشهد له بها يوم القيامة جـ٣ ص٣٧٥ .

٦٢- فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة: ٧٩] قال ابن عباس : نزلت بعبد الرحمن بن عوف جاء بأربعين أوقية ذهب إلى رسول الله ﷺ، وجاءه رجل من الانصار باع من طعام فقال بعض المنافقين : والله ما جاء عبد الرحمن بن عوف بما جاء به الآرياء، فنزلت جـ ٣ ص٣٧٥، ٣٥٦ .

٦٣- نفقات عثمان بن عفان على تجهيز جيش العسرة جـ ٣ ص٤٠٠ .

٦٤- فى قوله تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦] ذكر الاحسان إلى القرابة وصلة الأرحام جـ٣ ص٣٦ .

٦٥- رسول الله ﷺ : من أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أجله، فليصل رحمه جـ ٣ ص٣٦ .

٦٦- لما نزلت الآية : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦] دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك جـ ٣ ص٣٦ .

٦٧- فى قوله تعالى : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الروم: ٣٨] أى من البر والصلة جـ ٣ ص٤٣٤ .

٦٨- فى قوله تعالى : ﴿ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الصدقة هى الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم .

٦٩- قال رسول الله ﷺ : الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار جـ ٣ ص٤٨٨ .

٧٠- فى قوله تعالى : ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [ق: ٢٥] أى لا يؤدى ما عليه من الحقوق، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة جـ٤ ص٢٢٦ .

٧١- أبو بكر الصديق رضى الله عنه ينفق ما له قبل الفتح على رسول الله ﷺ جـ٤ ص٣٠٧ .

٧٢- فى قوله تعالى : ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴿١٢﴾ ﴾ [المجادلة: ١٢] يأمر الله عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم مناجاة الرسول ﷺ أن يتصدق قبل ذلك صدقة تطهره وتزكيه جـ ٤ ص٣٢٦، ٣٢٧ .

٧٣- فى قوله تعالى : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [المجادلة: ١٣] أى خفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجا الرسول ﷺ جـ ٤ ص٢٢٦، ٢٢٧ .

٧٤- قالر رسول الله ﷺ : أفضل الصدقة جهد النقل جـ ٤ ص٣٣٨ .

٧٥- فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥] أى فى أموالهم نصيب مقرر لذوى الحاجات جـ ٤ ص٤٢٢ .

٧٦- فى قوله تعالى : ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠] يعنى فى الصدقات، فإن الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء .

٧٧- قال رسول الله ﷺ : أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر جـ ٤ ص٤٥٤ .

٧٨- قال رسول الله ﷺ : كل معروف صدقة جـ ٤ ص٥٥٦ .

الكرابيسى، الفروق

١- إذا ظهر الخوارج على بلد فيه أهل العدل، فأخذوا منهم ثدقة أموالهم، ثم ظهر عليهم الأمام حسبها لهم جـ١ ص٦٩ .

٢- لو مر المسلمون على عاشر الخوارج، فأخذ منهم العشر، لم يحسبها لهم عاشر أهل العدل جـ١ ص٧٠.

٣- رجل له ألف درهم، فحال عليها الحول، فاشترى بها عبداً للتجارة، سقطت الزكاة عنه، ولو اشترى عبداً للخدمة لم تبطل جـ ١ ص٧٠.

٤- رجل له على إنسان ألف درهم، فتصدق بشيء منها عليه، ينوى أن يكون من زكاة ماله، جاز عن زكاة هذا الدين، ولا يجوز عن زكاة دين آخر ولا عن عين جـ ١ ص٧١.

٥- إذا مر المسلم على العاشر بمال مرة أخذ منه العشر، فلو مر بذلك المال ثانيًا لا يأخذ منه شيئا جـ١ ص٧٢.

٦- إذا مر الحربى على العاشر فى السنة مرات، أخذ منه كل مرة عشراً جـ١ ص٧٢.

٧- إذا وهب الإنسان ألف درهم، ثم رجع فيها بعد ما حال الحول عليه، سقطت الزكاة عن الموهوب له جـ١ ص٧٤.

٨- لو باع الإنسان شيئًا بألف درهم وقبض الثمن، ثم استحق المبيع فارتجع الألف منه، وقد كان حال الحول عليه فى يديه، لم تسقط الزكاة عنه جـ١ ص٧٤.

٩- يجوز لشخص دفع خمس الركاز إلى أولاده، ولا يجوز دفع العشر جـ١ ص٧٥.

١٠- إذا تزوج رجل امرأة على ألف درهم، ثم طلقها قبل الدخول بها بعد ما حال الحول، فارتجع منها نصفها، لم تسقط عنها الزكاة جـ١ ص٧٧.

١١- إذا اشترى المضارب بمال المضاربة طعامًا للعبيد فحال الحول عليه ففيه الزكاة جـ١ ص٧٧.

١٢- لو اشترى رب المال طعامًا لعبيده لا يكون للتجارة الا بالنية جـ١ ص٧٨.

١٣- الزكاة تجب فى الدراهم والدنانير ينوى بها التجارة أو لم ينو، ولا تجب الزكاة فى العروض إلا بنية التجارة جـ١ ص٧٨.

١٤- تجب الزكاة فى المال لكونه معرضًا للنماء، والنماء لا يحصل إلا باليوم أو التجارة، فإذا لم يعرض لواحد منهما لم تجب الزكاة جـ١ ص٧٨.

١٥- الصباغ إذا اشترى العصفر والزعفران ليصبغ باب الناس بالأجرة فحال الحول عنده لزمته زكاة التجارة جـ١ ص٧٩.

١٦ - إذا اشترى القصار الاشنان والصابون والحطب والملح فلا زكاة فيها جـ١ ص٧٩.

١٧- عبد للتجارة قتله عبد آخر خطأ فدفع مكانه، فالثانى للتجارة، ولو قتل عمداً وصالح من دم العمد على عبد وعرض فليس للتجارة جـ١ ص٧٩، ٨٠، ٨٥.

١٨- رجل له مال نوى أن يؤدى الزكاة عنه، وجعل يتصدق إلى آخر السنة ولا تحضره النية فإنه لا يجزيه جـ١ ص٨٠.

١٩- النية من الزكاة شرط جـ١ ص٨٠.

٢٠- ما يأخذه العاشر من الحربى ليس على وجه الزكاة، وانما يؤخذ منه للكف عن الغنيمة وتغنم ما فى يده على وجه المجازاة جـ١ ص٨٢.

٢١- إذا استخرج الحربى المستأمن معدنا فى دار الإسلام بغير إذن الإمام كان لبيت المال ولا شيء له. وأن عمل بإذن الأمام أخذ منه الخمس والباقى له.

٢٢- إذا وجب فى مال الرجل أربع شياه، فادى ثلاثًا سمانا تساوى أربعًا جاز جـ١ ص٨٦.

٢٣- لو مر المستأمن على العاشر بمال فأخذ منه العشر لم يصر ذمياً جـ١ ص٣٤٤.

٢٤- لا يؤخذ العسر من أهل الذمة، لأن الذمى يؤخذ منه نصف العشر ويؤخذ من الحربى العشر كاملاً جـ١ ص٣٤٤.

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين

أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]

وصححها نخبة من العلماء

طبع بدار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

والوحى ينزل عليهم ؟» قالوا فنحن قال «وما لكم لاتؤمنون وأنا بين أظهركم» قال فقال رسول الله ﷺ «ألا إن أعجب الخلق إلىّ إيمانا لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها » قال أبو حاتم الرازى : للمغيرة بن قيس البصرى منكر الحديث (قلت) ولكن قد روى أبو يعلى فى مسنده وابن مردويه فى تفسيره والحاكم فى مستدركه من حديث محمد بن حميد ـ وفيه ضعف ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا والله أعلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن محمد المسندى حدثنا إسحاق بن إدريس أخبرنى إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصارى أخبرنى جعفر بن محمود عن جدته بديلة بنت أسلم قالت صليت الظهر أو العصر فى مسجد بنى حارثة فاستقبلنا مسجد ايلياء فصلينا سجدتين ثم جاءنا من يخبرنا أن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام قال إبراهيم فحدثنى رجال من بنى حارثة أن رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك قال « أولئك قوم آمنوا بالغيب » هذا حديث غريب من هذا الوجه

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

قال ابن عباس ويقيمون الصلاة أى يقيمون الصلاة بفروضها وقال الضحاك عن ابن عباس إقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها ، وقال قتادة إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وقال مقاتل بن حيان إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبى ﷺ فهذا إقامتها .

وقال على بن أبى طلحة وغيره عن ابن عباس (ومما رزقناهم ينفقون) قال زكاة أموالهم ، وقال السدى عن أبى مالك وعن ابى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ (ومما رزقناهم ينفقون) قال نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة وقال جويبر عن الضحاك كانت النفقات قربانا يتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات فى سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن الناسخات المثبتات وقال قتادة (ومما رزقناهم ينفقون) فأنفقوا مما أعطاكم الله ، هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم يوشك أن تفارقها

واختار ابن جرير أن الآية عامة فى الزكاة والنفقات فانه قال وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللازم لهم فى أموالهم مؤدين ـ زكاة كانت ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل أو عيال وغيرهم ممن يجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك لأن الله تعالى عم وصفهم ومدحهم بذلك وكل من الانفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه (قلت) كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والانفاق من الأموال فان الصلاة حق الله وعبادته وهى مشتملة على توحيده والثناء عليه وتمجيده والابتهال إليه ودعائه والتوكل عليه ، والانفاق هو من الاحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدى إليهم ، وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك ، ثم الأجانب فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل فى قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون) ولهذا ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » والأحاديث فى هذا كثيرة وأصل الصلاة فى كلام العرب الدعاء . قال الأعشى

لها حارس لايبرح الدهر بيتها * وإن ذبحت صلى عليها وزمزما

وقال أيضاً : وقابلها الريح فى دنها * وصلى على دنها وارتسم

أنشدهما ابن جرير مستشهدا على ذلك . وقال الآخر وهو الأعشى أيضا :

تقول بنتى وقد قربت مرتحلا * يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذى صليت فاغتمضى * نوما فان لجنب المرء مضطجعا

يقول عليك من الدعاء مثل الذى دعيته لى . وهذا ظاهر ثم استعملت الصلاة فى الشرع فى ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة فى الأوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة . قال ابن جرير وأرى أن الصلاة سميت صلاة لأن المصلى يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجاته وقيل هى مشتقة من الصلوين إذا تحركا فى الصلاة عند الركوع والسجود وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفان عجب الذنب ومنه سمى المصلى وهو التالى للسابق فى حلبة الخيل ، وفيه نظر . وقيل هى مشتقة من الصلى وهو الملازمة للشىء من قوله تعالى (لا يصلاها) أى لايلزمها ويدوم فيها (إلا الأشقى) وقيل مشتقة من تصلية الخشبة فى النار لتقوّم كما أن المصلى يقوّم عوجه بالصلاة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر والله أعلم .

وأما الزكاة فسيأتى الكلام عليها فى موضعه إن شاء الله تعالى

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

قال ابن عباس والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك أى يصدقون بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لايفرقون بينهم ولا يجحدون ماجاءوهم به من ربهم وبالآخرة هم يوقنون أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان وإنما سميت الآخرة لأنها بعد الدنيا وقد اختلف المفسرون فى الموصوفين هنا ، هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ومن هم : على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير أحدها أن الموصوفين أولا هم الموصوفون ثانيا وهم كل مؤمن مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم قاله مجاهد وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ، والثانى هما واحد وهم مؤمنو أهل الكتاب وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى) وكما قال الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

فعطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد والثالث أن الموصوفين أولا مؤمنو العرب والموصوفون ثانيا بقوله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) لمؤمنى أهل الكتاب نقله السدى فى تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود واناس من الصحابة واختاره ابن جرير رحمه الله ويستشهد لما قال بقوله تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الآية وبقوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) وبما ثبت فى الصحيحين من حديث الشعبى عن أبى بردة عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها» وأما ابن جرير فما استشهد على صحة ماقال إلا بمناسبة وهى ان الله وصف فى أول هذه السورة المؤمنين والكافرين فكما انه صنف الكافرين إلى صنفين كافر ومنافق فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين عربى وكتابى (قلت) والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثورى عن رجل عن مجاهد ورواه غير واحد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انه قال : أربع آيات من أول سورة البقرة فى نعت المؤمنين وآيتان فى نعت الكافرين وثلاثة عشر فى المنافقين فهذه الآيات الأربع عامات فى كل مؤمن اتصف بها من عربى وعجمى وكتابى من إنسى وجنى وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى

عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة » فأما تعليم العلم بأجرة فان كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله فان لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتعين عليه وإذا لم يتعين عليه فانه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد في قصة اللديغ « إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » وقوله في قصة المخطوبة « زوجتكها بما معك من القرآن » فأما حديث عبادة بن الصامت أنه علم رجلا من أهل الصفة شيئا من القرآن فأهدى له قوسا فسأل عنه رسول الله ﷺ فقال « إن أحببت أن تطوق بقوس من نار فاقبله » فتركه رواه ابو داود وروى مثله عن أبي ابن كعب مرفوعا فان صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء منهم ابو عمر بن عبد البر على انه لما علمه الله لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة فانه يصح كما في حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة والله أعلم وقوله (وإياى فاتقون) قال ابن أبي حاتم حدثنا ابو عمر الدوري حدثنا ابو إسماعيل المؤدب عن عاصم الأحول عن ابي العالية عن طلق بن حبيب قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ومعنى قوله (وإياى فاتقون) انه تعالى يتوعدهم فيما يتعمدونه من كتمان الحق وإظهار خلافه ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

يقول تعالى ناهياً لليهود عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل . وتمويهه به وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) فنهاهم عن الشيئين معا وأمرهم باظهار الحق والتصريح به ولهذا قال الضحاك عن ابن عباس ـ ولا تلبسوا الحق بالباطل ـ لا تخلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب ، وقال ابو العالية ـ ولا تلبسوا الحق بالباطل ـ يقول ولا تخلطوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله من امة محمد ﷺ ويروى عن سعيد بن جبير والربيع بن أنس نحوه وقال قتادة (ولا تلبسوا الحق بالباطل) ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وأنتم تعلمون أن دين الله الاسلام وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله . وروى عن الحسن البصري نحو ذلك وقال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) اى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وانتم تجدونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم وروى عن أبي العالية نحو ذلك وقال مجاهد والسدى وقتادة والربيع بن أنس (وتكتموا الحق) يعني محمداً ﷺ (قلت) وتكتموا يحتمل أن يكون مجزوما ويحتمل أن يكون منصوبا اى لا تجمعوا بين هذا وهذا كما يقال لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، قال الزمخشري وفي مصحف ابن مسعود وتكتمون الحق أى في حال كتمانكم الحق وانتم تعلمون حال أيضا ، ومعناه وانتم تعلمون الحق ويجوز ان يكون المعنى وانتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم الى النار إن سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق لتروجوه عليهم والبيان الايضاح وعكسه الكتمان وخلط الحق بالباطل (وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة واركعوا مع الراكعين) قال مقاتل قوله تعالى لأهل الكتاب (وأقيموا الصلاة) امرهم ان يصلوا مع النبي ﷺ (وآتوا الزكاة) امرهم ان يؤتوا الزكاة اى يدفعونها الى النبي ﷺ (واركعوا مع الراكعين) امرهم ان يركعوا مع الراكعين من امة محمد ﷺ يقول كونوا معهم ومنهم وقال على بن طلحة عن ابن عباس يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص ، وقال وكيع عن ابي جناب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وآتوا الزكاة قال ما يوجب الزكاة قال مائتان فصاعدا ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله

تعالى (وآتو الزكاة) قال فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالصلاة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن أبي حيان التيمي عن الحارث العكلي في قوله تعالى (وآتوا الزكاة) قال صدقة الفطر وقوله تعالى (واركعوا مع الراكعين) أي وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك وأكمله الصلاة . وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة ، وأبسط ذلك في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى ، وقد تكلم القرطبي على مسائل الجماعة والامامة فأجاد .

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى كيف يليق بكم يامعشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير ان تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم . فتنتبهوا من رقدتكم . وتتبصروا من عمايتكم . وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون فعيرهم الله عز وجل وكذلك قال السدى وقال ابن جريج (أتأمرون الناس بالبر) أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة وقال محمد بن إسحق عن محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتنسون أنفسكم) أي تتركون أنفسكم (وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى اليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي ، وقال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية يقول أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد ﷺ وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة وتنسون أنفسكم ، وقال أبو جعفر بن جرير حدثني على بن الحسن حدثنا أسلم الحرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن أيوب السختياني عن أبي قلابة في قول الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب) قال أبو الدرداء رضي الله عنه لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق فقال الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له فان الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية فانه لا حجة لهم فيها ، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، قال مالك عن ربيعة سمعت سعيد بن جبير يقول لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر . قال مالك وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء ؟ (قلت) لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فانه ليس من يعلم كمن لا يعلم ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي والحسن بن على العمري قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا على بن سليمان الكلبي حدثنا الأعمش عن أبي تميمة الهجيمي عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه » هذا حديث غريب من هذا الوجه *

القرآن المهيمن على ماقبله من الكتب الذى انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة فى الدنيا والآخرة ونسخ به كل ماسواه من الكتب قبله وآمن بانبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله (وآتى المال على حبه) أى أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيدبن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة مرفوعا « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » وقد روى الحاكم فى مستدركه من حديث شعبة والثورى عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « (وآتى المال على حبه) أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح والله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ماهم محبون له وقوله (ذوى القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت فى الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وببرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان اليهم فى غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عن رسول الله ﷺ قال : « لايتم بعد حلم » (والمساكين) وهم الذين لايجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس المسكين بهذا الطوّاف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » (وابن السبيل) وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى مايوصله إلى بلده وكذا الذى يريد سفرا فى طاعة فيعطى ما يكفيه فى ذهابه وإيابه ويدخل فى ذلك الضيف كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال . ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها ـ قال عبد الرحمن حسين بن على ـ قال قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود (وفى الرقاب) وهم المكاتبون الذين لايجدون ما يؤدونه فى كتابتهم وسيأتى الكلام على كثير من هذه الأصناف فى آية الصدقات من براءة إن شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبى حمزة عن الشعبى حدثتنى فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله ﷺ أفى المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا على (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبى حمزة عن الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت . قال رسول الله ﷺ « فى المال حق سوى الزكاة » ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ـ إلى قوله ـ وفى الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذى وضعف أبا حمزة ميمونا الأعور وقد رواه سيار وإسماعيل بن سالم عن الشعبى وقوله (وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة فى أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم فى الحديث عن فاطمة بنت قيس أن فى المال حقا سوى الزكاة والله أعلم

وقوله (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) كقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وعكس هذه الصفة النفاق كما صح فى الحديث « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى الحديث الآخر « وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » وقوله (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) أى فى حال الفقر وهو البأساء ، وفى حال المرض والأسقام وهو الضراء (وحين البأس) أى فى حال القتال والتقاء الأعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمدانى ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم وإنما نصب (الصابرين) على المدح والحث على الصبر فى هذه الأحوال لشدته وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان : وقوله (أولئك الذين صدقوا) أى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا فى إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبى بالأقوال والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا (وأولئك هم المتقون) لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰأُولِى الْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى كتب عليكم العدل فى القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم ، وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة فى الجاهلية وقهروهم فكان إذا قتل النضرى القرظى لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظى النضرى قتل وإن فادوه فدوه بمائتى وسق من التمر ضعف دية القرظى فأمر الله بالعدل فى القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) وذكر فى سبب نزولها ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) يعنى إذا كان عمدا الحر بالحر وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر فى العدة والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم وللمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) منها منسوخة نسختها النفس بالنفس : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (والأنثى بالأنثى) وذلك أنهم كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأنزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الأحرار فى القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم فى النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد فى النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم وكذلك روى عن أبى مالك أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس

﴿ مسئلة ﴾ ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة وإليه ذهب الثورى وابن أبى ليلى وداود وهو مروى عن علىّ وابن مسعود وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعى وقتادة والحكم قال البخارى وعلى بن المدينى وإبراهيم النخعى والثورى فى رواية عنه ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه » وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لأن العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب

والفراء قال (واليتامى) وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء والمساكين الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم وسيأتى الكلام على هذه الأصناف عند آية النساء التى أمرنا الله تعالى بها صريحا فى قوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) الآية وقوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) أى كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا ويدخل فى ذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن البصرى فى قوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) فالحسن من القول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنا كما قال الله وهو كل خلق حسن رضيه الله

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا أبو عامر الخراز عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « لا تحقرن من المعروف شيئا وإن لم تجد فالق أخاك بوجه منطلق » وأخرجه مسلم فى صحيحه والترمذى وصححه من حديث أبى عامر الخراز واسمه صالح بن رستم به وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل فجمع بين طرفى الإحسان الفعلى والقولى ، ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلاة والزكاة فقال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وأخبر أنهم تولوا عن ذلك كله أى تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به إلا القليل منهم وقد أمر الله هذه الأمة بنظير ذلك فى سورة النساء بقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) فقامت هذه الأمة من ذلك بما لم تقم به أمة من الأمم قبلها ولله الحمد والمنة . ومن النقول الغريبة ههنا ما ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره حدثنا أبى حدثنا محمد بن خلف العسقلانى حدثنا عبدالله بن يوسف يعنى التنيسى حدثنا خالد بن صبيح عن حميد بن عقبة عن أسد بن وداعة أنه كان يخرج من منزله فلا يلقى يهوديا ولا نصرانيا إلا سلم عليه فقيل له : ما شأنك تسلم على اليهودى والنصرانى ؟ فقال : إن الله تعالى يقول (وقولوا للناس حسنا) وهو السلام . قال وروى عن عطاء الخراسانى نحوه (قلت) وقد ثبت فى السنة أنهم لا يبدءون بالسلام والله أعلم

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى منكرا على اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله ﷺ بالمدينة وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج ، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا فى الجاهلية عباد أصنام ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودى أعداءه ، وقد يقتل اليهودى الآخر من الفريق الآخر ، وذلك حرام عليهم فى دينهم ونص كتابهم ، ويخرجونهم من بيوتهم وينتهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب عملا بحكم التوراة ، ولهذا قال تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟) ولهذا قال تعالى (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم

ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يقتل بعضكم بعضا ولا يخرجه من منزله ولا يظاهر عليه كما قال تعالى (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم) وذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وقوله تعالى (ثم أقررتم وأنتم تشهدون) أى ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته وأنتم تشهدون به (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية ، قال محمد بن اسحق بن يسار حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) الآية قال . أنبأهم الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم فى التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والنضير ، وقريظة وهم حلفاء الأوس فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس ، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى تسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما فى التوراة وأخذا به بعضهم من بعض يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسراهم فى أيدى الأوس ويفتدى النضير وقريظة ما كان فى أيدى الخزرج منهم ويطلبون ما أصابوا من دمائهم وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حيث أنبأهم بذلك (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) أى تفادونهم بحكم التوراة وتقتلونهم وفى حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا ؟ ففى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغنى نزلت هذه القصة . وقال أسباط عن السدى . كانت قريظة حلفاء الأوس وكانت النضير حلفاء الخزرج فكانوا يقتتلون فى حرب بينهم فتقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءهم وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها ويغلبونهم فيخربون ديارهم ويخرجونهم منها فاذا أسر رجل من الفريقين كلاهما جمعوا له حتى يفدوه فتعيرهم العرب بذلك ويقولون : كيف تقاتلونهم وتفدونهم ؟ قالوا : إنا أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحي أن تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تبارك وتعالى فقال تعالى (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية : وقال أسباط عن السدى عن الشعبي نزلت هذه الآية فى قيس بن الحطيم (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية : وقال أسباط عن السدى عن عبد خير قال : غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلى بلنجر فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة وأصبنا سبايا واشترى عبدالله بن سلام يهودية بسبعمائة فلما مر برأس الجالوت نزل به فقال له عبد الله : يا رأس الجالوت هل لك فى عجوز ههنا من أهل دينك تشتريها منى قال نعم ، قال : أخذتها بسبعمائة درهم قال : فإنى أربحك سبعمائة أخرى قال : فإنى قد حلفت أن لا أنقصها من أربعة آلاف قال لا حاجة لى فيها قال والله لتشترينها منى أو لتكفرن بدينك الذى أنت عليه قال : ادن منى فدنا منه فقرأ فى أذنه ما فى التوراة : إنك لا تجد مملوكا من بنى إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم) قال : أنت عبد الله بن سلام ؟ قال : نعم : قال فجاء بأربعة آلاف فأخذ عبد الله ألفين ورد عليه ألفين. وقال آدم بن أبى إياس فى تفسيره حدثنا أبو جعفر يعنى الرازى حدثنا الربيع بن أنس أخبرنا أبو العالية : أن عبدالله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادى من النساء من لم يقع عليه العرب ولا يفادى من وقع عليه العرب ، فقال عبدالله : أما انه مكتوب عندك فى كتابك أن تفاديهن كلهن والذى أرشدت اليه الآية الكريمة وهذا السياق ذم اليهود فى قيامهم بأمر التوراة التى يعتقدون صحتها ومخالفة شرعها مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالصحة فلهذا لا يؤتمنون على ما فيها ولا على نقلها ولا يصدقون فيما كتموه من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه ومخرجه ومهاجره وغير ذلك من شؤونه التى أخبرت بها الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام ، واليهود عليهم لعائن الله يتكاتمونه بينهم ولهذا قال تعالى (فما جزاء من يفعل ذلك منكم

نهى الله تعالى المؤمنين فى هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبى ﷺ عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أى وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم ولا تسألوا عن الشىء قبل كونه فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة : ولهذا جاء فى الصحيح « إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شىء لم يحرم فحرم من أجل مسئلته » ولما سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد مع امرأته رجلا فان تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها ، ثم أنزل الله حكم الملاعنة . ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث المغيرة ابن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان ينهى عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال . وفى صحيح مسلم « ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإن نهيتكم عن شىء فاجتنبوه » وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم ان الله كتب عليهم الحج فقال رجل أكل عام يارسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثا . ثم قال عليه السلام « لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » ثم قال « ذرونى ما تركتكم » الحديث ولهذا قال أنس بن مالك : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شىء فكان يعجبنا أن يأتى الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده أخبرنا أبو كريب أخبرنا إسحق بن سليمان عن أبى سنان عن أبى إسحق عن البراء ابن عازب قال : إن كان ليأتى علىّ السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشىء فأتهيب منه وان كنا لنتمنى الأعراب . وقال البزار : أخبرنا محمد بن المثنى . أخبرنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مارأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ ما سألوه الا عن اثنتى عشرة مسألة كلها فى القرآن (يسألونك عن الخمر والميسر - و - يسألونك عن الشهر الحرام - ويسألونك عن اليتامى) يعنى هذا وأشباهه

وقوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) أى بل تريدون أو هى على بابها فى الاستفهام وهو إنكارى وهو يعمّ المؤمنين والكافرين فانه عليه السلام رسول الله الى الجميع كما قال تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) قال محمد بن إسحق حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك . فأنزل الله من قولهم (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل)

وقال أبوجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) قال: قال رجل يارسول الله لو كانت كفارتنا ككفاراة بنى إسرائيل فقال النبى ﷺ « اللهم لانبغيها - ثلاثا - ما أعطاكم الله خير مما أعطى بنى إسرائيل كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له خزيا فى الدنيا وان لم يكفرها كانت له خزيا فى الآخرة ، فما أعطاكم الله خير مما أعطى بنى إسرائيل » قال (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقال « الصلوات الخمس من الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن » وقال « من همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت سيئة واحدة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله إلا هالك » فأنزل الله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل)وقال مجاهد (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) ان يريهم الله جهرة قال : سألت قريش محمداً ﷺ ان يجعل لهم الصفا ذهبا قال « نعم وهو لكم كالمائدة لبنى إسرائيل » فأبوا ورجعوا . وعن السدى وقتادة نحو هذا والله أعلم والمراد ان الله ذم من سأل الرسول ﷺ عن شىء على وجه التعنت والاقتراح كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام تعنتا وتكذيباً وعنادا . قال الله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) أى ومن يشتر الكفر بالإيمان (فقد ضل سواء السبيل)

أى قد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال. وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التى لا يحتاجون اليها على وجه التعنت والكفر كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار) وقال أبو العالية يتبدل الشدة بالرخاء .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم فى الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو أو الاحتمال حتى يأتى أمر الله من النصر والفتح ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه كما قال محمد بن إسحق ، حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : كان حيي بن أخطب وأبو ياسر ابن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين فى رد الناس عن الإسلام ما استطاعا فأنزل الله فيهما (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) الآية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب) قال هو كعب بن الأشرف، وقال ابن أبى حاتم . أخبرنا أبى أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أن كعب بن الأشرف اليهودى كان شاعرا وكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل الله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) إلى قوله(فاعفوا واصفحوا) وقال الضحاك عن ابن عباس أن رسولا أميا يخبرهم بما فى أيديهم من الكتب والرسل والآيات ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم ولكنهم جحدوا ذلك كفرا وحسدا وبغيا وكذلك قال الله تعالى (كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) يقول من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئا ولكن الحسد حملهم على الجحود فعيرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة وشرع لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ماهم عليه من التصديق والإيمان والاقرار بما أنزل الله عليهم وما أنزل من قبلهم بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم . وقال الربيع بن أنس (من عند أنفسهم) من قبل أنفسهم وقال أبو العالية (من بعد ما تبين لهم الحق) من بعد ما تبين أن محمداً رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل فكفروا به حسدا وبغيا إذ كان من غيرهم وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره) مثل قوله تعالى (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) الآية . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره) والسدى(1) وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره) نسخ ذلك قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) إلى قوله (وهم صاغرون) فنسخ هذا عفوه عن المشركين وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة والسدى إنها منسوخة بآية السيف ويرشد إلى ذلك أيضا قوله تعالى (حتى يأتى الله بأمره) وقال ابن أبى حاتم أخبرنا أبى أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى عروة ابن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى . قال الله (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول من العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم بالقتل فقتل الله به من قتل من صناديد قريش وهذا إسناده صحيح ولم أره فى شىء من الكتب الستة ولكن له أصل فى الصحيحين عن أسامة بن زيد .

(1) قوله والسدى وقوله الخ لعله زيادة من الناسخ فإنه ذكر بعد أن السدى قال بنسخ آية العفو بآية السيف .

وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) يحثهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة حتى يمكن لهم الله النصر فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) ولهذا قال تعالى (إن الله بما تعملون بصير) يعنى أنه تعالى لا يغفل عن عمل عامل ولا يضيع لديه سواء كان خيراً أو شرا فانه سيجازى كل عامل بعمله . وقال أبو جعفر بن جرير فى قوله تعالى (إن الله بما تعملون بصير) هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير أو شر سرا وعلانية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شىء فيجزيهم بالإحسان خيرا وبالاساءة مثلها وهذا الكلام وإن كان قد خرج مخرج الخبر فان فيه وعدا ووعيدا وأمرا وزجرا وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدّوا فى طاعته إذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه كما قال تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) وليحذروا معصيته قال وأما قوله (بصير) فانه مبصر صرف إلى بصير كما صرف مبدع إلى بديع ومؤلم إلى أليم والله أعلم. وقال ابن أبى حاتم : أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابن بكير حدثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عقبة بن عامر قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سميع بصير يقول بكل شىء بصير.

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها كما أخبر الله عنهم فى سورة المائدة أنهم قالوا (نحن أبناء الله وأحباؤه) فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك وكما تقدم من دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة ثم ينتقلون إلى الجنة ورد عليهم تعالى فى ذلك وهكذا قال لهم فى هذه الدعوى التى ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة فقال (تلك أمانيهم) وقال أبو العالية أمانىّ تمنوها على الله بغير حق وكذا قال قتادة والربيع بن أنس ثم قال تعالى (قل) أى يا محمد (هاتوا برهانكم) قال أبو العالية ومجاهد والسدى والربيع بن أنس حجتكم وقال قتادة بينتكم على ذلك (إن كنتم صادقين) أى فيما تدعونه ، ثم قال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) أى من أخلص العمل لله وحده لا شريك له كما قال تعالى (فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن) الآية وقال أبو العالية والربيع (بلى من أسلم وجهه لله) يقول من أخلص لله وقال سعيد بن جبير (بلى من أسلم) أخلص (وجهه) قال دينه (وهو محسن) أى اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فان للعمل المتقبل شرطين أحدهما أن يكون خالصا لله وحده والآخر أن يكون صوابا موافقا للشريعة فمتى كان خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله فانه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث اليهم وإلى الناس كافة وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وقال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية) وروى عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أنه تأولها

فى الرهبان كما سيأتى ، وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة فى الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضاً مردود على فاعله وهذا حال المرائين والمنافقين كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) ولهذا قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقال فى هذه الآية الكريمة (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) وقوله (فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور وآمنهم مما يخافونه من المحذور فـ(لا خوف عليهم) فيما يستقبلونه ، (ولا هم يحزنون) على ما مضى مما يتركونه ، كما قال سعيد بن جبير فـ(لا خوف عليهم) يعنى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) يعنى لا يحزنون للموت .

وقوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب) بين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم ، كما قال محمد بن إسحق : حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ ، أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ ، فقال رافع بن حرملة : ما أنتم على شىء وكفر بعيسى وبالإنجيل وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شىء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة . فأنزل الله فى ذلك من قولهما (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب) قال إن كلا يتلو فى كتابه تصديق من كفر به أن يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى وفى الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى وما جاء من التوراة من عند الله وكل يكفر بما فى يد صاحبه ، وقال مجاهد فى تفسير هذه الآية قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شىء . وقال قتادة (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء) قال بلى قد كانت أوائل النصارى على شىء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا (وقالت النصارى ليست اليهود على شىء) قال بلى قد كانت أوائل اليهود على شىء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا ، وعنه رواية أخرى كقول أبى العالية والربيع بن أنس فى تفسير هذه الآية (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء) هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وهذا القول يقتضى أن كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى ولكن ظاهر سياق الآية يقتضى ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك ولهذا قال تعالى (وهم يتلون الكتاب) أى وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة فى وقت ولكنهم تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفاسد بالفاسد كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة فى الرواية الأولى عنه فى تفسيرها والله أعلم وقوله (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) بين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا به من القول وهذا من باب الإيماء والإشارة . وقد اختلف فيمن عنى بقوله تعالى (الذين لا يعلمون) فقال الربيع بن أنس وقتادة (كذلك قال الذين لا يعلمون) قالا : وقالت النصارى مثل قول اليهود وقيلهم . وقال ابن جريج : قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون؟ قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والإنجيل وقال السدى كذلك (قال الذين لا يعلمون) فهم العرب قالوا ليس محمد على شىء ، واختار أبو جعفر بن جرير أنها عامة تصلح للجميع وليس ثم دليل قاطع يعين واحدا من هذه الأقوال والحمل على الجميع أولى والله أعلم . وقوله تعالى (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى أنه تعالى يجمع بينهم يوم المعاد ويفصل بينهم بقضائه العدل الذى لا يجور فيه ولا يظلم مثقال ذرة ، وهذه الآية كقوله تعالى فى سورة الحج (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد) وكما قال تعالى (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا أُولَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا

ﷺ يسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة ، ثم قال : أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إنى لكائن معك فى الجنة ، قال رسول الله ﷺ « نعم والذى نفسى بيده إنه ليضىء بياض الأسود فى الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته » ونزلت هذه الآيات (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ـ إلى قوله ـ نعيما وملكا كبيراً) فقال الحبشى : وإن عينى لترى ما ترى عيناك فى الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم » فاستبكى حتى فاضت نفسه ، قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه فى حفرته بيديه ، فيه غرابة ونكارة وسنده ضعيف ولهذا قال تعالى (ذلك الفضل من الله) أى من عند الله (برحمته) وهو الذى أهلهم لذلك لا بأعمالهم (وكفى بالله عليما) أى هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً * وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً * وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً * فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير فى سبيل الله (ثبات) أى جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد سرية والثبات جمع ثبة وقد تجمع الثبة على ثبين ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (فانفروا ثبات) أى عصبا يعنى سرايا متفرقين (أو انفروا جميعا) يعنى كلكم ، وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخراسانى ومقاتل بن حيان وخصيف الجزرى ، وقوله تعالى (وإن منكم لمن ليبطئن) قال مجاهد وغير واحد نزلت فى المنافقين ، وقال مقاتل بن حيان : (ليبطئن) أى ليتخلفن عن الجهاد ، ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو فى نفسه ويبطىء غيره عن الجهاد كما كان عبد الله بن أبى ابن سلول قبحه الله يفعل يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه . وهذا قول ابن جريج وابن جرير ؛ ولهذا قال تعالى إخبارا عن المنافق أنه يقول إذا تأخر عن الجهاد (فإن أصابتكم مصيبة) أى قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله فى ذلك من الحكمة (قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا) أى إذ لم أحضر معهم وقعة القتال يعد ذلك من نعم الله عليه ، ولم يدر ما فاته من الأجر فى الصبر أو الشهادة إن قتل (ولئن أصابكم فضل من الله) أى نصر وظفر وغنيمة (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أى كأنه ليس من أهل دينكم (ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) أى بأن يضرب لى بسهم معهم فأحصل عليه . وهو أكبر قصده وغاية مراده . ثم قال تعالى (فليقاتل) أى المؤمن النافر (فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم ، ثم قال تعالى (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أى كل من قاتل فى سبيل الله سواء قتل أو غلب فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر جزيل كما ثبت فى الصحيحين وتكفل الله للمجاهد فى سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَٰنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً * الَّذِينَ ءامَنُوا يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾

يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد فى سبيله وعلى السعى فى استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين من المقام بها ، ولهذا قال تعالى (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة كقوله تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) ثم وصفها بقوله (الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) أى سخر لنا من عندك وليا وناصرا . قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عبيد الله قال سمعت ابن عباس قال . كنت أنا وأمى من المستضعفين . حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبى مليكة أن ابن عباس تلا (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال كنت أنا وأمى ممن عذر الله عز وجل ثم قال تعالى (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى المؤمنون يقاتلون فى طاعة الله ورضوانه ، والكافرون يقاتلون فى طاعة الشيطان ، ثم هيج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً * مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾

كان المؤمنون فى ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النصب وكانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم ، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبا لأسباب كثيرة منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم ، ومنها كونهم كانوا فى بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء كما يقال فلهذا لم يؤمر بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار ، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفا شديداً (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) أى لولا أخرت فرضه إلى مدة أخرى فإن فيه سفك الدماء ، ويتم الأولاد ، وتأيم النساء ، وهذه الآية كقوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) الآيات : قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد ابن عبد العزيز عن أبى زرعة وعلى بن رحمة قالا : حدثنا على بن الحسن عن الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة

نُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَٰسِرِينَ ﴾

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) الآية. قال ابن أبي حاتم حدثنا كثير بن شهاب حدثنا محمد يعني ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب عن عياض أن عمر أمر أباموسى الأشعري أن يرفع اليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد وكان له كاتب نصراني فرفع اليه ذلك فعجب عمر وقال إن هذا لحفيظ هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام فقال إنه لايستطيع فقال عمر أجنب هو قال لا بل نصراني قال فانتهرني وضرب فخذي ثم قال أخرجوه ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية، ثم قال حدثنا محمد بن الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عثمان بن عمر أنبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين قال قال عبدالله ابن عتبة ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لايشعر قال فظنناه يريد هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال: كل، قال الله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وروي عن أبي الزناد نحو ذلك وقوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض) أي شك وريب ونفاق يسارعون فيهم أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. عندذلك قال الله تعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح) قال السدي يعني فتح مكة وقال غيره يعني القضاء والفصل (أو أمر من عنده) قال السدي يعني ضرب الجزية على اليهود والنصارى (فيصبحوا) يعني الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين (على ما أسروا في أنفسهم) من الموالاة نادمين أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئاً ولا دفع عنهم محذورا بل كان عين المفسدة فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين بعد أن كانوا مستورين لايدرى كيف حالهم فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين ويحلفون على ذلك ويتأولون فبان كذبهم وافتراؤهم ولهذا قال تعالى (ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) وقد اختلف القراء في هذا الحرف فقرأه الجمهور باثبات الواو في قوله (ويقول الذين) ثم منهم من رفع ويقول على الابتداء ومنهم من نصب عطفا على قوله (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) فتقديره أن يأتي وأن يقول وقرأ أهل المدينة (يقول الذين آمنوا) بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم على ماذكره ابن جرير قال ابن جريج عن مجاهد (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) تقديره[1] حينئذ (يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات فذكر السدي أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد أما أنا فاني ذاهب إلى ذلك اليهودي فآوي اليه وأتهود معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث وقال الآخر أما أنا فاني ذاهب إلى فلان النصراني بالشام فآوي اليه وأتنصر معه، فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآيات وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة فسألوه ماذا هو صانع بنا فأشار بيده إلى حلقه أي انه الذبح رواه ابن جرير. وقيل نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول كما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس قال سمعت أبي عن عطية بن سعد قال جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كذا في النسخ التي بأيدينا ولعل فيه سقطا وعبارة روح المعاني وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (يقول) بغير واو على أنه استئناف بياني كأنه قيل فاذا يقول المؤمنون حينئذ اه

لعبد الله بن أبي « يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » قال قد قبلت فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذو اليهود والنصارى أولياء) الآيتين ثم قال ابن جرير : حدثنا هناد حدثنا يونس ابن بكير حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن الصيف أغركم أن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقاتلونا فقال عبادة بن الصامت يا رسول الله إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم كثيرا سلاحهم شديدة شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية يهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لاأبرأ من ولاية يهود إني رجل لا بد لي منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا الحباب أرأيت الذي نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » فقال إذا أقبل، قال فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء — إلى قوله تعالى — والله يعصمك من الناس) وقال محمد بن إسحق فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو قينقاع فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي قال فأعرض عنه قال فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «أرسلني» وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا ثم قال « ويحك أرسلني » قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدني في غداة واحدة امرؤ أخشى الدوائر قال : فقال رسول الله ﷺ « هم لك » قال محمد ابن إسحق فحدثني أبي إسحق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي فجعلهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) إلى قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن إسحق عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي نعوده فقال له النبي ﷺ « قد كنت أنهاك عن حب يهود » فقال عبد الله فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات وكذا رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحق

﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فان الله سيستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلا كما قال تعالى (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال تعالى (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) وقال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز) أي بممتنع ولا صعب. وقال تعالى ههنا

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) أى يرجع عن الحق إلى الباطل .قال محمد بن كعب نزلت فى الولاة من قريش. وقال الحسن البصرى نزلت فى أهل الردة أيام أبى بكر . (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال الحسن هو والله أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبى حاتم وقال أبو بكر بن أبى شيبة سمعت أبا بكر بن عياش يقول فى قوله (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) هم أهل القادسية . وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد هم قوم من سبأ وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله ابن الأجلح عن محمد بن عمرو عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال ناس من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون . وحدثنا أبى حدثنا محمد بن المصفى حدثنا معاوية يعنى ابن حفص عن أبى زياد الحلفانى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال «هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب » وهذا حديث غريب جداً وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الصمد يعنى ابن عبد الوارث حدثنا شعبة عن سماك سمعت عياضا يحدث عن أبى موسى الأشعرى قال لما نزلت (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله ﷺ « هم قوم هـذا » ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه . وقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا على خصمه وعدوه كما قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وفى صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه . وقوله عز وجل (يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) أى لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يردهم عن ذلك راد ولا يصدهم عنه صاد ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ، ولا عذل عاذل : قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا سلام أبو المنذر عن محمد بن واسع عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال أمرنى خليلى صلى الله عليه وسلم بسبع، أمرنى بحب المساكين والدنو منهم وأمرنى أن أنظر إلى من هو دونى ، ولا أنظر إلى من هو فوقى ، وأمرنى أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرنى أن لا أسأل أحدا شيئا وأمرنى أن أقول الحق وإن كان مرا ، وأمرنى أن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأمرنى أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانهن من كنز تحت العرش . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن أبى المثنى أن أبا ذر رضى الله عنه قال بايعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وواثقنى سبعا ، وأشهد الله على سبعا - أنى لا أخاف فى الله لومة لائم . قال أبو ذر فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هل لك إلى بيعة ولك الجنة» قلت نعم وبسطت يدى فقال النبى صلى الله عليه وسلم وهو يشترط على «أن لا تسأل الناس شيئا » قلت نعم قال « ولا سوطك وإن سقط منك » يعنى تنزل إليه فتأخذه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن الحسن حدثنا جعفر عن المعلى الفردوسى عن الحسن عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده فانه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو أن يذكر بعظيم » تفرد به أحمد. وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن زبيد عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه . فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت فى كذا وكذا ؟ فيقول مخافة الناس ، فيقول إياى أحق أن تخاف» ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به . وروى أحمد وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن أبى طوالة عن نهار بن عبد الله العبدى المدنى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال « إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليسأله يقول له أى عبدى أرأيت منكرا فلم تنكره ؟ فإذا لقن الله عبدا حجته قال أى رب وثقت بك وخفت الناس » وثبت فى الصحيح «ما ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » قالوا وكيف يذل نفسه يا رسول الله قال « يتحمل من البلاء ما لا يطيق» (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أى من اتصف بهذه الصفات فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له (والله واسع عليم) أى واسع الفضل عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه وقوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله

والذين آمنوا) أى ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين وقوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) أى المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقام الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام وهى له وحده لاشريك له وإيتاء الزكاة التى هى حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين . وأما قوله (وهم راكعون) فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة فى موضع الحال من قوله (ويؤتون الزكاة) أى فى حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة فى حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى ، وحتى ان بعضهم ذكر فى هذا أثرا عن على بن أبى طالب أن هذه الآية نزلت فيه وذلك أنه مر به سائل فى حال ركوعه فأعطاه خاتمه وقال ابن أبى حاتم حدثنا الربيع بن سليمان المرادى حدثنا أيوب بن سويد عن عتبة بن أبى حكيم فى قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال هم المؤمنون وعلى بن أبى طالب وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول حدثنا موسى بن قيس الحضرمى عن سلمة بن كهيل قال تصدق على بخاتمه وهو راكع فنزلت (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وقال ابن جرير حدثنى الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا غالب بن عبد الله سمعت مجاهدا يقول فى قوله (إنما وليكم الله ورسوله) الآية نزلت فى على بن أبى طالب تصدق وهو راكع وقال عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس فى قوله (إنما وليكم الله ورسوله) الآية نزلت فى على بن أبى طالب : عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به . وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثورى عن أبى سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال كان على بن أبى طالب قائما يصلى فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت (إنما وليكم الله ورسوله) الآية :الضحاك لم يلق ابن عباس وروى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن السائب الكلبى وهو متروك عن أبى صالح عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد والناس يصلون بين راكع وساجد وقائم وقاعد وإذا مسكين يسأل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أعطاك أحد شيئاً ؟» قال نعم قال «من ؟» قال ذلك الرجل القائم قال « على أى حال أعطاكه ؟» قال وهو راكع ، قال «وذلك على بن أبى طالب» قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وهو يقول (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وهذا إسناد لا يفرح به ثم رواه ابن مردويه من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه نفسه وعمار بن ياسر وأبى رافع وليس يصح شىء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها ثم روى باسناده عن ميمون بن مهران عن ابن عباس فى قوله (إنما وليكم الله ورسوله) نزلت فى المؤمنين وعلى بن أبى طالب أولهم ، قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا عبدة عن عبد الملك عن أبى جعفر قال سألته عن هذه الآية (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)قلنا من الذين آمنوا ؟ قال الذين آمنوا قلنا بلغنا أنها نزلت فى على بن أبى طالب قال على من الذين آمنوا ، وقال أسباط عن السدى نزلت هذه الآية فى جميع المؤمنين ولكن على بن أبى طالب مر به سائل وهو راكع فى المسجد فأعطاه خاتمه ، وقال على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا رواه ابن جرير ،وقد تقدم فى الأحاديث التى أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت فى عبادة بن الصامت رضى الله عنه حين تبرأ من حلف اليهود ورضى بولاية الله ورسوله والمؤمنين ولهذا قال تعالى بعد هذا كله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز . لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) فكل من رضى بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح فى الدنيا والآخرة ومنصور فى الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى فى هذه الآية الكريمة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ

أى لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وأنه المتصرف فى الملك ، وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير التوكل على الله جماع الإيمان . وقوله (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ينبه تعالى بذلك على أعمالهم بعد ما ذكر اعتقادهم وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها ، وهو إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى وقال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها ، وقال مقاتل بن حيان إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبى ﷺ هذا إقامتها ، والانفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب . والخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه . قال قتادة فى قوله (ومما رزقناهم ينفقون) فأنفقوا مما رزقكم الله فإنما هذه الأموال عوارى وودائع عندك يا ابن آدم أو شكت أن تفارقها

وقوله (أولئك هم المؤمنون حقا) أى المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمى حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكى عن سعيد بن أبى هلال عن محمد بن أبى الجهم عن الحارث بن مالك الأنصارى أنه مر برسول الله ﷺ فقال له « كيف أصبحت يا حارث ؟ » قال . أصبحت مؤمنا حقا قال « انظر ما تقول فان لكل شىء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » فقال عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها . فقال « يا حارث عرفت فالزم » ثلاثا وقال عمرو بن مرة فى قوله تعالى (أولئك هم المؤمنون حقا) إنما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك فلان سيد حقا وفى القوم سادة . وفلان تاجر حقا وفى القوم تجار . وفلان شاعر حقا وفى القوم شعراء . وقوله (لهم درجات عند ربهم) أى منازل ومقامات ودرجات فى الجنات كما قال تعالى (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) (ومغفرة) أى يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات . وقال الضحاك فى قوله (لهم درجات عند ربهم) أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذى هو فوق فضله على الذى هو أسفل منه ، ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد ، ولهذا جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر فى أفق من آفاق السماء » قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم فقال « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وفى الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث ابن أبى عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الدرجات العلى كما تراءون الكوكب الغابر فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما »

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾

قال الإمام أبو جعفر الطبرى اختلف المفسرون فى السبب الجالب لهذه الكاف فى قوله (كما أخرجك ربك) فقال بعضهم شبه به فى الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم وإصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله ثم روى عن عكرمة نحو هذا ومعنى هذا أن الله تعالى يقول كما أنكم لما اختلفتم فى المغانم وتشاححتم فيها فانتزعها الله منكم وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله ﷺ فقسمها على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم وكذلك لما كرهتم الخروج إلى

الأعداء من قتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم وإحراز عيرهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشدا وهدى ، ونصرا وفتحا ، كما قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه بعد ماتبين لهم . ثم روى عن مجاهد نحوه أنه قال (كما أخرجك ربك) قال كذلك يجادلونك فى الحق وقال السدى أنزل الله فى خروجه إلى بدر ومجادلتهم إياه فقال (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) لطلب المشركين (يجادلونك فى الحق بعد ماتبين) وقال بعضهم يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له . قلت رسول الله ﷺ إنما خرج من المدينة طالبا لعير أبى سفيان التى بلغه خبرها أنها صادرة من الشام فيها أموال جزيلة لقريش فاستنهض رسول الله ﷺ المسلمين من خف منهم فخرج فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، وطلب نحو الساحل من على طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ فى طلبه فبعث ضمضم بن عمرو نذيرا إلى أهل مكة فنهضوا فى قريب من ألف مقنع مابين التسعمائة إلى الألف وتيامن أبو سفيان بالعير إلى سيف البحر فنجا وجاء النفير فوردوا ماء بدر وجمع الله بين المسلمين والكافرين على غير ميعاد لما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم والتفرقة بين الحق والباطل كما سيأتى بيانه ، والغرض أن رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير أوحى الله اليه بعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير ورغب كثير من المسلمين إلى العير لأنه كسب بلا قتال كما قال تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد الطبرانى حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة « إنى أخبرت عن عير أبى سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله أن يغنمناها ؟ » فقلنا نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا « ماترون فى قتال القوم فإنهم قد أخبروا بخروجكم ؟ » فقلنا لا والله مالنا طاقة بقتال العدو ولكنا أردنا العير ثم قال « ماترون فى قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو إذا لا نقول لك يارسول الله كما قال قوم موسى لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) قال فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال المقداد أحب الينا من أن يكون لنا مال عظيم ، قال فأنزل الله على رسوله ﷺ (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) وذكر تمام الحديث ورواه ابن أبى حاتم من حديث ابن لهيعة بنحوه وروى ابن مردويه أيضاً من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن أبى وقاص الليثى عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا ، قال : ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبى بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون؟ » فقال سعد بن معاذ يارسول الله ايانا تريد ؟ فو الذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب ماسلكتها قط ولا لى بها علم ولئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله اليك غيره فانظر الذى أحدث الله اليك فامض له ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت ، فنزل القرآن على قول سعد (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) الآيات وقال العوفى عن ابن عباس لما شاور النبى صلى الله عليه وسلم فى لقاء العدو ، وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس أن يتهيئوا للقتال وأمرهم بالشوكة فكره ذلك أهل الإيمان فأنزل الله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون * يجادلونك فى الحق بعد ماتبين كأنما يساقون إلى الموت وهم

حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس فى رواية العوفى عنه وبه قال مجاهد وعمرو بن شعيب ومحمد بن إسحق وقتادة والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها بقوله (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) ثم قال (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) أى إذا انقضت الأشهر الأربعة التى حرمنا عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتى بيان حكمها فى آية أخرى بعد فى هذه السورة الكريمة ، وقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) أى من الأرض وهذا عام والمشهور تخصيصه بتحريم القتال فى الحرم بقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم) وقوله (وخذوهم) أى وأسروهم إن شئتم قتلا وإن شئتم أسرا وقوله (واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) أى لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم ، بل اقصدوهم بالحصار فى معاقلهم وحصونهم والرصد فى طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام ولهذا قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) ولهذا اعتمد الصديق رضى الله عنه فى قتال مانعى الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال وهى الدخول فى الإسلام والقيام بأداء واجباته ونبه بأعلاها على أدناها فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التى هى حق الله عز وجل وبعدها أداء الزكاة التى هى نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج وهى أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين ، ولهذا كثيرا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة . وقد جاء فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » الحديث وقال أبو إسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال: يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه !

وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحق أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم » ورواه البخارى فى صحيحه وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدى حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئا فارقها والله عنه راض » قال : وقال أنس: هو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما أنزل، قال الله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) قال: توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ثم قال فى آية أخرى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين) ورواه ابن مردويه ورواه محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة له . حدثنا إسحق بن إبراهيم أنبأنا حكام بن سلمة حدثنا أبو جعفر الرازى به سواء وهذه الآية الكريمة هى آية السيف التى قال فيها الضحاك بن مزاحم إنها نسخت كل عهد بين النبى ﷺ وبين أحد من المشركين وكل عقد وكل مدة وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلاخ الأشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية: قال أمره الله تعالى أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا فى الإسلام ، ونقض ما كان سمى لهم من العهد والميثاق ، وأذهب الشرط الأول . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا إسحق بن موسى الأنصارى قال : قال سفيان بن عيينة قال على بن أبى طالب بعث النبى ﷺ بأربعة أسياف سيف فى المشركين من العرب ، قال الله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) هكذا رواه مختصراً وأظن أن السيف الثانى هو قتال

أهل الكتاب لقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (والسيف الثالث) قتال المنافقين فى قوله (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين) الآية (والرابع) قتال الباغين فى قوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) ثم اختلف المفسرون فى آية السيف هذه فقال الضحاك والسدى هى منسوخة بقوله تعالى (فإما منا بعد وإما فداء) وقال قتادة بالعكس

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (وإن أحد من المشركين) الذين أمرتك بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم (استجارك) أى استأمنك فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله أى القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله (ثم أبلغه مأمنه) أى وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه (ذلك بأنه قوم لا يعلمون) أى إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله فى عباده ، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى تفسير هذه الآية قال إنسان يأتيك ليسمع ما تقول وما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء ، ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطى الأمان لمن جاءه مسترشدا أو فى رسالة ، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود ومكرز بن حفص وسهيل بن عمرو وغيرهم واحدا بعد واحد يترددون فى القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك ، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم ، ولهذا أيضا لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ قال له أتشهد أن مسيلمة رسول الله ؟ قال نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك » وقد قيض الله له ضرب العنق فى إمارة ابن مسعود على الكوفة ، وكان يقال له ابن النواحة ظهر عنه فى زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة فأرسل اليه ابن مسعود فقال له إنك الآن لست فى رسالة وأمر به فضربت عنقه لا رحمه الله ولعنه . والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الاسلام فى أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب من الإمام أو نائبه أمانا أعطى أمانا ما دام مترددا فى دار الإسلام ، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه ، لكن قال العلماء لا يجوز أن يمكن من الاقامة فى دار الاسلام سنة ، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر ، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الإمام الشافعى وغيره من العلماء رحمهم الله

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

يبين تعالى حكمته فى البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر ثم بعد ذلك السيف المرهف أين ثقفوا فقال تعالى (كيف يكون للمشركين عهد) أى أمان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يعنى يوم الحديبية كما قال تعالى (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله) الآية (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أى مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين (فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون . استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذى القعدة فى سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد وما لؤوا حلفاءهم وهم بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم معهم فى الحرم أيضا فعند ذلك غزاهم

يقول تعالى (أم حسبتم) أيها المؤمنين أن نترككم مهملين لانختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب ولهذا قال (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله فاكتفى بأحد القسمين عن الآخر كما قال الشاعر

وما أدرى إذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يليني

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ؟) الآية وقال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) الآية : والحاصل أنه تعالى لما شرع لعباده الجهاد بين أن له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه وهو تعالى العالم بما كان ومايكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ما هو عليه لا إله إلا هو ولا رب سواه ، ولا راد لما قدره وأمضاه

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

يقول تعالى ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له ، ومن قرأ مسجد الله فأراد به المسجد الحرام أشرف المساجد في الأرض الذي بني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له وأسسه خليل الرحمن هذا وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر أي بحالهم وقالهم كما قال السدى لو سألت النصراني ما دينك ؟ لقال نصراني ، ولو سألت اليهودي ما دينك لقال يهودي ، والصابئ لقال صابئ ، والمشرك لقال مشرك (أولئك حبطت أعمالهم) أي بشركهم (وفي النار هم خالدون) وقال تعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولهذا قال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد كما قال الإمام أحمد : حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو ابن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان . قال الله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) » ورواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بن وهب به : وقال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح المرى عن ثابت البناني عن ميمون بن سياه وجعفر بن زيد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إنما عمار المساجد هم أهل الله » ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الواحد بن غياث عن صالح بن بشير المرى عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إنما عمار المساجد هم أهل الله » ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت غير صالح ، وقد روى الدارقطني في الإفراد من طريق حكامة بنت عثمان بن دينار عن أبيها عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعا « إذا أراد الله بقوم عاهة نظر إلى أهل المساجد فصرف عنهم » ثم قال غريب ، وروى الحافظ البهائي في المستقصى عن أبيه بسنده إلى أبي أمية الطرسوسي حدثنا منصور بن صفير حدثنا صالح المرى عن ثابت عن أنس مرفوعا يقول الله : وعزتي وجلالي إني لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتحابين فيّ وإلى المستغفرين بالإسحار صرفت ذلك عنهم . ثم قال ابن عساكر حديث غريب . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا سعيد عن قتادة حدثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد » وقال عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون الأودي قال : أدركت أصحاب محمد ﷺ

وهم يقولون إن المساجد بيوت الله في الأرض وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها . وقال المسعودي عن حبيب ابن أبي ثابت وعدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي عنهما قال : من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب ولم يأت المسجد ويصلي فلا صلاة له وقد عصى الله ورسوله . قال الله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية رواه ابن مردويه . وقد روى مرفوعا من وجه آخر وله شواهد من وجوه أخر ليس هذا موضع بسطها . وقوله (وأقام الصلاة) أي التي هي أكبر عبادات البدن (وآتى الزكاة) أي التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق وقوله (ولم يخش إلا الله) أي ولم يخف إلا من الله تعالى ولم يخش سواه (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) يقول من وحد الله وآمن باليوم الآخر يقول من آمن بما أنزل الله (وأقام الصلاة) يعني الصلوات الخمس (ولم يخش إلا الله) يقول لم يعبد إلا الله ثم قال (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) يقول تعالى إن أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه ﷺ (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وهي الشفاعة ، وكل عسى في القرآن فهي واجبة ، وقال محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله : وعسى من الله حق

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال إن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامرا تهجرون) يعني أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال (به سامرا) كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبي ﷺ فخير الله الإيمان والجهاد مع النبي ﷺ على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به ، وإن كانوا يعمرون بيته ويحرمون به . قال الله تعالى (لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلن تغن عنهم العمارة شيئا

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: قال قد نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أسر ببدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي ونفك العاني ، قال الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج - إلى قوله - والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني أن ذلك كله كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك وقال الضحاك بن مزاحم أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأنزل الله (أجعلتم سقاية الحاج) الآية . وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن إسماعيل عن الشعبي قال نزلت في علي والعباس رضي الله عنهما بما تكلما في ذلك وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخرة قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء بت فيه ، وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد ، فقال علي رضي الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله عز وجل

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ * وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

يقول تعالى منكرا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) أى عن الانفاق فى سبيل الله (نسوا الله)أى نسوا ذكر الله (فنسيهم) أى عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى(فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) (إن المنافقين هم الفاسقون) أى الخارجون عن طريق الحق الداخلون فى طريق الضلالة وقوله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نارجهنم)أى على هذا الصنيع الذى ذكر عنهم (خالدين فيها) أى ماكثين فيها مخلدين هم والكفار (هى حسبهم) أى كفايتهم فى العذاب (ولعنهم الله) أى طردهم وأبعدهم (ولهم عذاب مقيم)

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

يقول تعالى أصاب هؤلاء من عذاب الله تعالى فى الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم وقوله (بخلاقهم) قال الحسن بدينهم وقوله (وخضتم كالذى خاضوا) أى فى الكذب والباطل (أولئك حبطت أعمالهم) أى بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة (فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب. قال ابن جرير عن عمرو بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (كالذين من قبلكم) الآية قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة (كالذين من قبلكم) هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم لا أعلم إلا أنه قال : «والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه » قال ابن جريج وأخبرنى زياد بن سعد عن محمد بن زياد بن مهاجر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا ومن هم يا رسول الله ؟ أهل الكتاب قال « فمن ؟ » وهكذا رواه أبو معشر عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فذكره وزاد قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم القرآن (كالذين من قبلكم) الآية قال أبو هريرة الخلاق الدين(وخضتم كالذى خاضوا) قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم ؟ قال «فهل الناس إلا هم ؟» وهذا الحديث له شاهد فى الصحيح

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

يقول تعالى واعظا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسل (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم) أى ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسل (قوم نوح) وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض إلا من آمن بعبده ورسوله نوح عليه السلام (وعاد) كيف أهلكوا بالريح العقيم لما كذبوا هودا عليه السلام (وثمود) كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا عليه السلام وعقروا الناقة (وقوم إبراهيم) كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم وأهلك ملكهم نمروذ بن كنعان بن كوش الكنعانى لعنه الله (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب عليه السلام

وكيف أصابتهم الرجفة وعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) قوم لوط وقد كانوا يسكنون فى مدائن ، وقال فى الآية الأخرى (والمؤتفكة أهوى) أى الأمة المؤتفكة وقيل أم قراهم وهى سدوم والغرض أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبى الله لوطا عليه السلام وإتيانهم الفاحشة التى لم يسبقهم بها أحد من العالمين (أتتهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج والدلائل القاطعات (فما كان الله ليظلمهم) أى باهلاكه إياهم لأنه أقام عليهم الحجة بارسال الرسل وإزاحة العلل (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق فصاروا إلى ما صاروا اليه من العذاب والدمار

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أى يتناصرون ويتعاضدون كما جاء فى الصحيح « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه ، وفى الصحيح أيضا « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وقوله (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) كقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية وقوله (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) أى يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه (ويطيعون الله ورسوله) أى فيما أمر وترك ما عنه زجر (أولئك سيرحمهم الله) أى سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات (إن الله عزيز) أى يعز من أطاعه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين (حكيم) فى قسمته هذه الصفات لهؤلاء وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة فانه له الحكمة فى جميع ما يفعله تبارك وتعالى

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

يخبر تعالى بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم فى (جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ماكثين فيها أبدا (ومساكن طيبة) أى حسنة البناء طيبة القرار كما جاء فى الصحيحين من حديث أبى عمران الجونى عن أبى بكر بن أبى موسى عبدالله بن قيس الأشعرى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن» وبه قال : قال رسول الله ﷺ «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا فى السماء للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا » أخرجاه فى الصحيحين ، وفيهما أيضا عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان فان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو حبس فى أرضه التى ولد فيها » قالوا يارسول الله أفلا نخبر الناس ؟ قال «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن » وعند الطبرانى والترمذى وابن ماجه من رواية زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكر مثله . وللترمذى عن عبادة بن الصامت مثله وعن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة ليتراءون الغرف فى الجنة كما ترون الكوكب فى السماء » أخرجاه فى الصحيحين ، ثم ليعلم أن أعلى منزلة فى الجنة مكان يقال له الوسيلة لقربه من العرش وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن

وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

يقول تعالى مخبراً عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة بأن لهم عقبى الدار وهى العاقبة والنصرة فى الدنيا والآخرة (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر ، وإذا خاصم فجر . وإذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج وبذل المعروف (ويخشون ربهم) أى فيما يأتون وما يذرون من الأعمال يراقبون الله فى ذلك ويخافون سوء الحساب فى الدار الآخرة فلهذا أمرهم على السداد والاستقامه فى جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) أى عن المحارم والمآثم ففطموا أنفسهم عنها لله عزوجل ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه (وأقاموا الصلاة) بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى (وأنفقوا مما رزقناهم) أى على الذين يجب عليهم الانفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحاويج ومساكين (سرا وعلانية) أى فى السر والجهر لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال آناء الليل وأطراف النهار (ويدرءون بالحسنة السيئة) أى يدفعون القبيح بالحسن ، فاذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحاً وعفوا كقوله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم) ولهذا قال مخبرا عن هؤلاء السعداء المتصفين بهؤلاء الصفات الحسنة بأن لهم عقبى الدار ثم فسر ذلك بقوله (جنات عدن) والعدن الإقامة أى جنات إقامه يخلدون فيها ، وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لايدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد ، وقال الضحاك فى قوله (جنات عدن) مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها رواهما ابن جرير ، وقوله (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الأباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيص للأعلى عن درجته كما قال تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) الآية وقوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) أى وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول الجنة فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والانعام والاقامة فى دار السلام فى جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام ، وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنى سعيد بن أبى أيوب حدثنا معروف ابن سويد الحرانى عن أبى عشانة المعافرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لايستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء ونسلم عليهم ؟ فيقول إنهم كانوا عبادا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا وتسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء — قال — فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)» ورواه أبو القاسم الطبرانى عن أحمد بن رشدين عن أحمد بن صالح عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبى عشانة سمع عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « أول ثلة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض حتى يموت وهى فى صدره وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادى

الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادى الذين جاهدوا فى سبيلى وأوذوا فى سبيلى فتدخل عليهم الملائكة من كل باب : (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ») وقال عبدالله بن المبارك عن بقية بن الوليد حدثنا أرطاة بن المنذر سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول جلست إلى أبى أمامة فقال : إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك فيستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الذى يليه للذى يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا فيقول أقربهم للمؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا له حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف رواه ابن جرير ورواه ابن أبى حاتم من حديث إسماعيل بن عياش عن أرطاة بن المنذر عن أبى الحجاج يوسف الإلهانى قال سمعت أبا أمامة فذكر نحوه وقد جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء فى رأس كل حول فيقول لهم « (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) » وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

هذا حال الأشقياء وصفاتهم وذكر مالهم فى الآخرة ومصيرهم إلى خلاف ماصار اليه المؤمنون كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم فى الدنيا فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، وهؤلاء (ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض) كما ثبت فى الحديث « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى رواية « وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » ولهذا قال (أولئك لهم اللعنة) وهى الإبعاد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) وهى سوء العاقبة والمآل (ومأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال أبو العالية فى قوله تعالى (والذين ينقضون عهد الله) الآية قال هى ست خصال فى المنافقين إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا ائتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا فى الأرض ، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث الخصال : إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا ائتمنوا خانوا

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾

يذكر تعالى أنه هو الذى يوسع الرزق على من يشاء ويقتر على من يشاء لما له فى ذلك من الحكمة والعدل وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا من الحياة الدنيا استدراجا لهم وإمهالا كما قال (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين فى الدار الآخرة فقال (وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع) كما قال (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) وقال (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قالا : حدثنا اسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن المستورد أخى بنى فهر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه فى اليم فلينظر بم ترجع » وأشار بالسبابة رواه مسلم فى صحيحه . وفى الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدى أسك ميت والأسك الصغير الأذنين فقال « والله للدنيا أهون على الله

اسمه هيزن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل كما رواه البخارى عن ابن عباس أنه قال حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد عليهما السلام حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وروى الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو هشام حدثنا إسحق بن سليمان عن أبى جعفر عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار قال اللهم إنك فى السماء واحد وأنا فى الأرض واحد أعبدك » ويروى أنه لما جعلوا يوثقونه قال : لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ، وقال شعيب الجبائى كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة فالله أعلم وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو فى الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما من الله فبلى ، وقال سعيد بن جبير ويروى عن ابن عباس أيضا قال لما ألقى إبراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فأرسله قال فكان أمر الله أسرع من أمره قال الله (يا نار كونى برداً وسلاما على إبراهيم) قال لم يبق نار فى الأرض إلا طفئت وقال كعب الأحبار لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه وقال الثورى عن الأعمش عن شيخ عن على بن أبى طالب (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم) قال لا تضربه وقال ابن عباس وأبو العالية لولا أن الله عز وجل قال وسلاما لآذى إبراهيم بردها ، وقال جويبر عن الضحاك كونى برداً وسلاماً على إبراهيم قالوا صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصبه منها شىء حتى أخمدها الله قال ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق فلم يصبه منها شىء غير ذلك وقال السدى كان معه فيها ملك الظل

وقال على بن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن المنهال بن عمر قال أخبرت أن إبراهيم ألقى فى النار قال فكان فيها إما خمسين وإما أربعين قال ما كنت أياما وليالى قط أطيب عيشا إذ كنت فيها وددت أن عيشى وحياتى كلها مثل عيشى إذ كنت فيها ، وقال أبو زرعة بن عمرو ابن جرير عن أبى هريرة قال إن أحسن شىء قال أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو فى النار وجده يرشح جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا إبراهيم وقال قتادة لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ وقال الزهرى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عبيدالله ابن أخى ابن وهب حدثنى عمى حدثنا جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال حدثتنى مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومى قالت دخلت على عائشة فرأيت فى بيتها رمحا فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت نقتل به هذه الأوزاغ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن إبراهيم حين ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا تطفىء النار غير الوزغ فانه كان ينفخ على إبراهيم» فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله ، وقوله (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) أى المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بنبى الله كيدا فكادهم الله ونجاه من النار فغلبوا هنالك ، وقال عطية العوفى لما ألقى إبراهيم فى النار جاء ملكهم لينظر اليه فطارت شرارة فوقعت على إبهامه فأحرقته مثل الصوفة

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَٰبِدِينَ * وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم أنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرا إلى بلاد الشام إلى الأرض

المقدسة منها . قال الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قوله (إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) قال الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة وكذا قال أبو العالية أيضاً وقال قتادة كان بأرض العراق فأنجاه الله إلى الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد فى الشام وما نقص من الشام زيد فى فلسطين ، وكان يقال هى أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال ، وقال كعب الأحبار فى قوله (إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) إلى حران وقال السدى انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلقى إبراهيم سارة وهى ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها فى دينهم فتزوجها على أن يفر بها ، رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجراً من بلاده ، وقال العوفى عن ابن عباس إلى مكة ألا تسمع إلى قوله (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا) وقوله (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) قال عطاء ومجاهد عطية ، وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عيينة النافلة ولد الولد يعنى أن يعقوب ولد إسحاق كما قال (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحق يعقوب) وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم سأل واحدا فقال (رب هب لى من الصالحين) فأعطاه الله إسحق وزاده يعقوب نافلة (وكلا جعلنا صالحين) أى الجميع أهل خير وصلاح (وجعلناهم أئمة) أى يقتدى بهم (يهدون بأمرنا) أى يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال (وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) من باب عطف الخاص على العام (وكانوا لنا عابدين) أى فاعلين لما يأمرون الناس به ثم عطف بذكر لوط وهو لوط بن هاران بن آزر كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه كما قال تعالى (فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى) فآتاه الله حكما وعلما وأوحى إليه وجعله نبيا وبعثه إلى سدوم وأعمالها فخالفوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم فى غير موضع من كتابه العزيز ولهذا قال (ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين * وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين)

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما كذبوه (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) وقال نوح (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ولهذا قال ههنا (إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله) أى الذين آمنوا به كما قال (وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) وقوله (من الكرب العظيم) أى من الشدة والتكذيب والأذى فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله عز وجل فلم يؤمن به منهم إلا القليل وكانوا يتصدون لأذاه ويتواصون قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل على خلافه ، وقوله (ونصرناه من القوم) أى ونجيناه وخلصناه منتصرا من القوم (الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) أى أهلكهم الله بعامة ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ * فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ * وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ * وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى

فيوافقهم رسول الله ﷺ ويقول معهم آخر كل قافية فاذا قالوا : اذا أرادوا فتنة أبينا يقول أبينا يمد بها صوته ثم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوى الضعيف (لهدمت صوامع) وهى المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم وقال قتادة هى معابد الصابئين وفى رواية عنه صوامع المجوس وقال مقاتل بن حيان هى البيوت التى على الطرق (وبيع) وهى أوسع منها وأكثر عابدين فيها وهى للنصارى أيضاً قاله أبو العالية وقتادة والضحاك وابن صخر ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم ، وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره أنها كنائس اليهود وحكى السدى عمن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد إنما قال هى الكنائس والله أعلم ، وقوله (وصلوات) قال العوفى عن ابن عباس الصلوات الكنائس وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة : إنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات ، وحكى السدى عمن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس النصارى وقال أبو العالية وغيره الصلوات معابد الصابئين وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد الصلوات مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق وأما المساجد فهى للمسلمين ، وقوله (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فقد قيل الضمير فى قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات وقال الضحاك الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا ، وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهى كنائسهم ومساجد المسلمين التى يذكر فيها اسم الله كثيرا لأن هذا هو المستعمل المعروف فى كلام العرب . وقال بعض العلماء هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهى أكثر عمارا وأكثر عبادا وهم ذوو القصد الصحيح ، وقوله (ولينصرن الله من ينصره) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم) وقوله (إن الله لقوى عزيز) وصف نفسه بالقوة والعزة فبقوته خلق كل شىء فقدره تقديرا وبعزته لايقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شىء ذليل لديه فقير إليه ومن كان القوى العزيز ناصره فهو المنصور وعدوه هو المقهور قال الله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى عزيز)

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال : قال عثمان بن عفان فينا نزلت (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله ثم مكنا فى الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولله عاقبة الأمور فهى لى ولأصحابى وقال أبو العالية هم أصحاب محمد ﷺ وقال الصباح بن سوادة الكندى سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول (الذين إن مكناهم فى الأرض) الآية ثم قال ألا إنها ليست على الوالى وحده ولكنها على الوالى والمولى عليه : ألا أنبئكم بمالكم على الوالى من ذلكم وبما للوالى عليكم منه إن لكم على الوالى من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم وأن يأخذ لبعضكم من بعض وأن يهديكم للتى هى أقوم ما استطاع وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتها ، وقال عطية العوفى هذه الآية كقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) وقوله (ولله عاقبة الأمور) كقوله تعالى (والعاقبة للمتقين) وقال زيد بن أسلم (ولله عاقبة الأمور) وعند الله ثواب ما صنعوا

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَٰبُ

مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾

يقول تعالى مسليا لنبيه محمد ﷺ فى تكذيب من خالفه من قومه (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح — إلى أن قال — وكذب موسى) أى مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات (فأمليت للكافرين) أى أنظرتهم وأخرتهم (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أى فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتى لهم؟! وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه أنا ربكم الأعلى وبين إهلاك الله له أربعون سنة وفى الصحيحين عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) ثم قال تعالى (فكأين من قرية أهلكناها) أى كم من قرية أهلكتها (وهى ظالمة) أى مكذبة لرسلها (فهى خاوية على عروشها) قال الضحاك سقوفها أى قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها (وبئر معطلة) أى لا يستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة واردیها والازدحام عليها (وقصر مشيد) قال عكرمة يعنى المبيض بالجص وروى عن على بن أبى طالب ومجاهد وعطاء وسعيد ابن جبير وأبى المليح والضحاك نحو ذلك ، وقال آخرون هو المنيف المرتفع وقال آخرون المشيد المنيع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها فانه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وقوله (أفلم يسيروا فى الأرض) أى بأبدانهم وبفكرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر والاعتبار حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن : يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح فى الأرض ثم اطلب الآثار والعبر حتى تتخرق النعلان وتتكسر العصا . وقال ابن أبى الدنيا قال بعض الحكماء أحى قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكر وموته بالزهد وقوه باليقين وذلله بالموت وقدره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام واعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره فى ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعم انقلبوا . أى فانظروا ما حل بالأمم المكذبة من النقم والنكال (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أى فيعتبرون بها (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) أى ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة وإن كانت القوة الباصرة سليمة فانها لا تنفذ إلى العبر ولا تدرى ما الخبر وما أحسن ما قاله بعض الشعراء فى هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأندلسى الشنتريني وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة

يا من يصيخ إلى داعى الشقاء وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ترى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والأثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الـ * أعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها * فراقها الثاويان البدن والحضر

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (ويستعجلونك بالعذاب) أى هؤلاء الكفار الملحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر كما قال تعالى (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة

أى هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال . قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح . فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق ، عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح فأى المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » إسناده جيد ولم يخرجوه

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح فى الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل مثلا ذكر محلها وهى المساجد التى هى أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهى بيوته التى يعبد فيها ويوحد فقال تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع) أى أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التى لاتليق فيها . كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية الكريمة (فى بيوت أذن الله أن ترفع) قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان ابن أبى خيثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المفسرين . وقال قتادة هى هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها . وقد ذكر لنا أن كعبا كان يقول : مكتوب فى التوراة إن بيوتى فى الأرض المساجد وإنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارنى فى بيتى أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر رواه عبد الرحمن ابن أبى حاتم فى تفسيره : وقد وردت أحاديث كثيرة فى بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها وذلك له محل مفرد يذكر فيه وقد كتبت فى ذلك جزءاً على حدة ولله الحمد والمنة ونحن بعون الله تعالى نذكرها هنا طرفا من ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة » أخرجاه فى الصحيحين وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا فى الجنة » وللنسائى عن عمرو بن عنبسة مثله والأحاديث فى هذا كثيرة جدا وعن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد فى الدور وأن تنظف وتطيب . رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائى ، ولأحمد وأبى داود عن سمرة بن جندب نحوه وقال البخارى قال عمر : ابن للناس ما يكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس ، وروى ابن ماجه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم » وفى إسناده ضعف . وروى أبو داود عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أمرت بتشييد المساجد » قال ابن عباس أزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد » رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذى وعن بريدة أن رجلا أنشد فى المسجد فقال من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له » رواه مسلم . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتياع وعن تناشد الأشعار فى المساجد . رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حسن . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد

فقولوا لاأربح الله تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فى المسجد فقولوا لاردها الله عليك » رواه الترمذى وقال حسن غريب ، وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا قال : خصال لاتنبغى فى المسجد : لايتخذ طريقاً ولايشهر فيه سلاح ولاينبض فيه بقوس ولاينثر فيه نبل ولايمر فيه بلحم نىء ولايضرب فيه حد ولايقتص فيه أحد ولايتخذ سوقا ، وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « جنبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها فى الجمع » ورواه ابن ماجه أيضا وفى إسنادهما ضعف ، أما أنه لايتخذ طريقا فقد كره بعض العلماء المرور فيه إلا لحاجة إذا وجد مندوحة عنه ، وفى الأثر إن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد لايصلى فيه ، وأما أنه لايشهر فيه السلاح ولاينبض فيه بقوس ولاينثر فيه نبل فلما يخشى من إصابة بعض الناس به لكثرة المصلين فيه ، ولهذا أمر رسول الله ﷺ إذا مر رجل بسهام أن يقبض على نصالها لئلا يؤذى أحدا كما ثبت ذلك فى الصحيح وأما النهى عن المرور باللحم النىء فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذا خافت التلويث ، وأما أنه لايضرب فيه حد ولا يقتص منه فلما يخشى من إيجاد النجاسة فيه من المضروب أو المقطوع ، وأما أنه لايتخذ سوقا فلما تقدم من النهى عن البيع والشراء فيه فانه إنما بنى لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لذلك الأعرابى الذى بال فى طائفة المسجد « إن المساجد لم تبن لهذا إنما بنيت لذكر الله والصلاة فيها » ثم أمر بسجل من ماء فأهريق على بوله وفى الحديث الثانى « جنبوا مساجدكم صبيانكم » وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى صبيانا يلعبون فى المسجد ضربهم بالمخفقة وهى الدرة وكان يفتش المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحداً « ومجانينكم » يعنى لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدى إلى اللعب فيها ولما يخشى من تقذيرهم المسجد ونحو ذلك « وبيعكم وشراءكم » كما تقدم « وخصوماتكم » يعنى التحاكم والحكم فيه ، ولهذا نص كثير من العلماء على أن الحاكم لاينتصب لفصل الأقضية فى المسجد بل يكون فى موضع غيره لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والألفاظ التى لاتناسبه ، ولهذا قال بعده « ورفع أصواتكم »

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا الجعد بن عبد الرحمن قال : حدثنى يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد الكندى قال : كنت قائما فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فائتنى بهذين فجئته بهما فقال من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا من أهل الطائف . قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النسائى : حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : سمع عمر صوت رجل فى المسجد فقال ، أتدرى أين أنت ؟ وهذا أيضا صحيح وقوله « وإقامة حدودكم وسل سيوفكم » تقدما وقوله « واتخذوا على أبوابها المطاهر » يعنى المراحيض التى يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة . وقد كانت قريبا من مسجد رسول الله ﷺ آبار(1) يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضئون وغير ذلك . وقوله « وجمروها فى الجمع » يعنى بخروها فى أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ ، وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا عبيد الله حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر كان يجمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة . إسناده حسن لابأس به والله أعلم وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفا » وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لايخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة . فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه . ولايزال فى صلاة ما انتظر الصلاة . وعند الدارقطنى مرفوعا « لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » وفى السنن « بشر المشائين إلى المساجد فى الظلم بالنور التام يوم القيامة » ويستحب لمن دخل المسجد أن يبدأ برجله اليمنى وأن يقول كما ثبت فى صحيح البخارى(2) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول

(1) فى النسخة المكية : أباريق (2) هو فى أبى داود .

للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب » وقوله تعالى (يعبدونني لا يشركون بي شيئا) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس أن معاذ بن جبل حدثه قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ على حمار ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل قال « يامعاذ » قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال : ثم سار ساعة ثم قال « يامعاذ بن جبل » قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل » قلت لبيك يارسول الله وسعديك قال « هل تدرى ما حق الله على العباد ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » قال ثم سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل » قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال « فهل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قال قلت الله ورسول أعلم قال « فإن حق العباد على الله أن لا يعذبهم » أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) أى فمن خرج عن طاعتى بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما ، فالصحابة رضى الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عزوجل وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب وأيدهم تأييدا عظيما وحكموا في سائر العباد والبلاد ، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة - وفي رواية حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك - وفي رواية - حتى يقاتلوا الدجال - وفي رواية - حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون » وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ وَمَأْوَيٰهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين باقامة الصلاة وهى عبادة الله وحده لاشريك له وإيتاء الزكاة وهى الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين لرسول الله ﷺ أى سالكين وراءه فيما به أمرهم ، وترك ما عنه زجرهم ، لعل الله يرحمهم بذلك ، ولاشك أن من فعل هذا أن الله سيرحمهم كما قال تعالى في الآية الأخرى (أولئك سيرحمهم الله) . وقوله تعالى (لا تحسبن) أى لا تظن يا محمد أن (الذين كفروا) أى خالفوك وكذبوك (معجزين في الأرض) أى لايعجزون الله بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب ولهذا قال تعالى (ومأواهم) أى في الدار الآخرة (النار ولبئس المصير) أى بئس المآل مآل الكافرين ، وبئس القرار وبئس المهاد

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَاءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْءَايَٰتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالْقَوَٰعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض وما تقدم في أول السورة فهو استئذان

الأجانب بعضهم على بعض ، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال (الأول) من قبل صلاة الغداة لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أى في وقت القيلولة لأن الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله (ومن بعد صلاة العشاء) لأنه وقت النوم فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال لما يخشى من أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الأعمال ولهذا قال (ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أى إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم ولا عليهم إن رأوا شيئا في غير تلك الأحوال لأنه قد أذن لهم في الهجوم ولأنهم طوافون عليكم أى في الخدمة وغير ذلك . ويغتفر في الطوافين مالا يغتفر في غيرهم ولهذا روى الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الهرة « إنها ليست بنجسة إنها من الطوافين عليكم - أو والطوافات - » . ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء وكان عمل الناس بها قليلا جداً أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبدالله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخر الآية ، والآية التي في سورة النساء (وإذا حضر القسمة أولو القربى) الآية ، والآية التي في الحجرات (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي لفظ له أيضاً من حديث إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخر الآية . وروى أبو داود حدثنا ابن الصباح وابن سفيان وابن عبدة وهذا حديثه أخبرنا سفيان عن عبيدالله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن على قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به ، وقال الثوري عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال : لم تنسخ قلت فان الناس لايعملون بها فقال : الله المستعان وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلين سألاه عن الاستئذان في ثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس : إن الله ستير يحب الستر ، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله . ثم جاء الله بعد بالستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ورواه أبو داود عن القعنبي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به : وقال السدى كان اناس من الصحابة رضى الله عنهم يحبون أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله أن يأمروا المملوكين والغلمان أن لايدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا بإذن ، وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله أعلم أن رجلا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرثد صنعا للنبي ﷺ طعاما فجعل الناس يدخلون بغير إذن : فقالت أسماء يارسول الله ما أقبح هذا إنه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن فأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخرها ومما يدل على أنها محكمة لم تنسخ قوله (كذلك يبين الله لكم الآيات والله حكيم عليم) ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) يعنى إذا بلغ الأطفال الذين إنما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال يعنى بالنسبة إلى أجانبهم وإلى الأحوال التي يكون الرجل على امرأته ، وإن لم يكن في الأحوال الثلاث .

قال الأوزاعى عن يحيى بن أبي كثير إذا كان الغلام رباعيا فانه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه ، فإذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال . وهكذا قال سعيد بن جبير . وقال في قوله (كما استأذن الذين من قبلهم) يعنى كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه ، وقوله (والقواعد من النساء) قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة

ذكر محمد بن إسحق ومحمد بن سعد في الطبقات والزبير بن بكار في كتاب الفكاهة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدي بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها ＊ بميسان يسقى في زجاج وحنتم ＊ إذا شئت غنتني دهاقين قرية

ورقاصة تحنو على كل مبسم ＊ فان كنت ندماني فبالأكبر اسقني ＊ ولا تسقني بالأصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ＊ تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أي والله إنه ليسوءني ذلك ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته ، وكتب اليه عمر (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ＊ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير) ﴿ أما بعد ﴾ فقد بلغني قولك

لعل أمير المؤمنين يسوءه ＊ تنادمنا بالجوسق المتهدم

وايم الله إنه ليسوؤني وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني . فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لاتعمل لي عملا أبدا . وقد قلت ماقلت فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون مالايفعلون ولكنه ذمه عمر رضي الله عنه ولامه على ذلك وعزله به ، ولهذا جاء في الحديث « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خير له من أن يمتلئ شعراً » والمراد من هذا أن الرسول ﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم ＊ وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ＊ ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون ＊ تنزيل من رب العالمين) وهكذا قال ههنا (وإنه لتنزيل رب العالمين ＊ نزل به الروح الأمين ＊ على قلبك لتكون من المنذرين ＊ بلسان عربي مبين) إلى أن قال (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) إلى أن قال (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم ＊ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ＊ والشعراء يتبعهم الغاوون ＊ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ؟ وأنهم يقولون مالا يفعلون) وقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الداري قال لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون قالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي ﷺ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أنتم » (وذكروا الله كثيراً) قال « أنتم » (وانتصروا من بعد ماظلموا) قال « أنتم » رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحق وقد روى ابن أبي حاتم أيضا عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن الوليد بن أبي كثير عن يزيد بن عبد الله عن أبي الحسن مولى بني نوفل أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول الله ﷺ حين أنزلت هذه الآية (والشعراء يتبعهم الغاوون) يبكيان فقال رسول الله ﷺ وهو يقرؤها عليهما (والشعراء يتبعهم الغاوون) حتى بلغ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أنتم » وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا أبو مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال : لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) إلى قوله (وأنهم يقولون مالايفعلون) قال عبد الله بن رواحة يارسول الله قد علم الله أني منهم فأنزل الله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار ؟ وفي ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ماتقدم من الكلام السيء . فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام

وأهله في مقابلة ما كان يذمه ، كما قال عبد الله بن الزبعرى حين أسلم .

يارسول المليك إن لساني ＊ راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ＊ ومن مال ميله مثبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه وأكثرهم له هجواً ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يهجوه ، ويتولاه بعد ما كان قد عاداه ، وهكذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث أعطنيهن قال « نعم » قال : معاوية تجعله كاتبا بين يديك قال « نعم » قال وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال « نعم » وذكر الثالثة ولهذا قال تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) قيل معناه ذكروا الله كثيراً في كلامهم وقيل في شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق وقوله تعالى (وانتصروا من بعد ماظلموا) قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجهم - أو قال - هاجهم وجبريل معك » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل » وقوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) كقوله تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) الآية ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » قال قتادة بن دعامة في قوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) يعني من الشعراء وغيرهم ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا إياس بن أبي تميمة قال حضرت الحسن ومر عليه بجنازة نصراني فقال (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وقال عبد الله ابن أبي رباح عن صفوان بن محرز أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول قد اندق قضيب زوره (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) . وقال ابن وهب أخبرني ابن سريج الاسكندراني عن بعض الشيخة أنهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشتون عليها أو يصطلون إذا بركبان قد أقبلوا فقاموا إليهم فإذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم - قال - وصاحب لنا قائم يصلي حتى مر بهذه الآية (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يخربون البيت . وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين . والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم كما قال ابن أبي حاتم . ذكر عن يحيي بن زكريا بن يحيي الواسطي حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كتب أبي في وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين.

﴿ تفسير سورة النمل وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ＊ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ＊ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ＊ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ

كقوله تعالى (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) وكقوله عز وجل (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الواحد القهار) فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) قال مالك عن زيد بن أسلم (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال في الدنيا والآخرة ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله (وكان ذلك على الله يسيرا) أي سهلا هينا ، ثم ذكر عدله وفضله في قوله (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي يطع الله ورسوله ويستجب (نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما) أي في الجنة فانهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فانه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى (فلا تخضعن بالقول) قال السدي وغيره يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي دغل (وقلن قولا معروفا) قال ابن زيد: قولا حسنا جميلا معروفا في الخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها . وقوله تعالى (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات » وفي رواية « وبيوتهن خير لهن » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلبي روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ « من قعدت ـ أو كلمة نحوها ـ منكن في بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى » ثم قال لا نعلم . رواه عن ثابت إلا روح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور

وقال البزار أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثني عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها » ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه . وروى البزار بإسناده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها » وهذا إسناد جيد ، وقوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية . وقال قتادة (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) يقول إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال مقاتل بن حيان (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده

فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج . وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) قال كانت فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة . وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ إبليس شيئا من مثل الذي يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يسمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فيتبرج النساء للرجال قال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وقوله تعالى (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) نهاهن أولا عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين (وأطعن الله ورسوله)) وهذا من باب عطف العام على الخاص. وقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحداً إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح . وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة . وهكذا روى ابن أبي حاتم قال : حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وقال عكرمة من شاء باهلته إنها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فان كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك ﴿ الحديث الأول ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول « الصلاة يا أهل البيت ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به وقال حسن غريب ﴿حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبي إسحق أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال « الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » أبو داود الأعمى هو نفيع بن الحارث كذاب ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الإمام أيضاً أيضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي حدثنا شداد بن عمار قال دخلت على واثلة بن الأسقع رضي عنه وعنده قوم فذكروا علياً رضي الله عنه فشتموه فشتمته معهم فلما قاموا قال لي شتمت هذا الرجل قلت قد شتموه فشتمته معهم ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت بلى قال أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن علي رضي الله عنه فقالت توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا ﷺ هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق » . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه زاد في آخره قال واثلة رضي الله عنه فقلت وأنا يا رسول الله صلى الله عليك من أهلك ؟ قال صلى الله عليه

ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمه الأولى ، أى أصعبه فى أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها (والخاشعين والخاشعات) الخشوع: السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما فى الحديث « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » (والمتصدقين والمتصدقات) الصدقة هى الاحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانا إلى خلقه وقد ثبت فى الصحيحين « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وفى الحديث الآخر « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » والأحاديث فى الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته (والصائمين والصائمات) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أى يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعا وشرعا كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل فى قوله تعالى (والصائمين والصائمات) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ناسب أن يذكر بعده (والحافظين فروجهم والحافظات) أى عن [illegible]رم والمآثم إلا عن المباح كما قال عز وجل (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن على بن الأقمر عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » قال قلت يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله تعالى ؟ قال « لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه » وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فأتى على جمدان فقال « هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون » قالوا وما المفردون ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » ثم قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة قال إنه بلغنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من تعاطى الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلا سأله فقال أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله تعالى ذكراً » قال فأى الصائمين أكثر أجراً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله عز وجل ذكرا » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة . كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله ذكراً » فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل » . وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث

الواردة فى كثرة الذكر عند قوله تعالى فى هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية إن شاء الله تعالى ، وقوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أى أن الله تعالى قد أعد لهم أى هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى فانكحيه » قالت يا رسول الله أؤامر فى نفسى ؟ فبيناهما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) الآية قالت قد رضيته لى يا رسول الله منكحا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت إذا لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسى وقال ابن لهيعة عن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضى الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان أنها نزلت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فامتنعت ثم أجابت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعنى بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه يعنى والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هى وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال فذاك خاص وهذا أجمع

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال خطب النبى ﷺ على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى أستأمر أمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فنعم إذا » قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية فى سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبويها وقالا صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضيته فقد رضيناه قال صلى الله عليه وسلم « فإنى قد رضيته » قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضى الله عنه فلقد رأيتها وإنها لمن انفق بيت بالمدينة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوى عن أبى برزة الأسلمى قال إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتى لا تدخلن عليكن جليبيبا فانه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار « زوجنى ابنتك » قال نعم وكرامة يا رسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم « إنى لست أريدها لنفسى » قال فلمن يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لجليبيب » فقال يا رسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس

يعلمها ولا حبة فى ظمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) وقوله عز وجل (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) أى ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه وهو عنده فى الكتاب الأول (وما ينقص من عمره) الضمير عائد على الجنس لا على العين لأن الطويل العمر فى الكتاب وفى علم الله تعالى لا ينقص من عمره وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير وهذا كقولهم عندى ثوب ونصفه أى ونصف ثوب آخر ، وروى من طريق العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهى إلى الكتاب الذى قدرت لا يزاد عليه ، وليس أحد قدرت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهى إلى الكتاب الذى كتبت له فذلك قوله تعالى (ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول كل ذلك فى كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) قال مالفظت الأرحام من الأولاد من غير تمام ، وقال عبد الرحمن فى تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الإنسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا ، وقال قتادة: والذى ينقص من عمره فالذى يموت قبل ستين سنة ، وقال مجاهد (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) أى فى بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو أنقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ مابلغ ، وقال بعضهم بل معناه (وما يعمر من معمر) أى ما يكتب من الأجل (ولا ينقص من عمره) وهو ذهابه قليلا قليلا الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهرا بعد شهر ، وجمعة بعد جمعة ، ويوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عند الله تعالى فى كتابه . نقله ابن جرير عن أبى مالك وإليه ذهب السدى وعطاء الخراسانى ، واختاره ابن جرير الأول وهو كما قال ، وقال النسائى عند تفسير هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن يحيى بن أبى زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثنى يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه » وقد رواه البخارى ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الإيلى به

وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا الوليد بن الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله أبو سرح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبى مسجعة بن ربعى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال « إن الله تعالى لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم فى قبره فذلك زيادة العمر » وقوله عزوجل (إن ذلك على الله يسير) أى سهل عليه يسير لديه علمه بذلك وبتفصيله فى جميع مخلوقاته فان علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شىء منها

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة فى خلقه الأشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة إليها فى الأقاليم والأمصار ، والعمران والبرارى والقفار ، وهى عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك (وهذا ملح أجاج) أى مر وهو البحر الساكن الذى تسير فيه السفن الكبار ، وإنما تكون مالحة زعاقا مرة ولهذا قال (وهذا ملح أجاج) أى مر ثم قال تعالى (ومن كل تأكلون لحما طريا) يعنى السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) كما قال عزوجل (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله جل

وعلا (وترى الفلك فيه مواخر) أى تمخره وتشقه بحيزومها وهو مقدمها المسنم الذى يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره ، وقال مجاهد تمخر الريح السفن ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام ، وقوله جل وعلا (لتبتغوا من فضله) أى بأسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم (ولعلكم تشكرون) أى تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شىء منه ، بل بقدرته قد سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض الجميع من فضله ورحمته .

﴿ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم فى تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه ويأخذ من طول هذا فيزيده فى قصر هذا فيعتدلان ، ثم يأخذ من هذا فى هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفاً وشتاء (وسخر الشمس والقمر) أى والنجوم السيارات ، والثوابت الثاقبات ، بأضوائهن أجرام السموات ، الجميع يسيرون بمقدار معين . وعلى منهاج مقنن محرر ، تقديراً من عزيز عليم (كل يجرى لأجل مسمى) أى إلى يوم القيامة (ذلكم الله ربكم) أى الذى فعل هذا هو الرب العظيم الذى لا إله غيره (والذين تدعون من دونه) أى من الأصنام والأنداد التى هى على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين (ما يملكون من قطمير) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفى والحسن وقتادة وغيرهم : القطمير هو اللفافة التى تكون على نواة التمرة أى لا يملكون من السموات والأرض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) يعنى الآلهة التى تدعونها من دون الله لا تسمع دعاءكم لأنها جماد لا أرواح فيها (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) أى لا يقدرون على شىء مما تطلبون منها (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يتبرءون منكم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) وقوله تعالى (ولا ينبئك مثل خبير) أى ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها قال قتادة يعنى نفسه تبارك وتعالى فانه أخبر بالواقع لا محالة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾

يخبر تعالى بغنائه عما سواه وبافتقار المخلوقات كلها إليه وتذللها بين يديه فقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) أى هم محتاجون إليه فى جميع الحركات والسكنات . وهو تعالى الغنى عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل (والله هو الغنى الحميد) أى هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له وهو الحميد فى جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه ، وقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أى لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع ولهذا قال تعالى (وما ذلك على الله بعزيز) . وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى يوم القيامة (وإن تدع مثقلة إلى حملها) أى وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه

عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لايحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ورواه أبو داود والترمذى من حديث أسامة بن زيد الليثى به وحسنه الترمذى. وقد روى عن ابن عباس والحسن البصرى وغيرهما أنهم قالوا فى قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعنى فى مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى انهضوا للقتال وقال قتادة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل إذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا إذا كانوا عند النبى ﷺ فى بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه، عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا انهم إذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى لاتعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو اذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصا فى حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لايضيع ذلك له بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى خبير بمن يستحق ذلك وبمن لايستحقه ، قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبى الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادى ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض قاص ، فقال عمر رضى الله عنه أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهرى به ، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد فى ذلك من الأحاديث مستقصاة فى شرح كتاب العلم من صحيح البخارى ولله الحمد والمنة

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجى رسول الله ﷺ أى يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدى ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فان لم تجدوا) أى إلا من عجز عن ذلك لفقره (فإن الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها . ثم قال تعالى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أى أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا على بن أبى طالب قدم دينارا صدقة تصدق به ثم ناجى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال على رضى الله عنه : آية فى كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى ، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم

الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) الآية . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبى الجعد عن على بن علقمة الأنمارى عن على رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ « ماترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقون قال « نصف دينار » قال لايطيقون قال « ماترى ؟ » قال شعيرة فقال له النبى ﷺ « إنك لزهيد » قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) قال على : فبي خفف الله عن هذه الأمة . ورواه الترمذى عن سفيان بن وكيع عن يحي بن آدم عن عبيد الله الأشجعى عن سفيان الثورى عن عثمان ابن المغيرة الثقفى عن سالم بن أبى الجعد عن على بن علقمة الأنمارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) إلى آخرها قال لى النبى ﷺ « ما ترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعنى وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحي بن آدم به . وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة – إلى – فان الله غفور رحيم) كان المسلمون يقدمون بين يدى النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصرى فى قوله تعالى (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) نسختها الآية التى بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) إلى آخرها . وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبى الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال على ما عمل بها أحد غيرى حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين فى موالاتهم الكفار فى الباطن وهم فى نفس الأمر لامعهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم فى الباطن ثم قال تعالى (ماهم منكم ولا منهم) أى هؤلاء المنافقون ليسوا فى الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۞ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالانفاق والمراد به الصدقة ههنا قاله ابن عباس من طيبات مارزقهم من الأموال التى اكتسبوها قال مجاهد : يعنى التجارة بتيسيره إياهالهم وقال على والسدى (من طيبات ما كسبتم) يعنى الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التى أنبتهالهم من الأرض قال ابن عباس أمرهم بالانفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فان الله طيب لايقبل إلا طيباً ولهذا قال (ولا تيمموا الخبيث) أى تقصدوا الخبيث (منه تنفقون ولستم بآخذيه) أى لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه فالله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون وقيل معناه (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون) أى لاتعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا إلى الحرام فتجعلوا نفقتكم منه . ويذكر ههنا الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا إسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ولايعطى الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولايؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ـ قالوا : ومابوائقه يانبى الله ؟ قال : غشه وظلمه ولايكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لايمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لايمحو الخبيث » والصحيح القول الأول قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا الحسين بن عمر العنقزى حدثنى أبى عن أسباط عن السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى قول الله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) الآية قال . نزلت فى الأنصار كانت الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها البسر فعلقوه على حبل بين الاسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع أقناء البسر يظن أن ذلك جائز فأنزل الله فيمن فعل ذلك (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ثم رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والحاكم فى مستدركه من طريق السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بنحوه وقال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك عن البراء رضى الله عنه (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) قال : نزلت فينا كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتى الرجل بالقنو فيعلقه فى المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لايرغبون فى الخير يأتى بالقنو الحشف والشيص فيأتى بالقنو قد انكسر فيعلقه فنزلت (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) قال لو أن أحدكم أهدى له مثل ماأعطى ما أخذه إلا على اغماض وحياء فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ماعنده وكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن عبيد الله هو ابن موسى العبسى عن إسرائيل عن السدى وهو إسماعيل بن عبد الرحمن عن أبى مالك الغفارى واسمه غزوان عن البراء فذكر نحوه ثم قال وهذا حديث حسن غريب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا سليمان بن كثير عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم نهى عن لونين من التمر الجعرور والحبيق[1] وكان الناس يتيممون شرار ثمارهم ثم يخرجونها فى الصدقة فنزلت (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ورواه أبو داود من حديث سفيان بن حسين عن الزهرى ثم قال أسنده أبو الوليد عن سليمان بن كثير عن الزهرى ولفظه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجعرور ولون الحبيق أن يؤخذ فى الصدقة وقد روى النسائى هذا الحديث من طريق عبد الجليل بن حميد اليحصبى عن الزهرى عن أبى أمامة ولم يقل عن أبيه فذكر نحوه وكذا رواه ابن وهب عن عبد الجليل وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا يحى بن المغيرة حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن مغفل فى هذه الآية (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) قال كسب المسلم لا يكون خبيثا ولكن لايصدق بالحشف والدرهم الزيف ومالا خير فيه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن حماد هو ابن سليمان عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت أتى رسول الله ﷺ بضب فلم يأكله ولم ينه عنه قلت : يا رسول الله نطعمه المساكين قال « لا تطعموهم مما لا تأكلون » ثم رواه عن عفان عن حماد بن سلمة به فقلت يا رسول الله ألا أطعمه المساكين ؟ قال « لا تطعموهم مما لا تأكلون » وقال الثورى : عن السدى عن أبى مالك عن البراء (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) يقول لو كان لرجل على رجل[2] فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه ؟ رواه ابن جرير وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه قال فذلك قوله (إلا أن تغمضوا فيه) فكيف ترضون لى مالا ترضون لأنفسكم وحق عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه ؟ رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وزاد وهو قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ثم روى من طريق العوفى وغيره عن ابن عباس نحو ذلك وكذا ذكره غير واحد

وقوله (واعلموا أن الله غنى حميد) أى وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غنى عنها وما ذاك إلا أن يساوى الغنى الفقير كقوله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وهو غنى عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء إليه وهو واسع الفضل لا ينفد مالديه فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غنى واسع العطاء كريم جواد وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد أى المحمود فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه

وقوله (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان » ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) الآية وهكذا رواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير من سننهما جميعاً عن هناد بن السرى وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن أبى يعلى الموصلى عن هناد به وقال الترمذى حسن غريب وهو حديث أبى الأحوص يعنى سلام بن سليم لانعرفه مرفوعا إلا من حديثه ، كذا قال وقد رواه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره عن محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب عن أبى الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن ابن مسعود فجعله من قوله والله أعلم ، ومعنى قوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر) أى يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه فى مرضاة الله (ويأمركم بالفحشاء) أى مع نهيه إياكم عن الانفاق خشية الاملاق ، يأمركم بالمعاصى والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق قال تعالى (والله يعدكم مغفرة منه) أى فى مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء (وفضلا) أى فى مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر (والله واسع عليم)

(١) الجعرور بضم الجيم . والحبيق بضم المهملة : نوعان من الدقل وهو بالتحريك : التمر الردىء اليابس (٢) كذا والمراد حق .

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق ، فقال تعالى : ولا يحزنك ذلك (إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) أى حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبا فى الآخرة (ولهم عذاب عظيم) : ثم قال تعالى مخبرا عن ذلك إخبارا مقررا (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) أى استبدلوا هذا بهذا (لن يضروا الله شيئا) أى ولكن يضرون أنفسهم (ولهم عذاب أليم)؛ ثم قال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) كقوله (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) وكقوله (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وكقوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) . ثم قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أى لابد أن يعقد شيئا[1] من المحنة ، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه . يعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر ، يعنى بذلك يوم أحد الذى امتحن الله به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ ، وهتك به ستار المنافقين. فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) قال مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : ميز بينهم بالجهاد والهجرة ، وقال السدى : قالوا إن كان محمد صادقا فليخبرنا عمن يؤمن به منا ومن يكفر به فأنزل الله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أى حتى يخرج المؤمن من الكافر روى ذلك كله ابن جرير ـ ثم قال تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى أنتم لا تعلمون غيب الله فى خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا مايعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك . ثم قال تعالى (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) كقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسله) أى أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرع لكم (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) . وقوله تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم) أى لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضرة عليه فى دينه ، وربما كان فى دنياه . ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) ، قال البخارى : حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه ـ يعنى بشدقيه ـ ثم يقول أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا هذه الآية (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) إلى آخر الآية : تفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح به

(١) فى نسخة الأزهر : سببا

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال « إن الذى لا يؤدى زكاة ماله يمثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان ثم يلزمه يطوقه يقول : أنا مالك أنا كنزك » وهكذا رواه النسائى عن الفضل بن سهل عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة به ثم قال النسائى ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن عن أبيه عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة (قلت) ولا منافاة بين الروايتين ، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين والله أعلم ، وقد ساقه الحافظ أبوبكر بن مردويه من غير وجه عن أبى صالح عن أبى هريرة. ومن حديث محمد بن حميد[1] عن زياد الخطمى عن أبى هريرة به (حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن جامع عن أبى وائل عن عبد الله عن النبى ﷺ قال « مامن عبد لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه[2] يفر منه فيتبعه فيقول[3] أنا كنزك » ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جامع بن أبى راشد ، زاد الترمذى وعبد الملك بن أعين كلاهما عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى بكر بن عياش وسفيان الثورى كلاهما عن أبى إسحق السبيعى عن أبى وائل عن ابن مسعود به ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفا . (حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن ثوبان عن النبى ﷺ قال « من ترك بعده كنزا مثل له شجاعا أقرع[4] له زبيبتان يتبعه فيقول : من أنت ويلك فيقول : أنا كنزك الذى خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبع سائر جسده » إسناده جيد قوى ولم يخرجوه . وقد رواه الطبرانى عن جرير بن عبد الله البجلى ورواه ابن جرير وابن مردويه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال « لا يأتى الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إياه إلا دعا له يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذى منع » لفظ ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن أبى قزعة عن رجل عن النبى ﷺ قال « مامن ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه إلا خرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه » ثم رواه من طريق أخرى عن أبى قزعة واسمه حجر بن بيان عن أبى مالك العبدى موقوفا ، ورواه من وجه آخر عن أبى قزعة مرسلا . وقال العوفى عن ابن عباس : نزلت فى أهل الكتاب الذين بخلوا بما فى أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها ، رواه ابن جرير والصحيح الأول وإن دخل هذا فى معناه ، وقد يقال إن هذا أولى بالدخول والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) أى (فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل . فقدموا من أموالكم ماينفعكم يوم معادكم (والله بما تعملون خبير) أى بنياتكم وضمائركم

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ * ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس . لما نزل قوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قالت اليهود . يا محمد . افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء)

(١) فيها ابن أبى حية (٢) وفيها : وهو يتبعه (٣) وفيها ويقول (٤) زاد فيها يوم القيامة .

مالم يتفرقا » وذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث أحمد والشافعى وأصحابهما وجمهور السلف والخلف ، ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام بحسب ما يتبين فيه مال البيع ولو إلى سنة فى القرية ونحوها كما هو المشهور عن مالك رحمه الله وصححوا بيع المعاطاة مطلقا وهو قول فى مذهب الشافعى ، ومنهم من قال يصح بيع المعاطاة فى المحقرات فيما يعده الناس بيعا وهو اختيار طائفة من الأصحاب كما هو متفق عليه وقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) أى بارتكاب محارم الله وتعاطى معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل (إن الله كان بكم رحيما) أى فيما أمركم به ونهاكم عنه . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبى حبيب عن عمران بن أبى أنس عن عبد الرحمن ابن جبير عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قال : لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال احتلمت فى ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابى صلاة الصبح قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال « ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جنب » قال : قلت يا رسول الله إنى احتلمت فى ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) فتيممت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وهكذا رواه أبو داود من حديث يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبى حبيب به ورواه أيضا عن محمد بن أبى سلمة عن ابن وهب عن ابن لهيعة وعمرو بن الحارث كلاهما عن يزيد بن أبى حبيب عن عمران بن أبى أنس عن عبد الرحمن بن جبير المصرى عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص عنه فذكر نحوه وهذا والله أعلم أشبه بالصواب . وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد البلخى حدثنا محمد بن صالح بن سهل البلخى حدثنا عبد الله بن عمر القواريرى حدثنا يوسف بن خالد حدثنا زياد ابن سعد عن عكرمة عن ابن عباس أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فدعاه فسأله عن ذلك فقال يارسول الله خفت أن يقتلنى البرد وقد قال الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) الآية فسكت عنه رسول الله ﷺ ، ثم أورد ابن مردويه عند هذه الآية الكريمة من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها بطنه يوم القيامة فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا[1] » وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين وكذلك رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه وعن أبى قلابة [1] عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة » وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم من طريق أبى قلابة . وفى الصحيحين من حديث الحسن عن جندب بن عبد الله البجلى قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح فأخذ سكينا نحر بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله عز وجل عبدى بادرنى بنفسه حرمت عليه الجنة » ولهذا قال تعالى (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما) أى ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه معتديا فيه ظالما فى تعاطيه أى عالما بتحريمه متجاسرا على انتهاكه (فسوف نصليه نارا) الآية وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد وقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية أى إذا اجتنبتم كبائر الآثام التى نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة ولهذا قال (وندخلكم مدخلا كريما) وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا خالد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس رفعه قال : لم نر مثل الذى بلغنا عن ربنا عز وجل ثم لم نخرج له عن كل أهل ومال أن تجاوز لنا عما دون الكبائر يقول الله (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم عن مغيرة عن أبى معشر عن إبراهيم عن مربع الضبى عن سلمان الفارسى قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم « أتدرى ما يوم الجمعة » قلت هو اليوم الذى جمع الله فيه أباكم قال « لكن أدرى ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتى الجمعة فينصت حتى يقضى الإمام صلاته إلا كانت كفارة له

(١) فى نسخة الأزهر : ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو متردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا .

ما بينها وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة » وقد روى البخارى من وجه آخر عن سلمان نحوه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنى المثنى حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثنى خالد عن سعيد بن أبى هلال عن نعيم المجمر أخبرنى صهيب مولى الصوارى أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد يقولان خطبنا رسول الله ﷺ يوما فقال « والذى نفسى بيده » ثلاث مرات ثم أكب فأكب كل رجل منا يبكى لا ندرى ماذا حلف عليه ثم رفع رأسه وفى وجهه البشرى فكان أحب إلينا من حمر النعم فقال : « ما من عبد يصلى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة ثم قيل له ادخل بسلام » وهكذا رواه النسائى والحاكم فى مستدركه من حديث الليث بن سعد به ورواه الحاكم أيضا وابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال به ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (تفسير هذه السبع) وذلك بما ثبت فى الصحيحين من حديث سليمان بن هلال عن ثور بن زيد عن سالم أبى الغيث عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل يارسول الله وما هن ؟ قال « الشرك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، والسحر ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (طريق أخرى عنه) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا فهد بن عوف حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الكبائر سبع أولها الإشراك بالله ، ثم قتل النفس بغير حقها وأكل الربا وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر والفرار من الزحف ورمى المحصنات والانقلاب إلى الأعراب بعد الهجرة » فالنص على هذه السبع بأنهن كبائر لا ينفى ما عداهن إلا عند من يقول بمفهوم اللقب وهو ضعيف عند عدم القرينة ولا سيما عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم كما سنورده من الأحاديث المتضمنة من الكبائر غير هذه السبع فمن ذلك ما رواه الحاكم فى مستدركه حيث قال : حدثنا أحمد بن كامل القاضى إملاء حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد حدثنا معاذ بن هانىء حدثنا حرب بن شداد حدثنا يحيى ابن أبى كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير عن أبيه يعنى عمير بن قتادة رضى الله عنه أنه حدثه وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال فى حجة الوداع « ألا إن أولياء الله المصلون من يقم الصلوات الخمس التى كتب الله عليه ، ويصوم رمضان ويحتسب صومه يرى أنه عليه حق ويعطى زكاة ماله يحتسبها ويجتنب الكبائر التى نهى الله عنها » ثم إن رجلا سأله فقال يا رسول الله ما الكبائر ؟ فقال « تسع[1] : الشرك بالله . وقتل نفس مؤمن بغير حق وفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وقذف المحصنة وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا ثم لا يموت رجل لا يعمل هؤلاء الكبائر . ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة إلا كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى دار مصانعها من ذهب » هكذا رواه الحاكم مطولا وقد أخرجه أبو داود والنسائى مختصرا من حديث معاذ بن هانىء به وكذا رواه ابن أبى حاتم من حديثه مبسوطا ثم قال الحاكم رجاله كلهم يحتج بهم فى الصحيحين إلا عبد الحميد بن سنان (قلت) وهو حجازى لا يعرف إلا بهذا الحديث وقد ذكره ابن حبان فى كتاب الثقات . وقال البخارى فى حديثه نظر وقد رواه ابن جرير عن سليمان بن ثابت الجحدرى عن سالم بن سلام عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبى كثير عن عبيد بن عمير عن أبيه فذكره ولم يذكر فى الاسناد عبد الحميد بن سنان والله أعلم (حديث آخر فى معنى ما تقدم) قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن يونس حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا عبد العزيز عن مسلم بن الوليد عن المطلب عن عبد الله بن حنطب عن ابن عمر قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فقال « لا أقسم لا أقسم » ثم نزل فقال : « أبشروا أبشروا من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر السبع نودى من أبواب الجنة ادخل » قال عبد العزيز : لا أعلمه قال إلا « بسلام » وقال المطلب : سمعت من سأل عبد الله بن عمر سمعت رسول الله ﷺ يذكرهن ؟ قال : نعم « عقوق الوالدين ، وإشراك بالله ، وقتل النفس وقذف المحصنات ، وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف ، وأكل الربا » (حديث آخر فى معناه) قال أبو جعفر بن جرير فى التفسير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا زياد بن مخراق عن طيسلة بن مياس قال : كنت مع النجدات[2] فأصبت ذنوبا لا أراها إلا

(١) قوله : تسع الخ : هكذا فى النسخ وحرر العدد (٢) مياس فى الأميرية، وفى نسخة الأزهر : النجدات، وفى ابن جرير : الحدثان .

من استدل بهذه الآية على أن صلاة الخوف منسوخة بعد النبي ﷺ لقوله (وإذا كنت فيهم) فبعده تفوت هذه الصفة فانه استدلال ضعيف ويرد عليه مثل قول مانعي الزكاة الذين احتجوا بقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) قالوا فنحن لا ندفع زكاتنا بعده ﷺ إلى أحد ، بل نخرجها نحن بأيدينا على من نراه ، ولا ندفعها إلا إلى من صلاته أى دعاؤه سكن لنا ، ومع هذا رد عليهم الصحابة وأبوا عليهم هذا الاستدلال وأجبروهم على أداء الزكاة وقاتلوا من منعها منهم ؛ ولنذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة أولا قبل ذكر صفتها . قال ابن جرير حدثنى ابن المثنى حدثنى إسحق حدثنا عبدالله بن هاشم أنبأنا سيف عن أبى روق عن أبى أيوب عن على رضى الله عنه قال : سأل قوم من بنى النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله إنا نضرب فى الأرض فكيف نصلى ؟ فأنزل الله عز وجل (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ثم انقطع الوحى ، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبى صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر ، فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم . فقال قائل منهم إن لهم أخرى مثلها فى إثرها قال فأنزل الله عز وجل بين الصلاتين (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآيتين فنزلت صلاة الخوف وهذا سياق غريب جدا ، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبى عياش الزرقى واسمه زيد بن الصامت رضى الله عنه عند الإمام أحمد وأهل السنن فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثورى عن منصور عن مجاهد عن أبى عياش الزرقى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر فقالوا لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، ثم قالوا يأتى عليهم الآن صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال فحضرت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح قال : فصفنا خلفه صفين قال : ثم ركع فركعنا جميعا ، ثم رفع فرفعنا جميعا ، ثم سجد النبى ﷺ بالصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا فى مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم ركع فركعوا جميعا ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم والصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا . ثم سلم عليهم . ثم انصرف قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بعسفان . ومرة بأرض بنى سليم . ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه ، وهكذا رواه أبوداود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائى من حديث شعبة وعبد العزيز بن عبد الصمد كلهم عن منصور به ؛ وهذا إسناد صحيح وله شواهد كثيرة ، فمن ذلك ماروواه البخارى حيث قال : حدثنا حيوة بن شريح حدثنا محمد بن حرب عن الزبيدى عن الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام النبى ﷺ وقام الناس معه ، فكبر وكبروا معه ، وركع وركع ناس منهم . ثم سجد وسجدوا معه ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم فى الصلاة ، ولكن يحرس بعضهم بعضاً . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن سليمان بن قيس اليشكرى أنه سأل جابر بن عبدالله عن اقصار الصلاة أى يوم أنزل أو أى يوم هو ، فقال جابر : انطلقنا نتلقى عيرا لقريش آتية من الشام حتى إذا كنا بنخلة جاء رجل من القوم إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد هل تخافنى ، قال « لا » قال فمن يمنعك منى ، قال « الله يمنعنى منك » قال : فسل السيف ثم تهدده وأوعده ، ثم نادى بالترحل وأخذ السلاح ثم نودى بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ بطائفة من القوم وطائفة أخرى تحرسهم : فصلى بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم فقاموا فى مصاف أصحابهم ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين ، والآخرون يحرسونهم ثم سلم فكانت للنبى صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين ، فيومئذ أنزل الله فى اقصار الصلاة وأمر المؤمنين بأخذ السلاح . ورواه الإمام أحمد فقال : حدثنا شريح حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سليمان بن قيس اليشكرى عن جابر بن عبدالله قال قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالسيف فقال : من يمنعك منى ؟ قال « الله » فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ومن يمنعك منى » قال : كن خير آخذ قال « أتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » ؟ قال لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله ، فقال جئتكم من عند خير الناس ، فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فكان الناس طائفتين ، طائفة بازاء العدو ، وطائفة صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالطائفة الذين معه ركعتين وانصرفوا فكانوا مكان الطائفة الذين كانوا بازاء العدو ثم انصرف الذين كانوا بازاء العدو فصلوا مع رسول الله ﷺ ركعتين فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين تفرد به من هذا الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم حدثنا المسعودى عن يزيد الفقير قال سألت جابر بن عبد الله عن الركعتين فى السفر أقصرهما فقال : الركعتان فى السفر تمام إنما القصر واحدة عند القتال بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى قتال إذ أقيمت الصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف بطائفة وطائفة وجهها قبل العدو فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم الذين خلفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله ﷺ فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس وسلم ، وسلم الذين خلفه ، وسلم أولئك فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، وللقوم ركعة ركعة ، ثم قرأ (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف فقام صف بين يديه وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين ، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا فى مقام أصحابهم ، وجاء أولئك حتى قاموا فى مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدتين ثم سلم ، فكانت للنبى صلى الله عليه وسلم ركعتين ولهم ركعة . ورواه النسائى من حديث شعبة ولهذا الحديث طرق عن جابر وهو فى صحيح مسلم من وجه آخر بلفظ آخر ، وقد رواه عن جابر جماعة كثيرون فى الصحيح والسنن والمسانيد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبدالله بن المبارك أنبأنا معمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) قال هى صلاة الخوف . صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مقبلة على العدو ، وأقبلت الطائفة الأخرى التى كانت مقبلة على العدو فصلى بهم رسول الله ﷺ ركعة أخرى ثم سلم بهم ، ثم قامت كل طائفة منهم فصلت ركعة ركعة . وهذا الحديث رواه الجماعة فى كتبهم من طريق معمر به ، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن الجماعة من الصحابة ، وقد أجاد الحافظ أبو بكر بن مردويه فى سرد طرقه وألفاظه ، وكذا ابن جرير ولنحرره فى كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة ، وأما الأمر بحمل السلاح فى صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية وهو أحد قولى الشافعى ويدل عليه قول الله تعالى (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) أى بحيث تكونون على أهبة إذا احتجتم إليها لبستموها بلا كلفة (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا)

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا * وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف وإن كان مشروعا مرغبا فيه أيضا بعد غيرها ولكن هاهنا آكد لما وقع فيها من التخفيف فى أركانها ، ومن الرخصة فى الذهاب فيها والاياب وغير ذلك مما ليس يوجد فى غيرها كما قال تعالى فى الأشهر الحرم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وإن كان هذا منهيا عنه فى غيرها ، ولكن فيها آكد لشدة حرمتها

حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس فى رواية العوفى عنه وبه قال مجاهد وعمرو بن شعيب ومحمد بن إسحق وقتادة والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها بقوله (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) ثم قال (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) أى إذا انقضت الأشهر الأربعة التى حرمنا عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتى بيان حكمها فى آية أخرى بعد فى هذه السورة الكريمة، وقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) أى من الأرض وهذا عام والمشهور تخصيصه بتحريم القتال فى الحرم بقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم) وقوله (وخذوهم) أى وأسروهم إن شئتم قتلا وإن شئتم أسرا وقوله (واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) أى لاتكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم بالحصار فى معاقلهم وحصونهم والرصد فى طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام ولهذا قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) ولهذا اعتمد الصديق رضى الله عنه فى قتال مانعى الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال وهى الدخول فى الإسلام والقيام بأداء واجباته ونبه بأعلاها على أدناها فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التى هى حق الله عزوجل وبعدها أداء الزكاة التى هى نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج وهى أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين، ولهذا كثيرا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة. وقد جاء فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » الحديث وقال أبو إسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال: يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه!

وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحق أنبأنا عبد الله بن المبارك أنبأنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم » ورواه البخارى فى صحيحه وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدى حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئا فارقها والله عنه راض » قال: وقال أنس: هو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما أنزل، قال الله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) قال: توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ثم قال فى آية أخرى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين) ورواه ابن مردويه ورواه محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة له. حدثنا إسحق بن إبراهيم أنبأنا حكام بن سلمة حدثنا أبو جعفر الرازى به سواء وهذه الآية الكريمة هى آية السيف التى قال فيها الضحاك بن مزاحم إنها نسخت كل عهد بين النبى ﷺ وبين أحد من المشركين وكل عقد وكل مدة وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلاخ الأشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية: قال أمره الله تعالى أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا فى الإسلام، ونقض ما كان سمى لهم من العهد والميثاق، وأذهب الشرط الأول. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا إسحق بن موسى الأنصارى قال: قال سفيان بن عيينة قال على بن أبى طالب بعث النبى ﷺ بأربعة أسياف سيف فى المشركين من العرب، قال الله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) هكذا رواه مختصرا وأظن أن السيف الثانى هو قتال

أهل الكتاب لقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (والسيف الثالث) قتال المنافقين فى قوله (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين) الآية (والرابع) قتال الباغين فى قوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) ثم اختلف المفسرون فى آية السيف هذه فقال الضحاك والسدى هى منسوخة بقوله تعالى (فإما منا بعد وإما فداء) وقال قتادة بالعكس

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (وإن أحد من المشركين) الذين أمرتك بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم (استجارك) أى استأمنك فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله أى القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله (ثم أبلغه مأمنه) أى وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه (ذلك بأنه قوم لا يعلمون) أى إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر [illegible] الله فى عباده، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى تفسير هذه الآية قال إنسان يأتيك ليسمع ما تقول وما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء، ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطى الأمان لمن جاءه مسترشدا أو فى رسالة، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود ومكرز بن حفص وسهيل بن عمرو وغيرهم واحدا بعد واحد يترددون فى القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم، ولهذا أيضا لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ قال له أتشهد أن مسيلمة رسول الله؟ قال نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك » وقد قيض الله له ضرب العنق فى إمارة ابن مسعود على الكوفة، وكان يقال له ابن النواحة ظهر عنه فى زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة فأرسل اليه ابن مسعود فقال له إنك الآن لست فى رسالة وأمر به فضربت عنقه لا رحمه الله ولعنه. والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الاسلام فى أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب من الإمام أو نائبه أمانا أعطى أمانا ما دام مترددا فى دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه، لكن قال العلماء لا يجوز أن يمكن من الاقامة فى دار الاسلام سنة، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الإمام الشافعى وغيره من العلماء رحمهم الله

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

يبين تعالى حكمته فى البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر ثم بعد ذلك السيف المرهف أين ثقفوا فقال تعالى (كيف يكون للمشركين عهد) أى أمان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يعنى يوم الحديبية كما قال تعالى (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله) الآية (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أى مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين (فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون. استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذى القعدة فى سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد وما لؤا حلفاءهم وهم بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم معهم فى الحرم أيضا فعند ذلك غزاهم

بإحسان : فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أوسب بعضهم ، ولاسيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه فان الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم . عياذا بالله من ذلك . وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى الله عنهم ؟ وأما أهل السنة فانهم يترضون عمن رضى الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالى الله ويعادون من يعادى الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون، وهؤلاء هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن فى أحياء العرب ممن حول المدينة منافقون ، وفى أهل المدينة أيضا منافقون (مردوا على النفاق) أى مرنوا واستمروا عليه ومنه يقال شيطان مريد ومارد ويقال تمرد فلان على الله أى عتا وتجبر ، وقوله (لاتعلمهم نحن نعلمهم) لاينا فى قوله تعالى (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول) لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم أن فى بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقا وإن كان يراه صباحا ومساء ، وشاهد هذا بالصحة ما رواه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم عن رجل عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قلت : يا رسول الله إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة فقال « لتأتينكم أجوركم ولو كنتم فى جحر ثعلب » وأصغى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال « إن فى أصحابى منافقين » ومعناه أنه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذى سمعه جبير بن مطعم ، وتقدم فى تفسير قوله (وهموا بما لم ينالوا) أنه صلى الله عليه وسلم أعلم حذيفة بأعيان أربعة عشرة أو خمسة عشر منافقاً وهذا تخصيص لايقتضى أنه اطلع على أسمائهم وأعيانهم كلهم والله أعلم ، وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبى عمر البيروتى من طريق هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثنى شيخ ببيروت يكنى أبا عمر أظنه حدثنى عن أبى الدرداء أن رجلا يقال له حرملة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الإيمان ههنا وأشار بيده إلى لسانه : والنفاق ههنا وأشار بيده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل له لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وارزقه حبى وحب من يحبنى ، وصير أمره إلى خير » فقال يا رسول الله : إنه كان لى أصحاب من المنافقين وكنت رأسا فيهم أفلا آتيك بهم ؟ قال « من أتانا استغفرنا له ، ومن أصر فالله أولى به ، ولا تخرقن على احد سترا » قال وكذا رواه أبو أحمد الحاكم عن أبى بكر الباغندى عن هشام بن عمار به ، وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى هذه الآية أنه قال ما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان فى الجنة وفلان فى النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدرى لعمرى أنت بنفسك أعلم منك بأحوال الناس ولقد تكلفت شيئا ما تكلفه الأنبياء قبلك ، قال نبى الله نوح عليه السلام (وما علمى بما كانوا يعملون) وقال نبى الله شعيب عليه السلام (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (لا تعلمهم نحن نعلمهم) وقال السدى عن أبى مالك عن ابن عباس فى هذه الآية قال : قام رسول صلى الله تعالى عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال « اخرج يا فلان فإنك منافق ، وأخرج يا فلان فانك منافق » فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم ، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا ، واختبؤا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم، فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر يا عمر قد فضح الله المنافقين اليوم : قال ابن عباس فهذا

العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثانى عذاب القبر ، وكذا قال الثورى عن السدى عن أبى مالك نحو هذا ، وقال مجاهد فى قوله (سنعذبهم مرتين) يعنى القتل والسبى ، وقال فى رواية بالجوع وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم ، وقال ابن جريج عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم النار ، وقال الحسن البصرى عذاب فى الدنيا وعذاب فى القبر ، وقال عبد الرحمن بن زيد : أما عذاب فى الدنيا فالأموال والأولاد وقرأ قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) فهذه المصائب لهم عذاب وهى للمؤمنين أجر ، وعذاب فى الآخرة فى النار (ثم يردون إلى عذاب عظيم) قال النار ، وقال محمد بن إسحق (سنعذبهم مرتين) قال هو فيما بلغنى ما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا اليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون اليه عذاب الآخرة والخلد فيه ، وقال سعيد عن قتادة فى قوله (سنعذبهم مرتين) عذاب الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون إلى عذاب عظيم) وذكر لنا أن نبى الله ﷺ أسر إلى حذيفة باثنى عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ فى كتف أحدهم حتى يفضى إلى صدره ، وستة يموتون موتا . وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا مات رجل ممن يرى أنه منهم نظر إلى حذيفة فإن صلى عليه وإلا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قال لا ولا أومن منها أحدا بعدك

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيبا وشكا شرع فى بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه ، وهذه الآية وإن كانت نزلت فى أناس معينين إلا أنها عامة فى كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين ، وقد قال مجاهد إنها نزلت فى أبى لبابة لما قال لبنى قريظة إنه الذبح وأشار بيده إلى حلقه ، وقال ابن عباس (وآخرون) نزلت فى أبى لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فقال بعضهم أبو لبابة وخمسة معه ، وقيل وسبعة معه ، وقيل وتسعة معه ، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسوارى المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله هذه الآية (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أطلقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم ، وقال البخارى حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء حدثنا سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ لنا « أتانى الليلة آتيان فابتعثانى فانتهيا بى إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قالا لى هذه جنة عدن وهذا منزلك ، قالا وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم » هكذا رواه البخارى مختصرا فى تفسير هذه الآية

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

أمر تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير فى أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، ولهذا اعتقد بعض مانعى الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون وإنما كان هذا خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا احتجوا بقوله

تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية ، وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبوبكر الصديق وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق : والله لو منعونى عناقا - وفى رواية عقالا - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه ، وقوله (وصل عليهم) أى ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن أبى أوفى قال : كان النبى ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبى بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبى أوفى » وفى الحديث الآخر أن امرأة قالت يارسول الله صل علىّ وعلى زوجى فقال « صلى الله عليك وعلى زوجك » وقوله (إن صلاتك سكن لهم) قرأ بعضهم صلواتك على الجمع وآخرون قرأوا إن صلاتك على الافراد (سكن لهم) قال ابن عباس رحمة لهم ، وقال قتادة وقار ، وقوله (والله سميع) أى لدعائك (عليم) أى بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له ، قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو العميس عن أبى بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحذيفة عن أبيه أن النبى ﷺ كان إذا دعا لرجل أصابته وأصابت ولده وولد ولده ، ثم رواه عن أبى نعيم عن مسعر عن أبى بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحذيفة قال مسعر وقد ذكره مرة عن حذيفة إن صلاة النبى ﷺ لتدرك الرجل وولده وولد ولده . وقوله (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منها يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها ، وأخبر تعالى أن كل من تاب اليه تاب عليه ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فان الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها حتى تصير التمرة مثل أحد ، كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ كما قال الثورى ووكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أباهريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره حتى إن اللقمة لتكون مثل أحد » وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) وقوله (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) وقال الثورى والأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبى قتادة قال : قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إن الصدقة تقع فى يد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل ثم قرأ هذه الآية (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) وقد روى ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكى الدمشقى وأصله حمصى وكان أحد الفقهاء روى عن معاوية وغيره ، وحكى عنه حوشب بن سيف السكسكى الحمصى قال غزا الناس فى زمان معاوية رضى الله عنه وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فغل رجل من المسلمين مائة دينار رومية . فلما قفل الجيش ندم وأتى الأمير فأبى أن يقبلها منه وقال : قد تفرق الناس ولن أقبلها منك حتى تأتى الله بها يوم القيامة فجعل الرجل يستقرى الصحابة فيقولون له مثل ذلك ، فلما قدم دمشق ذهب إلى معاوية ليقبلها منه فأبى عليه فخرج من عنده وهو يبكى ويسترجع فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكى فقال له مايبكيك ؟ فذكر له أمره ، فقال له أومطيعىّ أنت ؟ فقال نعم ، فقال اذهب إلى معاوية فقل له اقبل منى خمسك فادفع اليه عشرين دينارا وانظر إلى الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش فإن الله يقبل التوبة عن عباده وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ، ففعل الرجل فقال معاوية رضى الله عنه لأن أكون أفتيته بها أحب إلى من كل شىء أملكه ، أحسن الرجل

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قال مجاهد : هذا وعيد يعنى من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول ﷺ وعلى المؤمنين . وهذا كائن لامحالة يوم القيامة كما قال (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) وقال تعالى (يوم تبلى السرائر) وقال (وحصل مافى الصدور) وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس فى الدنيا كما قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أنه قال « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائنا ما كان » وقد ورد : أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر فى البرزخ كما قال أبو داود الطيالسى : حدثنا الصلت ابن دينار عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم فى قبورهم فان كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك ، وقال الإمام أحمد أنبأنا عبد الرزاق عن سفيان عمن سمع أنسا يقول : قال النبى ﷺ « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فان كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا » وقال البخارى قالت عائشة رضى الله عنها : إذا أعجبك حسن عمل امرىء مسلم فقل (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقد ورد فى الحديث شبيه بهذا قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له ، فان العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا سيئا ، وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا ، وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قبل موته » قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله ؟ قال « يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه » تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه

﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد : هم الثلاثة الذين خلفوا أى عن التوبة وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية قعدوا عن غزوة تبوك فى جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لا شكا ونفاقا فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسوارى كما فعل أبولبابة وأصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجى هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية وهى قوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) الآية (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) الآية كما سيأتى بيانه فى حديث كعب بن مالك ، وقوله (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) أى هم تحت عفو الله إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذاك ، ولكن رحمته تغلب غضبه (والله عليم حكيم) أى عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو ، حكيم فى أفعاله وأقواله لا إله إلا هو ولا رب سواه

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر فى الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة فى الجاهلية وله شرف فى الخزرج كبير ، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للاسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فارا إلى كفار مكة من مشركى قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع فى إحداهن رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر فى أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم

الله أفواجاً شرع فى قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل الكتاب فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام ، ثم اشتغل فى السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته بأحد وثمانين يوما فاختاره الله لما عنده وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به فوطد القواعد وثبت الدعائم ، ورد شارد الدين وهو راغم ، ورد أهل الردة إلى الإسلام ، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام ، وبين الحق لمن جهله ، وأدى عن الرسول ما حمله ، ثم شرع فى تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان ، وإلى الفرس عبدة النيران ، ففتح الله ببركة سفارته البلاد ، وأرغم أنفس كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد . وأنفق كنوزهما فى سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله وكان تمام الأمر على يدى وصيه من بعده ، وولى عهده الفاروق الأواب ، شهيد المحراب ، أبى حفص عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين ، وقمع الطغاة والمنافقين ، واستولى على الممالك شرقاً وغربا . وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعداً وقربا . ففرقها على الوجه الشرعى . والسبيل المرضى . ثم لما مات شهيداً وقد عاش حميداً . أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه شهيد الدار . فكسى الإسلام رياسة حلة سابغة . وأمدت فى سائر الأقاليم على رقب العباد حجة الله البالغة . فظهر الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها . وعلت كلمة الله وظهر دينه . وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها . وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار امتثالا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) وقوله تعالى (وليجدوا فيكم غلظة) أى وليجد الكفار منكم غلظة عليهم فى قتالكم لهم فان المؤمن الكامل هو الذى يكون رفيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر كقوله تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنا الضحوك القتال » يعنى أنه ضحوك فى وجه وليه قتال لهامة عدوه وقوله (واعلموا أن الله مع المتقين) أى قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إذا اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة فى غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم . ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء فى سفال وخسار ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء فى أطراف البلاد وتقدموا إليها فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض ثم تقدموا إلى حوزة الاسلام فأخذوا من الأطراف بلدانا كثيرة ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام ولله الأمر من قبل ومن بعد ، فكلما قام ملك من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله . والله المسئول المأمول أن يمكن المسلمين نواصى أعدائه الكافرين وأن يعلى كلمتهم فى سائر الأقاليم إنه جواد كريم

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾

يقول تعالى (وإذا ما أنزلت سورة) فمن المنافقين (من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) أى يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا قال الله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء . بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك . وقد بسط الكلام على هذه المسألة فى أول شرح البخارى رحمه الله (وأما الذين فى قلوبهم مرض

فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أى زادتهم شكا إلى شكهم وريبا إلى ريبهم كما قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء) الآية ، وقوله تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) وهذا من جملة شقائهم أن ما يهدى القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم كما أن سيء المزاج لو غذى بما غذى به لا يزيده إلا خبالا ونقصا .

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

يقول تعالى أولا يرى هؤلاء المنافقون (أنهم يفتنون) أى يختبرون (فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) أى لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم قال مجاهد يختبرون بالسنة والجوع وقال قتادة بالغزو فى السنة مرة أو مرتين ، وقال شريك عن جابر عن الجعفى عن أبى الضحى عن حذيفة فى قوله (أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين) قال كنا نسمع فى كل عام كذبة أو كذبتين فيضل بها فئام من الناس كثير رواه ابن جرير . وفى الحديث عن أنس : لا يزداد الأمر إلا شدة ولا يزداد الناس إلا شحا وما من عام إلا والذى بعده شر منه . سمعته من نبيكم ﷺ وقوله (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض : هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) هذا أيضا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله ﷺ (نظر بعضهم إلى بعض) أى تلفتوا (هل يراكم من أحد ثم انصرفوا) أى تولوا عن الحق وانصرفوا عنه وهذا حالهم فى الدنيا لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كقوله تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وقوله تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال عزين) أى ما لهؤلاء القوم يتفللون عنك يمينا وشمالا هروبا من الحق وذهابا إلى الباطل وقوله (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) أى لا يفهمون عن الله خطابه ولا يتصدون لفهمه ولا يريدونه بل هم فى شغل عنه ونفور منه فلهذا صاروا إلى ما صاروا اليه

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل اليهم رسولا من أنفسهم أى من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) وقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشى والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى : إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وذكر الحديث وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه فى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية وقال ﷺ « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وقد وصل هذا من وجه آخر كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى فى كتابه الفاصل بين الراوى والواعى : حدثنا أبو أحمد يوسف بن هرون بن زياد حدثنا ابن أبى عمر حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال : أشهد على أبى لحدثنى عن أبيه عن جده عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ولم يمسنى من سفاح الجاهلية شىء » وقوله تعالى (عزيز عليه ما عنتم) أى يعز عليه الشىء الذى يعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء فى الحديث المروى من طرق عنه أنه قال « بعثت بالحنيفية السمحة » وفى الصحيح « إن

وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) الآية وكقوله (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) وقد كانوا أيضا يقتلون الأولاد من الاملاق وهو الفقر أو خشية الاملاق أن يحصل لهم فى تلف المال وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من تزيين الشياطين وشرعهم ذلك ، قوله تعالى (ولو شاء الله ما فعلوه) أى كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كونا وله الحكمة التامة فى ذلك فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فذرهم وما يفترون) أى فدعهم واجتنبهم وما هم فيه فسيحكم الله بينك وبينهم

﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الحجر الحرام مما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدى وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقال قتادة (وقالوا هذا أنعام وحرث حجر) تحريم كان عليهم من الشياطين فى أموالهم وتغليظ وتشديد ولم يكن من الله تعالى ، وقال ابن زيد بن أسلم (حجر) إنما احتجروها لآلهتهم ، وقال السدى (لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) يقولون حرام أن يطعم إلا من شئنا وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) وكقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقال السدى أما الأنعام التى حرمت ظهورها فهى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وأما الأنعام التى لا يذكرون اسم الله عليها لا إذا ولدوها ولا إن نحروها . وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود قال لى أبو وائل أتدرى ما فى قوله (وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ؟) قلت لا قال هى البحيرة كانوا لا يحجون عليها ، وقال مجاهد كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شىء من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن حملوا ولا إن نتجوا ولا إن عملت شيئا (افتراء عليه) أى على الله وكذبا منهم فى إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه فانه لم يأذن لهم فى ذلك ولا رضيه منهم (سيجزيهم بما كانوا يفترون) أى عليه ويسندون إليه

﴿ وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

قال أبو إسحق السبيعى عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) الآية قال، اللبن وقال العوفى عن ابن عباس (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه وكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك وكذا قال السدى وقال الشعبى البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال وإن مات منها شىء أكله الرجال والنساء وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد فى قوله (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) قال هى السائبة والبحيرة وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة فى قول الله (سيجزيهم وصفهم) أى قولهم الكذب فى ذلك يعنى كقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع) الآية إنه (حكيم) أى فى أفعاله وأقواله وشرعه وقدره (عليم) بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَاءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

يقول تعالى قد خسر الذين فعلوا هذه الأفاعيل فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم وضيقوا عليهم فى أموالهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما فى الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم كقوله تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أيوب حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهكذا رواه البخارى منفرداً فى كتاب مناقب قريش من صحيحه عن أبى النعمان محمد بن الفضل عارم عن أبى عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله اليشكرى عن أبى بشر واسمه جعفر بن أبى وحشية عن إياس به

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى مبينا أنه الخالق لكل شىء من الزروع والثمار والأنعام التى تصرف فيها هؤلاء المشركون بآرائهم الفاسدة وقسموها وجزؤوها فجعلوا منها حراما وحلالا فقال (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس معروشات مسموكات وفى رواية فالمعروشات ما عرش الناس وغير معروشات ما خرج فى البر والجبال من الثمرات ، وقال عطاء الخراسانى عن ابن عباس معروشات ما عرش من الكرم وغير معروشات مالم يعرش من الكرم وكذا قال السدى وقال ابن جريج متشابها وغير متشابه قال متشابها فى المنظر وغير متشابه فى المطعم وقال محمد بن كعب (كلوا من ثمره إذا أثمر) قال من رطبه وعنبه ، وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ابن جرير قال بعضهم هى الزكاة المفروضة حدثنا عمرو حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الزكاة المفروضة وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) يعنى الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله وكذا قال سعيد بن المسيب ، وقال العوفى عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصد شيئاً فقال الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحد وما يلقط الناس من سنبله ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود فى سننه من حديث محمد بن إسحق حدثنى محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق فى المسجد للمساكين وهذا إسناد جيد قوى ، وقال طاوس وأبو الشعثاء وقتادة والحسن والضحاك وابن جريج هى الزكاة وقال الحسن البصرى هى الصدقة من الحب والثمار وكذا قال زيد بن أسلم وقال آخرون وهو حق آخر سوى الزكاة وقال أشعث عن محمد بن سيرين ونافع عن ابن عمر فى قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة رواه ابن مردويه وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء بن أبى رباح فى قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال يعطى من حضره يومئذ ماتيسر وليس بالزكاة وقال مجاهد إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد (وآتوا حقه يوم حصاده) قال عند الزرع يعطى القبضة

الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها . وقال مسلم حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشى حدثنا خالد بن الحارث حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن الأسود بن العلاء عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » فقلت يارسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) الآية أن ذلك تام ، قال « إنه سيكون من ذلك ماشاء الله عز وجل ، ثم يبعث الله ريحا طيبة فيتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَموَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

قال السدى : الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى وهو كما قال فإن الأحبار هم علماء اليهود كما قال تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت) والرهبان عباد النصارى والقسيسون علماؤهم كما قال تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً) والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى . وفى الحديث الصحيح « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » قالوا اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » وفى رواية فارس والروم ؟ قال « فمن الناس إلا هؤلاء ؟ » والحاصل التحذير من التشبه بهم فى أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم فى الناس يأكلون أموالهم بذلك كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجىء إليهم فلما بعث الله رسوله ﷺ استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات فأطفأها الله بنور النبوة وسلبهم إياها وعوضهم الذل والصغار وباءوا بغضب من الله تعالى . وقوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أى وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار ويوم القيامة لاينصرون . وقوله (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) الآية . هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس فإن الناس عالة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس كما قال ابن المبارك

وهل أفسد الدين إلا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها

وأما الكنز فقال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر هو المال الذى لاتؤدى زكاته ، وروى الثورى وغيره عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهرا لاتؤدى زكاته فهو كنز ، وقد روى هذا عن ابن عباس وجابر وأبى هريرة موقوفا ومرفوعا ، وقال عمر بن الخطاب نحوه أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا فى الأرض ، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض ، وروى البخارى من حديث الزهرى عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال ، وكذا قال عمر بن العزيز وعراك بن مالك نسخها قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية . وقال سعيد بن محمد بن زياد عن أبى أمامة أنه قال : حلية السيوف من الكنز . ما أحدثكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ وقال الثورى عن أبى حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن

هبيرة عن على رضى الله عنه قال : أربعة آلاف فما دونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز وهذا غريب وقد جاء فى مدح التقلل من الذهب والفضة وذم التكثر منهما أحاديث كثيرة. ولنورد منها هنا طرفا يدل على الباقى قال عبد الرزاق أخبرنا الثورى أخبرنى أبو حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على رضى الله عنه فى قوله (والذين يكنزون الذهب والفضة) الآية . قال النبى ﷺ « تبا للذهب تبا للفضة » يقولها ثلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا فأى مال نتخذ ؟ فقال عمر رضى الله عنه أنا أعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال نتخذ قال « لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه »

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبى محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثنى سالم بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن أبى الهذيل حدثنى صاحب لى أن رسول الله ﷺ قال « تبا للذهب والفضة » قال وحدثنى صاحبى أنه انطلق مع عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله قولك « تبا للذهب والفضة » ماذا ندخر ؟ قال رسول الله ﷺ « لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين على الآخرة »

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن سالم بن أبى الجعد عن ثوبان قال : لما نزل فى الذهب والفضة ما نزل قالوا فأى المال نتخذ ؟ قال عمر فأنا أعلم لكم ذلك فأوضع على بعير فأدركه وأنا فى أثره فقال يا رسول الله أى المال نتخذ ؟ قال « قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعين أحدكم على أمر الآخرة » ورواه الترمذى وابن ماجه من غير وجه عن سالم بن أبى الجعد وقال الترمذى حسن وحكى عن البخارى أن سالما لم يسمعه من ثوبان قلت ولهذا رواه بعضهم عنه مرسلا والله أعلم

(حديث آخر) قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا حميد بن مالك حدثنا يحيى بن يعلى المحاربى حدثنا أبى حدثنا غيلان بن جامع المحاربى عن عثمان بن أبى اليقظان عن جعفر بن أبى إياس عن مجاهد عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (والذين يكنزون الذهب والفضة) الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا يدع لولده مالا يبقى بعده فقال عمر : أنا أفرج عنكم فانطلق عمر واتبعه ثوبان فأتى النبى ﷺ فقال : يانبى الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية. فقال رسول الله ﷺ « إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم » قال فكبر عمر ثم قال له النبى ﷺ « ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة التى إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته » ورواه أبو داود والحاكم فى مستدركه وابن مردويه من حديث يحيى بن يعلى به وقال الحاكم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا الأوزاعى عن حسان بن عطية قال كان شداد بن أوس رضى الله عنه فى سفر فنزل منزلا فقال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها فأنكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتى هذه فلا تحفظوها على واحفظوا ما أقول لكم سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك لسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب »

وقوله تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى يقال لهم هذا الكلام تبكيتا وتقريعا وتهكما كما فى قوله (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم) أى هذا بذاك وهذا الذى كنتم تكنزون لأنفسكم ولهذا يقال من أحب شيئا وقدمه على طاعة الله عذب به وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان أبو لهب لعنه الله جاهدا فى عداوة رسول الله ﷺ وامرأته تعينه فى ذلك كانت يوم القيامة عونا على عذابه أيضا فى جيدها أى عنقها حبل من مسد أى تجمع من الحطب فى النار وتلقى عليه ليكون ذلك أبلغ فى عذابه ممن هو أشفق عليه فى الدنيا

يا حسان : فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ، ولاسيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه فان الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم . عياذا بالله من ذلك . وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى الله عنهم ؟ وأما أهل السنة فانهم يترضون عمن رضى الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالى الله ويعادون من يعادى الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون، وهؤلاء هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن فى أحياء العرب ممن حول المدينة منافقون ، وفى أهل المدينة أيضا منافقون (مردوا على النفاق) أى مرنوا واستمروا عليه ومنه يقال شيطان مريد ومارد ويقال تمرد فلان على الله أى عتا وتجبر ، وقوله (لا تعلمهم نحن نعلمهم) لاينافى قوله تعالى (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول) لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم أن فى بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقا وإن كان يراه صباحا ومساء ، وشاهد هذا بالصحة ما رواه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم عن رجل عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قلت : يا رسول الله إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة فقال « لتأتينكم أجوركم ولو كنتم فى جحر ثعلب » وأصغى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال « إن فى أصحابى منافقين » ومعناه أنه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذى سمعه جبير بن مطعم ، وتقدم فى تفسير قوله (وهموا بما لم ينالوا) أنه صلى الله عليه وسلم أعلم حذيفة بأعيان أربعة عشرة أو خمسة عشر منافقا وهذا تخصيص لا يقتضى أنه اطلع على أسمائهم وأعيانهم كلهم والله أعلم ، وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبى عمر البيروتى من طريق هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثنى شيخ ببيروت يكنى أبا عمر أظنه حدثنى عن أبى الدرداء أن رجلا يقال له حرملة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الإيمان ههنا وأشار بيده إلى لسانه : والنفاق ههنا وأشار بيده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل له لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وارزقه حبى وحب من يحبنى ، وصير أمره إلى خير » فقال يا رسول الله : إنه كان لى أصحاب من المنافقين وكنت رأسا فيهم أفلا آتيك بهم ؟ قال « من أتانا استغفرنا له ، ومن أصر فالله أولى به ، ولا تخرقن على احد سترا » قال وكذا رواه أبو أحمد الحاكم عن أبى بكر الباغندى عن هشام بن عمار به ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى هذه الآية أنه قال ما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان فى الجنة وفلان فى النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدرى لعمرى أنت بنفسك أعلم منك بأحوال الناس ولقد تكلفت شيئا ما تكلفه الأنبياء قبلك ، قال نبى الله نوح عليه السلام (وما علمى بما كانوا يعملون) وقال نبى الله شعيب عليه السلام (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (لا تعلمهم نحن نعلمهم) وقال السدى عن أبى مالك عن ابن عباس فى هذه الآية قال : قام رسول صلى الله تعالى عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال « اخرج يا فلان فإنك منافق ، وأخرج يا فلان فانك منافق » فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم ، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا ، واختبؤا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم؛ فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر يا عمر قد فضح الله المنافقين اليوم : قال ابن عباس فهذا

العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثانى عذاب القبر ، وكذا قال الثورى عن السدى عن أبى مالك نحو هذا ، وقال مجاهد فى قوله (سنعذبهم مرتين) يعنى القتل والسبى ، وقال فى رواية بالجوع وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم ، وقال ابن جريج عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم النار ، وقال الحسن البصرى عذاب فى الدنيا وعذاب فى القبر ، وقال عبد الرحمن بن زيد : أما عذاب فى الدنيا فالأموال والأولاد وقرأ قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) فهذه المصائب لهم عذاب وهى للمؤمنين أجر ، وعذاب فى الآخرة فى النار (ثم يردون إلى عذاب عظيم) قال النار ، وقال محمد بن إسحق (سنعذبهم مرتين) قال هو فيما بلغنى ماهم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا اليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون اليه عذاب الآخرة والخلد فيه ، وقال سعيد عن قتادة فى قوله (سنعذبهم مرتين) عذاب الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون إلى عذاب عظيم) وذكر لنا أن نبى الله ﷺ أسر إلى حذيفة باثنى عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ فى كتف أحدهم حتى يفضى إلى صدره ، وستة يموتون موتا . وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا مات رجل ممن يرى أنه منهم نظر إلى حذيفة فإن صلى عليه وإلا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قال لا ولا أومن منها أحدا بعدك

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيبا وشكا شرع فى بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه ، وهذه الآية وإن كانت نزلت فى أناس معينين إلا أنها عامة فى كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين ، وقد قال مجاهد إنها نزلت فى أبى لبابة لما قال لبنى قريظة إنه الذبح وأشار بيده إلى حلقه ، وقال ابن عباس (وآخرون) نزلت فى أبى لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فقال بعضهم أبو لبابة وخمسة معه ، وقيل وسبعة معه ، وقيل وتسعة معه ، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسوارى المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله هذه الآية (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أطلقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم ، وقال البخارى حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء حدثنا سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ لنا « أتانى الليلة آتيان فابتعثانى فانتهيا بى إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قالا لى هذه جنة عدن وهذا منزلك ، قالا وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم » هكذا رواه البخارى مختصرا فى تفسير هذه الآية

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

أمر تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير فى أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، ولهذا اعتقد بعض مانعى الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون وإنما كان هذا خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا احتجوا بقوله

منزلك إذ عصيت الله قال رسول صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً » قال : وقالت عائشة ويفتح له سبعة وسبعون بابا إلى النار يأتية حرها وسمومها حتى يبعثه الله إليها . هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب ويزيد الرقاشى راويه عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة والله أعلم ، ولهذا قال أبوداود حدثنا إبراهيم بن موسى الرازى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بحير عن هانىء مولى عثمان عن عثمان رضى الله عنه قال ، كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل » تفرد به أبو داود ، وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم) الآية حديثا مطولا جداً من طرق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا وفيه غرائب أيضاً

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾

قال البخارى قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) ألم تعلم كقوله (ألم تر كيف) (ألم تر إلى الذين خرجوا) البوار الهلاك بار يبور بوراً (قوما بورا) هالكين . حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) قال هم كفار أهل مكة وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية هو جبلة ابن الأيهم والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول وإن كان المعنى يعم جميع الكفار فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ومن ردها وكفرها دخل النار ، وقد روى عن على نحو قول ابن عباس الأول . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً عن (الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم كفار قريش يوم بدر ، حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا بسام هو الصيرفى عن أبى الطفيل قال جاء رجل إلى على فقال يا أمير المؤمنين من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال منافقو قريش وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل قال قرأت على معقل عن ابن أبى حسين قال : قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ألا أحد يسألنى عن القرآن فوالله لو أعلم اليوم أحداً أعلم به منى وإن كان من وراء البحار لأتيته ، فقام عبد الله بن الكواء فقال من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البور ؟ قال مشركو قريش أتتهم نعمة الله الإيمان فبدلوا نعمة الله كفراً وأحلو قومهم دار البوار .

وقال السدى[1] فى قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) الآية ذكر مسلم المستوفى عن على أنه قال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة، فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر ، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد ، وكان أبو جهل يوم بدر وأبو سفيان يوم أحد ، وأما دار البوار فهى جهنم

وقال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن يحي حدثنا الحارث أبو منصور عن إسرائيل عن أبى إسحق عن عمرو ابن مرة قال سمعت عليا قرأ هذه الآية (وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين ورواه أبو إسحق عن عمرو بن مرة عن على نحوه ، وروى من غير وجه عنه . وقال سفيان الثورى عن على بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب فى قوله (ألم تر لى الذين بدلوا نعمت الله كفراً) قال هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين . وكذا رواه حمزة الزيات عن عمرو بن مرة قال : قال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين هذه الآية (ألم تر إلى الذين نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم الأفجران

(١) فى النسخة المكية : ذكر قول السدى هنا بعد قول ابن أبى حاتم الآتى .

من قريش أخوالى وأعمامك . فأما أخوالى فاستأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين . وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر ، وكذا رواه مالك فى تفسيره عن نافع عن ابن عمر وقوله (وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله) أى جعلوا له شركاء عبدوهم معه ودعوا الناس إلى ذلك ، ثم قال تعالى مهددا لهم ومتوعدا لهم على لسان نبيه ﷺ (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) أى مهما قدرتم عليه فى الدنيا فافعلوا فمهما يكن من شىء (فإن مصيركم إلى النار) أى مرجعكم وموئلكم إليها كما قال تعالى : (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وهى عبادة الله وحده لاشريك له وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب ، والمراد بإقامتها هو المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها ، وأمر تعالى بالانفاق مما رزق فى السر أى فى الخفية والعلانية وهى الجهر، وليبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم (من قبل أن يأتى يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه ولا خلال) أى ولا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه كما قال تعالى (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) وقوله (ولا خلال) قال ابن جرير يقول ليس هناك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالفته ، بل هناك العدل والقسط، والخلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فأنا أخاله مخالة وخلالا ومنه قول امرىء القيس :

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى * ولست بمقلى للخلال ولاقالى

وقال قتادة إن الله قد علم أن فى الدنيا بيوعا وخلالا يتخالون بها فى الدنيا فينظر الرجل من يخالل وعلام يصاحب ، فان كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله فسيقطع عنه ، قلت والمراد من هذا أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحدا بيع ولا فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا لو وجده ولا تنفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقى الله كافرا قال الله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفاً محفوظاً والأرض فراشاً (وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجاً من نبات شتى) ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجرى عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر لجلب ماهنا إلى هناك ، وما هناك إلى هنا وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقا للعباد من شرب وسقى وغير ذلك من أنواع المنافع (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أى يسيران لا يفتران ليلا ولا نهاراً (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين) فالشمس والقمر يتعاقبان ، والليل والنهار يتعارضان ، فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر (يولج

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهى بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال (أكثرهم لا يعقلون) ثم أرشد تعالى إلى الأدب فى ذلك فقال عزوجل (ولوأنهم صبرواحتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) أى لكان لهم فى ذلك الخيرة والمصلحة فى الدنيا والآخرة . ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم إلى التوبة والإنابة (والله غفور رحيم) وقد ذكر أنها نزلت فى الأقرع بن حابس التيمى رضى الله عنه فيما أورده غير واحد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس رضى الله عنه أنه نادى رسول الله ﷺ فقال يا محمد يا محمد وفى رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله إن حمدى لزين وإن ذمى لشين فقال « ذاك الله عزوجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزى حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبى إسحاق عن البراء فى قوله تبارك وتعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال جاء رجل إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن حمدى زين وذمى شين فقال صلى الله عليه وسلم « ذاك الله عز وجل » وهكذا ذكره الحسن البصرى وقتادة مرسلا . وقال سفيان الثورى عن حبيب بن أبى عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت فى قومك بنى تميم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال فذكرت ذلك لسعيد ابن جبير فقال أما إنه لو علم بآخر الآية أجابه (يمنون عليك أن أسلموا) قالوا أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن على الباهلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود الطائى يحدث عن أبى مسلم البجلى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : اجتمع أناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يك ملكا نعش بجناحه قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا فجاءوا إلى حجرة النبى ﷺ فجعلوا ينادونه وهو فى حجرته يا محمد يا محمد فأنزل الله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) قال فأخذ رسول الله ﷺ بأذنى فمدها فجعل يقول « لقد صدق الله تعالى قولك يا زيد لقد صدق الله قولك يا زيد » ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا أَن تُصِيبُوا قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ * وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

يأمر تعالى بالتثبت فى خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون فى نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه فى نفس الأمر وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسألة فى كتاب العلم من شرح البخارى ولله تعالى الحمد والمنة . وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بنى المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده من رواية ملك بنى

المصطلق وهو الحارث بن أبى ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها . قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثنى أبى أنه سمع الحارث بن أبى ضرار الخزاعى رضى الله عنه يقول : قدمت على رسول الله ﷺ فدعانى إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعانى إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يارسول الله أرجع اليهم فأدعوهم إلى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته . وترسل إلى يارسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان وقت لى وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا بنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أى خاف فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم ؟ قالوا اليك . قال ولم ؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضى الله عنه لا والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته بتة ولا أتانى فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال « منعت الزكاة وأردت قتل رسولى ؟ » قال لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا أتانى وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ – الى قوله – حكيم) ورواه ابن أبى حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ، ورواه الطبرانى من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : بعث رسول الله ﷺ رجلا فى صدقات بنى المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال إن بنى المصطلق قد منعونى صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت الينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضى الله عنه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) . وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن بنى المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضبا شديدا فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا يارسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم استغشهم وهم بهم فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم فى الكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) إلى آخر الآية . وقال مجاهد

وقتادة أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بنى المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة وإنهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه اليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالدا رضى الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضى الله عنه فرأى الذى يعجبه فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قال قتادة فكان رسول الله ﷺ يقول « التثبت من الله والعجلة من الشيطان » وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبى ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم فى هذه الآية أنها نزلت فى الوليد بن عقبة والله أعلم .

وقوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله) أى اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره فانه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لو أطاعكم فى جميع ماتختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم كما قال سبحانه وتعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) وقوله عز وجل (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم) أى حببه إلى نفوسكم وحسنه فى قلوبكم

قال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا على بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول « الاسلام علانية والإيمان فى القلب — قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول — التقوى ههنا التقوى ههنا » (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) أى وبغض إليكم الكفر والفسوق وهى الذنوب الكبار والعصيان وهى جميع المعاصى وهذا تدريج لكمال النعمة ، وقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أى المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم . قال الإمام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكى عن أبى رفاعة الزرقى عن أبيه قال لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ « استووا حتى أثنى على ربى عز وجل » فصاروا خلفه صفوفا فقال صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لايحول ولايزول . اللهم أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا . اللهم حبب الينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد ابن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به . وفى الحديث المرفوع « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » ثم قال (فضلا من الله ونعمة) أى هذا العطاء الذى منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه (والله عليم حكيم) أى عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا بالاصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسماهم مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدل البخارى وغيره على أنه لايخرج عن الإيمان بالمعصية وأن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم ، وهكذا ثبت فى صحيح البخارى من حديث الحسن عن أبى بكرة رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن على رضى الله عنهما فجعل ينظر اليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول : « إن ابنى هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة . وقوله تعالى (فان بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) أى حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت فى الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قلت يارسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ قال ﷺ : « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه »

وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر قال سمعت أبى يحدث أن أنسا رضى الله عنه قال : قيل للنبى ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق اليه النبى صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهى أرض سبخة فلما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم اليه قال « اليك عنى فوالله لقد آذانى ريح حمارك » فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك قال فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال فبلغنا أنه أنزلت فيهم (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ورواه البخارى فى الصلح عن مسدد ومسلم فى المغازى عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه . وذكر سعيد بن جبير أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال فأنزل الله تعالى هذه الآية فامر بالصلح بينهما . وقال السدى كان رجل من الأنصار يقال له عمران كانت له امرأة تدعى أم زيد وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها فى علية له لايدخل عليها أحد من أهلها . وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وإن الرجل كان قد خرج فاستعان أهل الرجل فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى . وقوله عز وجل (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أى اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل (إن الله يحب المقسطين) . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قال « إن المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدى الرحمن عز وجل بما أقسطوا فى الدنيا » ورواه النسائى عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى به وهذا إسناده جيد قوى رجاله على شرط الصحيح وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو ابن أوس عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون فى حكمهم وأهاليهم وما ولوا » ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به وقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) أى الجميع اخوة فى الدين كما قال رسول الله ﷺ « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه » وفى الصحيح « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » وفى الصحيح أيضاً « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله » والأحاديث فى هذا كثيرة وفى الصحيح « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وفى الصحيح أيضاً « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه ﷺ ، وقال أحمد حدثنا أحمد بن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا مصعب بن ثابت حدثنى أبو حازم قال سمعت سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه يحدث

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال (أكثرهم لا يعقلون) ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عزوجل (ولوأنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة . ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم إلى التوبة والإنابة (والله غفور رحيم) وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه أنه نادى رسول الله ﷺ فقال يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين فقال « ذاك الله عزوجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال جاء رجل إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن حمدي زين وذمي شين فقال صلى الله عليه وسلم « ذاك الله عز وجل » وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلا . وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت في قومك بني تميم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال فذكرت ذلك لسعيد ابن جبير فقال أما إنه لو علم بآخر الآية أجابه (يمنون عليك أن أسلموا) قالوا أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي الباهلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود الطائي يحدث عن أبي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : اجتمع أناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يك ملكا نعش بجناحه قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا فجاءوا إلى حجرة النبي ﷺ فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يا محمد يا محمد فأنزل الله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) قال فأخذ رسول الله ﷺ بأذني فمدها فجعل يقول « لقد صدق الله تعالى قولك يازيد لقد صدق الله قولك يازيد » ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري ولله تعالى الحمد والمنة . وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني

المصطلق وهو الحارث بن أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها . قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يارسول الله أرجع اليهم فأدعوهم إلى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته . وترسل إلى يارسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم ؟ قالوا اليك . قال ولم ؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضي الله عنه لاوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال « منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ » قال لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ - الى قوله - حكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ، ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بعث رسول الله ﷺ رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت الينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضي الله عنه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) . وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضبا شديدا فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا يارسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم استغشهم وهم بهم فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) إلى آخر الآية . وقال مجاهد

قال رجل من بنى تميم لأبى : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوما فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبى رضى الله عنه طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ . وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى يحيى بن عبدالله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه لمن هى يا رسول الله ؟ قال ﷺ « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائما والناس نيام » وقال معمر فى قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كان الزهرى والحسن يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضى الله عنهما وإبراهيم النخعى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ما ينامون وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا) ثم ابتدأ فقال (من الليل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون) وهذا القول اليه بعد وتعسف

وقوله عز وجل (وبالأسحارهم يستغفرون) قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار كما قال تبارك وتعالى (والمستغفرين بالأسحار) فان كان الاستغفار فى صلاة فهو أحسن . وقد ثبت فى الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر » وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى اخبارا عن يعقوب أنه قال لبنيه (سوف أستغفر لكم ربى) قالوا أخرهم إلى وقت السحر وقوله تعالى (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال (وفى أموالهم حق) أى جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعروف وهو الذى يبتدئ بالسؤال وله حق كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » ورواه أبو داود من حديث سفيان الثورى به . ثم أسنده من وجه آخر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هو المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم يعنى لا سهم له فى بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هو المحارف الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذى لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله تعالى له ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضى الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وسعيد ابن المسيب وإبراهيم النخعى ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما وعطاء بن أبى رباح : المحروم المحارف وقال قتادة والزهرى المحروم الذى لا يسأل الناس شيئاً . قال الزهرى وقد قال رسول الله ﷺ « ليس المسكين بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » وهذا الحديث قد أسنده الشيخان فى صحيحيهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذى يجئ وقد قسم للغنم فيرضخ له . وقال محمد بن إسحق حدثنى بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضى الله عنه كتف شاة فرمى بها إليه وقال : يقولون إنه المحروم ، وقال الشعبى أعيانى أن أعلم ما المحروم ، واختار ابن جرير أن المحروم الذى لا مال له بأى سبب كان وقد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها . وقال الثورى عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد

رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذا يقتضى أن هذه مدنية وليس كذلك بل هى مكية شاملة لما بعدها وقوله عز وجل (وفى الأرض آيات للموقنين) أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه ولهذا قال عز وجل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) قال قتادة من تفكر فى خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة . ثم قال تعالى (وفى السماء رزقكم) يعنى المطر (وما توعدون) يعنى الجنة قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثورى قرأ واصل الأحدب هذه الآية (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فقال ألا أرى رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ؟ فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فلما أن كان فى اليوم الثالث إذا هو بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن [illegible] منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت . وقوله تعالى (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا فى نطقكم حين تنطقون ، وكان معاذ رضى الله عنه إذا حدث بالشىء يقول لصاحبه إن هذا لحق كما أنك ههنا قال مسدد عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن البصرى قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فذكره مرسلا

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

هذه القصة قد تقدمت فى سورة هود والحجر أيضا فقوله (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) أى الذين أرصد لهم الكرامة ، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل . وقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها) فالخليل اختار الأفضل ، وقوله تعالى (قوم منكرون) وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه فى صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال (قوم منكرون) . وقوله عز وجل (فراغ إلى أهله) أى انسل خفية فى سرعة (فجاء بعجل سمين) أى من خيار ماله ، وفى الآية الأخرى (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أى مشوى على الرضف (فقربه إليهم) أى أدناه منهم (قال ألا تأكلون ؟) تلطف فى العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال (ألا تأكلون ؟) على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل . وقوله تعالى (فأوجس منهم خيفة) هذا محال على ما تقدم فى القصة فى السورة الأخرى وهى قوله

حلفاء الأنصار فستعلى الرجل الذى من المهاجرين على الجهنى فقال الجهنى يامعشر الأنصار فنصره رجال من الأنصار وقال المهاجرى يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل فى قلبه مرض إلى عبد الله بن أبى ابن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لاتضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبى عدو الله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجلس » فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بنى عبد الأشهل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال نعم والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ « اجلس » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آذنوا بالرحيل » فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة فى ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينه أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ « أى عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم ، فقال رسول الله ﷺ والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيتحدث الناس أنى قد وقعت على أصحابى فأقتلهم صبرا وأنزل الله عز وجل (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - إلى قوله تعالى - يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) الآية وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لاتوجد إلا فيه ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبى لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ « بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا » وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبى قال له ابنه وراءك: فقال مالك ويلك ؟ فقال والله لاتجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فانه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أبى ابنه فقال ابنه عبد الله : والله يارسول الله لايدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى فى مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هارون المدنى قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول لأبيه والله لاتدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل ، قال وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغنى انك تريد أن تقتل أبى فوالذى بعثك بالحق ماتأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فانى أكره أن أرى قاتل أبى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبرا لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق فى طاعته فقال (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات ، كان ما كان وأتى ما هو آت ؛ وكل بحسب تفريطه ؛ أما الكفار فكما قال تعالى (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) وقال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) . ثم قال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) أى لاينظر أحدا بعد حلول أجله . وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا فى قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى (والله خبير بما تعملون) . وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه اوتجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلوا عليك بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين - إلى قوله - والله خبير بما تعملون) قال فما يوجب الزكاة ؟ قال إذا بلغ المال مائتين فصاعدا ؛ قال فما يوجب الحج . قال الزاد والبعير . ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثورى عن يحيى بن أبى حية وهو أبو جناب الكلبي عن الضحاك عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبى جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح، وضعف أبا جناب الكلبي ﴿ قلت ﴾ ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهنى عن عمه يعنى أبا مشجعة بن ربعى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة فى العمر فقال « إن الله لايؤخر نفسا إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة فى العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم فى قبره » . آخر تفسير سورة المنافقين ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة التغابن وهى مدنية وقيل مكية ﴾

قال الطبرانى حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن مولود يولد إلا مكتوب فى تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » أورده ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

ﷺ يقول « ويلكم قريش لئلاف قريش ثم قال حدثنا أبى حدثنا المؤمل بن الفضل الحرانى حدثنا عيسى يعنى ابن يونس عن عبد الله بن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضى الله عنها فلعله وقع غلط فى النسخة أو فى أصل الرواية والله أعلم . آخر تفسير سورة لإيلاف قريش ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير السورة التى يذكر فيها الماعون وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

يقول تعالى أرأيت يا محمد الذى يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب (فذلك الذى يدع اليتيم) أى هو الذى يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه (ولا يحض على طعام المسكين) كما قال تعالى (كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين) يعنى الفقير الذى لا شىء له يقوم بأوده وكفايته ، ثم قال تعالى (فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس وغيره يعنى المنافقين الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر ولهذا قال (للمصلين) الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس وإما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذى قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل فى صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من اتصف بشىء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملى كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الى صلى الله عليه وسلم قال « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا » فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها إلا قليلا ولعله إنما حمله على القيام إليها مراآة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما إذا لم يصل بالكلية . قال الله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى ههنا (الذين هم يراءون) . وقال الطبرانى حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبدربه البغدادى حدثنى أبى حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « إن فى جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادى للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمصدق فى غير ذات الله وللحاج إلى بيت الله وللخارج فى سبيل الله » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبى عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبى يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ « من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره » ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ فذكره ، ومما يتعلق بقوله تعالى (الذين هم يراءون) أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك ان هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا هارون بن معروف حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الأعمش

عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنت أصلى فدخل على رجل فأعجبنى ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كتب لك أجران: أجر السر وأجر العلانية » قال أبو على هارون بن معروف بلغنى أن ابن المبارك قال نعم الحديث للمرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الأعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه ، قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد بن المثنى بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد رواه الترمذى عن محمد بن المثنى وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبى داود الطيالسى عن أبى سنان الشيبانى واسمه ضرار بن مرة ثم قال الترمذى غريب وقد رواه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبى صالح مرسلا . وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثنى أبو كريب حدثنا معاوية ابن هشام عن شيبان النحوى عن جابر الجعفى حدثنى رجل عن أبى برزة الأسلمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون) : « الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذى إن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه » فيه جابر الجعفى وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا حدثنى زكريا بن أبان المصرى حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثنى عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبى وقاص قال سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا أو تأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن إبراهيم به ثم رواه عن أبى الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا: سهوا عنها حتى ضاع الوقت وهذا أصح إسنادا وقد ضعف البيهقى رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم

وقوله تعالى (ويمنعون الماعون) أى لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى ، وقد قال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال على الماعون الزكاة وكذا رواه السدى عن أبى صالح عن على وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفى والزهرى والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصرى إن صلى راءى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفى لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها ، وخفيت الزكاة فمنعوها . وقال الأعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال المسعودى عن سلمة بن كهيل عن أبى العبيدين أنه سئل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن عبيد المحاربى حدثنا أبو الأحوص عن أبى إسحق عن أبى العبيدين وسعد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبى إسحق قال سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مثله . وقال الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه . وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن على الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبى وائل عن عبد الله قال كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشباه ذلك . وقد رواه أبو داود والنسائى عن قتيبة عن أبى عوانة بإسناده نحوه ولفظ النسائى عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: الماعون العوارى القدر والميزان والدلو وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ويمنعون الماعون) يعنى متاع البيت وكذا قال مجاهد

وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد انها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال لم يجيء أهلها بعد وقال العوفي عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبي سليم عن أبي إسحق عن الحارث عن علي: الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي قاله عكرمة حسن فانه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد ابن كعب ويمنعون الماعون قال المعروف. ولهذا جاء في الحديث «كل معروف صدقة» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن الزهري (ويمنعون الماعون) قال بلسان قريش المال. وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا في إسناده ومتنه فقال حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمي حدثنا دلهم بن دهيم العجلي حدثنا عائذ بن ربيعة النميري حدثني قرة بن دعموص النميري أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ما تعهد إلينا! قال «لا تمنعوا الماعون» قالوا يا رسول الله وما الماعون! قال «في الحجر وفي الحديدة وفي الماء» قالوا فأي الحديدة؟ قال «قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتهنون به» قالوا ما الحجر! قال «قدوركم الحجارة» غريب جدا ورفعه منكر وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم. وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة علي النميري فقال روى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة بن قيس النميري عن علي بن فلان النميري سمعت رسول الله ﷺ يقول «المسلم أخو المسلم إذا لقيه حياه بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون» قلت يا رسول الله ما الماعون. قال «الحجر والحديد وأشباه ذلك» والله أعلم. آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الكوثر وهي مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسما إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت فقال رسول الله ﷺ «إنه أنزلت علي آنفا سورة» فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فقال «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وأن آنيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي من طريق علي بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس، ولفظ مسلم قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يا رسول الله. قال «لقد أنزلت علي آنفا سورة» فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر) ثم قال «أتدررن ما الكوثر. — قلنا الله ورسوله أعلم قال — فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي، فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك»

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وأنها منزلة معها. فأما قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر)

قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجري ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت يدي في تربته فاذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ». وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت يدي إلى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل» ورواه البخاري في صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر» وهو لفظ البخاري رحمه الله. وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسري برسول الله ﷺ مضى به جبريل في السماء الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال «يا جبريل ما هذا النهر؟ قال هو الكوثر الذي خبأ لك ربك» وقد تقدم حديث الاسراء في سورة سبحان من طريق شريك عن أنس عن النبي ﷺ وهو مخرج في الصحيحين. وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقال الملك — الذي معه — أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله، وضرب يده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك» وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة به. قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الوهاب ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال «هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر» قال أبو بكر يا رسول الله إنها لناعمة قال «آكلها أنعم منها»

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر؟ قال «هو نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» قال عمر يا رسول الله إنها لناعمة قال «آكلها أنعم منها يا عمر» رواه ابن جرير من حديث الزهري عن أخيه عبد الله عن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء. وقال البخاري حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم، ثم قال البخاري رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف، وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء. وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أو مسروق قال: قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت: نهر في بطنان الجنة، قلت وما بطنان الجنة؟ قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت، وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل اصبعيه في أذنيه، وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لا أنه يسمعه نفسه والله أعلم. قال السهيلي ورواه الدارقطني مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ. ثم قال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: فان ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة

القرآن المهيمن على ماقبله من الكتب الذى انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة فى الدنيا والآخرة ونسخ به كل ماسواه من الكتب قبله وآمن بانبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

وقوله (وآتى المال على حبه) أى أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة مرفوعا « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » وقد روى الحاكم فى مستدركه من حديث شعبة والثورى عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « (وآتى المال على حبه) أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح والله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ماهم محبون له وقوله (ذوى القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت فى الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وببرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان اليهم فى غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد ماتآباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عن رسول الله ﷺ قال : « لايتم بعد حلم » (والمساكين) وهم الذين لايجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » (وابن السبيل) وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى مايوصله إلى بلده وكذا الذى يريد سفرا فى طاعة فيعطى ما يكفيه فى ذهابه وإيابه ويدخل فى ذلك الضيف كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال . ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها ـ قال عبد الرحمن حسين بن على ـ قال قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود (وفى الرقاب) وهم المكاتبون الذين لايجدون ما يؤدونه فى كتابتهم وسيأتى الكلام على كثير من هذه الأصناف فى آية الصدقات من براءة إن شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبى حمزة عن الشعبى حدثتنى فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله ﷺ أفى المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا على (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبى حمزة عن الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت . قال رسول الله ﷺ « فى المال حق سوى الزكاة » ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ـ إلى قوله ـ وفى الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذى وضعف أبا حمزة ميمونا الأعور وقد رواه سيار وإسماعيل بن سالم عن الشعبى وقوله (وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة فى أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم فى الحديث عن فاطمة بنت قيس أن فى المال حقا سوى الزكاة والله أعلم

وقوله (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) كقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وعكس هذه الصفة النفاق كما صح فى الحديث « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى الحديث الآخر « وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » وقوله (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) أى فى حال الفقر وهو البأساء ، وفى حال المرض والأسقام وهو الضراء (وحين البأس) أى فى حال القتال والتقاء الأعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمدانى ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم وإنما نصب (الصابرين) على المدح والحث على الصبر فى هذه الأحوال لشدته وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان : وقوله (أولئك الذين صدقوا) أى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا فى إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبى بالأقوال والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا (وأولئك هم المتقون) لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى كتب عليكم العدل فى القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم ، وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة فى الجاهلية وقهروهم فكان إذا قتل النضرى القرظى لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظى النضرى قتل وإن فادوه فدوه بمائتى وسق من التمر ضعف دية القرظى فأمر الله بالعدل فى القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) وذكر فى سبب نزولها ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) يعنى إذا كان عمدا الحر بالحر وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر فى العدة والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم وللمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) منها منسوخة نسختها النفس بالنفس : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (والأنثى بالأنثى) وذلك أنهم كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأنزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الأحرار فى القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم فى النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستويين فيما بينهم من العمد فى النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم وكذلك روى عن أبى مالك أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس

﴿ مسئلة ﴾ ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة وإليه ذهب الثورى وابن أبى ليلى وداود وهو مروى عن علىّ وابن مسعود وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعى وقتادة والحكم قال البخارى وعلى بن المدينى وإبراهيم النخعى والثورى فى رواية عنه ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه » وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لأن العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب

القرآن المهيمن على ماقبله من الكتب الذى انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة فى الدنيا والآخرة ونسخ به كل ماسواه من الكتب قبله وآمن بانبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله (وآتى المال على حبه) أى أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيدبن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة مرفوعا « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » وقد روى الحاكم فى مستدركه من حديث شعبة والثورى عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « (وآتى المال على حبه) أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح والله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ماهم محبون له وقوله (ذوى القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت فى الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وببرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان اليهم فى غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد ماتآباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عن رسول الله ﷺ قال : « لايتم بعد حلم » (والمساكين) وهم الذين لايجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس المسكين بهذا الطوّاف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » (وابن السبيل) وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى مايوصله إلى بلده وكذا الذى يريد سفرا فى طاعة فيعطى ما يكفيه فى ذهابه وإيابه ويدخل فى ذلك الضيف كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال . ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحي عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها - قال عبد الرحمن حسين بن على - قال قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود (وفى الرقاب) وهم المكاتبون الذين لايجدون ما يؤدونه فى كتابتهم وسيأتى الكلام على كثير من هذه الأصناف فى آية الصدقات من براءة إن شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحي بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبى حمزة عن الشعبى حدثتنى فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله ﷺ أفى المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا على (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحي بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبى حمزة عن الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت . قال رسول الله ﷺ « فى المال حق سوى الزكاة » ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - إلى قوله - وفى الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذى وضعف أبا حمزة ميمونا الأعور وقد رواه سيار وإسماعيل بن سالم عن الشعبى وقوله (وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة فى أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم فى الحديث عن فاطمة بنت قيس أن فى المال حقا سوى الزكاة والله أعلم

وقوله (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) كقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وعكس هذه الصفة النفاق كما صح فى الحديث « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى الحديث الآخر « وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » وقوله (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) أى فى حال الفقر وهو البأساء ، وفى حال المرض والأسقام وهو الضراء (وحين البأس) أى فى حال القتال والتقاء الأعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمدانى ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم وإنما نصب (الصابرين) على المدح والحث على الصبر فى هذه الأحوال لشدته وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان : وقوله (أولئك الذين صدقوا) أى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا فى إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبى بالأقول والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا (وأولئك هم المتقون) لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِى ٱلۡقَتۡلَى ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ فَمَنۡ عُفِىَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَىۡءٌ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٌ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمۡ فِى ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى كتب عليكم العدل فى القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم ، وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة فى الجاهلية وقهروهم فكان إذا قتل النضرى القرظى لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظى النضرى قتل وإن فادوه فدوه بمائتى وسق من التمر ضعف دية القرظى فأمر الله بالعدل فى القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) وذكر فى سبب نزولها ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحي بن عبد الله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) يعنى إذا كان عمدا الحر بالحر وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر فى العدة والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم وللمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) منها منسوخة نسختها النفس بالنفس : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (والأنثى بالأنثى) وذلك أنهم كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأنزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الأحرار فى القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم فى النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستويين فيما بينهم من العمد فى النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم وكذلك روى عن أبى مالك أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس

﴿ مسئلة ﴾ ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة وإليه ذهب الثورى وابن أبى ليلى وداود وهو مروى عن علىّ وابن مسعود وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعى وقتادة والحكم قال البخارى وعلى بن المدينى وإبراهيم النخعى والثورى فى رواية عنه ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه » وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لأن العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب

القرآن المهيمن على ماقبله من الكتب الذى انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة فى الدنيا والآخرة ونسخ به كل ماسواه من الكتب قبله وآمن بانبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

وقوله (وآتى المال على حبه) أى أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة مرفوعا « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » وقد روى الحاكم فى مستدركه من حديث شعبة والثورى عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « (وآتى المال على حبه) أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح والله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ماهم محبون له وقوله (ذوى القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت فى الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وببرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان اليهم فى غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عن رسول الله ﷺ قال : « لايتم بعد حلم » (والمساكين) وهم الذين لايجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس المسكين بهذا الطوّاف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » (وابن السبيل) وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى مايوصله إلى بلده وكذا الذى يريد سفرا فى طاعة فيعطى ما يكفيه فى ذهابه وإيابه ويدخل فى ذلك الضيف كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال . ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها - قال عبد الرحمن حسين بن على - قال قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود (وفى الرقاب) وهم المكاتبون الذين لايجدون ما يؤدونه فى كتابتهم وسيأتى الكلام على كثير من هذه الأصناف فى آية الصدقات من براءة إن شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبى حمزة عن الشعبى حدثتنى فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله ﷺ أفى المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا على (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبى حمزة عن الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت . قال رسول الله ﷺ « فى المال حق سوى الزكاة » ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - إلى قوله - وفى الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذى وضعف أبا حمزة ميمونا الأعور وقد رواه سيار وإسماعيل بن سالم عن الشعبى وقوله (وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة فى أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم فى الحديث عن فاطمة بنت قيس أن فى المال حقا سوى الزكاة والله أعلم

وقوله (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) كقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وعكس هذه الصفة النفاق كما صح فى الحديث « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » وفى الحديث الآخر « وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » وقوله (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) أى فى حال الفقر وهو البأساء ، وفى حال المرض والأسقام وهو الضراء (وحين البأس) أى فى حال القتال والتقاء الأعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمدانى ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم وإنما نصب (الصابرين) على المدح والحث على الصبر فى هذه الأحوال لشدته وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان : وقوله (أولئك الذين صدقوا) أى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا فى إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبى بالأقوال والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا (وأولئك هم المتقون) لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى كتب عليكم العدل فى القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم ، وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة فى الجاهلية وقهروهم فكان إذا قتل النضرى القرظى لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظى النضرى قتل وإن فادوه فدوه بمائتى وسق من التمر ضعف دية القرظى فأمر الله بالعدل فى القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) وذكر فى سبب نزولها ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) يعنى إذا كان عمدا الحر بالحر وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر فى العدة والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم وللمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) منها منسوخة نسختها النفس بالنفس : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (والأنثى بالأنثى) وذلك أنهم كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأنزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الأحرار فى القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم فى النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد فى النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم وكذلك روى عن أبى مالك أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس

(مسئلة) ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة وإليه ذهب الثورى وابن أبى ليلى وداود وهو مروى عن على وابن مسعود وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعى وقتادة والحكم قال البخارى وعلى بن المدينى وإبراهيم النخعى والثورى فى رواية عنه ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه » وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لأن العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب

أن لا يعذبهم » ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين فإن الله سبحانه جعلهما سببا لخروجك من العدم إلى الوجود وكثيرا ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين كقوله (أن اشكر لى ولوالديك) وكقوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) ثم عطف على الإحسان اليهما الاحسان إلى القرابات من الرجال والنساء كما جاء فى الحديث « الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم صدقة وصلة » ثم قال تعالى (واليتامى) وذلك لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فأمر الله بالإحسان اليهم والحنو عليهم ثم قال (والمساكين) وهم المحاويج من ذوى الحاجات الذين لا يجدون من يقوم بكفايتهم فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم ، وسيأتى الكلام على الفقير والمسكين فى سورة براءة وقوله (والجار ذى القربى والجار الجنب) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والجار ذى القربى يعنى الذى بينك وبينه قرابة والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة وكذا روى عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وقال أبو إسحق عن نوف البكالى فى قوله والجار ذى القربى يعنى الجار المسلم والجار الجنب يعنى اليهودى والنصرانى رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وقال جابر الجعفى عن الشعبى عن على وابن مسعود والجار ذى القربى يعنى المرأة وقال مجاهد أيضا فى قوله والجار الجنب يعنى الرفيق فى السفر وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار فلنذكر منها ما تيسر وبالله المستعان : (الحديث الأول) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن محمد بن زيد أنه سمع محمداً يحدث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » أخرجاه فى الصحيحين من حديث محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر به.

(الحديث الثانى) قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن داود بن شابور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وروى أبو داود والترمذى نحوه من حديث سفيان بن عيينة عن بشير أبى إسماعيل زاد الترمذى وداود بن شابور كلاهما عن مجاهد به ثم قال الترمذى حسن غريب من هذا الوجه وقد روى عن مجاهد وعائشة وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم (الحديث الثالث) قال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن يزيد أخبرنا حيوة أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ انه قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » ورواه الترمذى عن أحمد بن محمد عن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به وقال حسن غريب (الحديث الرابع) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن أبيه عن عباية بن رفاعة عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يشبع الرجل دون جاره » تفرد به أحمد (الحديث الخامس) قال الإمام أحمد حدثنا على بن عبد الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعد الأنصارى سمعت أبا ظبية الكلاعى سمعت المقداد بن الأسود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « ما تقولون فى الزنا » قالوا حرام حرمه الله ورسوله وهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بحليلة جاره » قال « ما تقولون فى السرقة » قالوا حرمها الله ورسوله فهى حرام إلى يوم القيامة قال « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره » تفرد به أحمد وله شاهد فى الصحيحين من حديث ابن مسعود : قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت ثم أى ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت ثم أى ؟ قال « أن تزانى حليلة جارك ». (الحديث السادس) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبى العالية عن رجل من الأنصار قال خرجت من أهلى أريد النبى صلى الله عليه وسلم فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة قال الأنصارى لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت أرثى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام فلما انصرف قلت يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام قال « وقد رأيته ؟ » قلت نعم قال « أتدرى من هو ؟ » قلت لا قال « ذاك جبريل مازال يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ثم قال « أما إنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام ». (الحديث السابع) قال عبد بن حميد فى مسنده حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا أبو بكر يعنى المدنى عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من العوالى ورسول الله

صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصلى على الجنائز فلما انصرف قال الرجل يا رسول الله من هذا الرجل الذى رأيت يصلى معك ؟ قال « وقد رأيته ؟ » قال نعم قال « لقد رأيت خيرا كثيرا . هذا جبريل مازال يوصينى بالجار حتى رأيت أنه سيورثه » تفرد به من هذا الوجه وهو شاهد للذى قبله . (الحديث الثامن) قال أبو بكر البزار حدثنا عبيد الله ابن محمد أبو الربيع المحاربى[1] حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبى فديك أخبرنى عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراسانى عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « الجيران ثلاثة، جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقا . وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا . فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له . له حق الجوار . وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم » قال البزار لا نعلم أحدا روى عن عبد الرحمن بن الفضل إلا ابن أبى فديك. (الحديث التاسع) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى عمران عن طلحة بن عبد الله عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت : إن لى جارين فالى أيهما أهدى ؟ قال « إلى أقربهما منك بابا » ورواه البخارى من حديث شعبة به . (الحديث العاشر) روى الطبرانى وأبو نعيم عن عبد الرحمن فزاد قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل الناس يتمسحون بوضوئه فقال « ما يحملكم على ذلك » قالوا حب الله ورسوله قال « من سره أن يحب الله ورسوله فليصدق الحديث إذا حدث وليؤد الأمانة إذا اؤتمن[2] » (الحديث الحادى عشر) قال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة قال: قال رسول الله ﷺ « إن أول خصمين يوم القيامة جاران[3] » وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال الثورى عن جابر الجعفى عن الشعبى عن على وابن مسعود قالا: هى المرأة وقال ابن أبى حاتم وروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى وإبراهيم النخعى والحسن وسعيد بن جبير فى إحدى الروايات نحو ذلك وقال ابن عباس وجماعة هو الضعيف وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة هو الرفيق فى السفر وقال سعيد بن جبير هو الرفيق الصالح وقال زيد بن أسلم هو جليسك فى الحضر ورفيقك فى السفر وأما ابن السبيل فعن ابن عباس وجماعة هو الضيف وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل هو الذى يمر عليك مجتازا فى السفر وهذا أظهر وإن كان مراد القائل بالضيف المار فى الطريق فهما سواء وسيأتى الكلام على أبناء السبيل فى سورة براءة وبالله الثقة وعليه التكلان . وقوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) وصية بالأرقاء لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير فى أيدى الناس فلهذا ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصى أمته فى مرض الموت يقول « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبى العباس ، حدثنا بقية ، حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب قال : قال رسول الله ﷺ « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة . وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة : وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » ورواه النسائى من حديث بقية وإسناده صحيح ولله الحمد

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لقهرمان له هل أعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال : لا قال فانطلق فأعطهم فان رسول الله ﷺ قال « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم » رواه مسلم ، وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق » رواه مسلم أيضا وعنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فانه ولى حره وعلاجه » أخرجاه ولفظه للبخارى ولمسلم « فليقعده معه فليأكل فان كان الطعام مشفوها قليلا فليضع فى يده أكلة أو أكلتين » وعن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » أخرجاه . وقوله تعالى (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) أى مختالا فى نفسه ، معجبا متكبرا فخورا على الناس يرى أنه خير منهم فهو فى نفسه كبير ، وهو عند الله حقير ، وعند الناس بغيض . قال مجاهد فى قوله (إن الله لا يحب من كان مختالا) يعنى متكبرا (فخورا) يعنى بعد ما أعطى وهو لا يشكر الله تعالى يعنى يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه ، وهو قليل الشكر

(١) فى نسخة الأزهر . المحاربى (٢) هذا الحديث ليس فيه شاهد للسبق ولعله سقط بعد قوله إذا اؤتمن وليحسن الجوار (٣) الحديث ناقص كما هو ظاهر .

وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملى حدثنا ضمرة عن ابن أبى عبلة عن العريف بن عياش الديلمى قال أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق فى بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحب لنا قد أوجب يعنى النار بالقتل فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار » وكذا رواه النسائى من حديث إبراهيم بن أبى عبلة عن العريف بن عياش الديلمى عن واثلة به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامى عن عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار » وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن قيسا الجذامى حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مؤمنة فهى فكاكه من النار » تفرد به أحمد من هذا الوجه . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلى من بنى بجيلة من بنى سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ابن عازب قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة فقال « لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة ، أعتق النسمة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليستا بواحدة، قال «لا إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى عتقها ، والمنحة الوكوف ، والفىء على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمآن ومر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير » . وقوله تعالى (أو إطعام فى يوم ذى مسغبة) قال ابن عباس ذى مجاعة ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع ، وقال إبراهيم النخعى فى يوم الطعام فيه عزيز ، وقال قتادة فى يوم مشتهى فيه الطعام . وقوله تعالى (يتيما) أى أطعم فى مثل هذا اليوم يتيما (ذا مقربة) أى ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدى كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم اثنتان ، صدقة وصلة » وقد رواه الترمذى والنسائى وهذا إسناد صحيح وقوله تعالى (أو مسكينا ذا متربة) أى فقيرا مدقعا لا صقا بالتراب وهو الدقعاء أيضا قال ابن عباس ذا متربة هو المطروح فى الطريق الذى لا بيت له ولا شىء يقيه من التراب وفى رواية هو الذى لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شىء ، وفى رواية عنه هو البعيد التربة، قال ابن أبى حاتم يعنى الغريب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير المديون المحتاج، وقال سعيد بن جبير هو الذى لا أحد له وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال ، وكل هذه قريبة المعنى. وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أى ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية . وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) أى كان من المؤمنين العاملين صالحا والمتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء فى الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » وفى الحديث الآخر « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » . وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو يرويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) أى المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أى أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أى مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها اقال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبر ومجاهد ومحمد بن كعب القرظى وعطية العوفى والحسن وقتادة والسدى (مؤصدة) أى مطبقة قال ابن عباس مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد أصد الباب بلغة

قريش أى أغلقه وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة (ويل لكل همزة لمزة) . وقال الضحاك (مؤصدة) حيط لا باب له وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد ، وقال أبو عمران الجونى إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أو صدوها عليهم أى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبى حاتم . آخر تفسير سورة البلد ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية ﴾

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ؟ »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

قال مجاهد (والشمس وضحاها) أى وضوئها وقال قتادة (وضحاها)النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (والقمر إذا تلاها) قال مجاهد تبعها ، وقال العوفى عن ابن عباس (والقمر إذا تلاها) قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى الهلال ، وقال ابن زيد هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ثم هى تتلوه وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر، وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر . وقوله تعالى(والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أضاء وقال قتادة (والنهار إذا جلاها) إذا غشيها النهار ، وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها ﴿ قلت ﴾ ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أى البسيطة لكان أولى ولصح تأويله فى قوله تعالى(والليل إذا يغشاها)فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد (والنهار إذا جلاها) انه كقوله تعالى(والنهار إذا تجلى) وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فى ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاها) يعنى إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بقية بن الوليد عن صفوان حدثنى يزيد بن ذى حمامة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادى خلقى العظيم فالليل يهابه والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبى حاتم ، وقوله تعالى (والسماء وما بناها) يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعنى والسماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد ـ أى بقوة ـ وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون) وهكذا قوله تعالى (والأرض وما طحاها) قال مجاهد : طحاها دحاها ، قال العوفى عن ابن عباس (وما طحاها) أى خلق فيها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: طحاها قسمها . وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدى والثورى وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهرى طحوته مثل دحوته أى بسطته ، وقوله تعالى (ونفس وما سواها) أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

القرآن المهيمن على ماقبله من الكتب الذى انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة فى الدنيا والآخرة ونسخ به كل ماسواه من الكتب قبله وآمن بانبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله (وآتى المال على حبه) أى أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيدبن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة مرفوعا « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » وقد روى الحاكم فى مستدركه من حديث شعبة والثورى عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « (وآتى المال على حبه) أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح والله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ماهم محبون له وقوله (ذوى القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت فى الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وببرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان إليهم فى غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عن رسول الله ﷺ قال : « لايتم بعد حلم » (والمساكين) وهم الذين لايجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » (وابن السبيل) وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى مايوصله إلى بلده وكذا الذى يريد سفرا فى طاعة فيعطى ما يكفيه فى ذهابه وإيابه ويدخل فى ذلك الضيف كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال . ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها - قال عبد الرحمن حسين بن على - قال قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود (وفى الرقاب) وهم المكاتبون الذين لايجدون ما يؤدونه فى كتابتهم وسيأتى الكلام على كثير من هذه الأصناف فى آية الصدقات من براءة إن شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبى حمزة عن الشعبى حدثتنى فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله ﷺ أفى المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا على (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبى حمزة عن الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت . قال رسول الله ﷺ « فى المال حق سوى الزكاة » ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - إلى قوله - وفى الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذى وضعف أبا حمزة ميمونا الأعور وقد رواه سيار وإسماعيل بن سالم عن الشعبى وقوله (وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة فى أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم فى الحديث عن فاطمة بنت قيس أن فى المال حقا سوى الزكاة والله أعلم

وقوله (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) كقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وعكس هذه الصفة النفاق كما صح فى الحديث « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتمن خان » وفى الحديث الآخر « وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » وقوله (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) أى فى حال الفقر وهو البأساء ، وفى حال المرض والأسقام وهو الضراء (وحين البأس) أى فى حال القتال والتقاء الأعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمدانى ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم وإنما نصب (الصابرين) على المدح والحث على الصبر فى هذه الأحوال لشدته وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان : وقوله (أولئك الذين صدقوا) أى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا فى إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبى بالأقوال والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا (وأولئك هم المتقون) لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى كتب عليكم العدل فى القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم ، وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة فى الجاهلية وقهروهم فكان إذا قتل النضرى القرظى لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظى النضرى قتل وإن فادوه فدوه بمائتى وسق من التمر ضعف دية القرظى فأمر الله بالعدل فى القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) وذكر فى سبب نزولها ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) يعنى إذا كان عمدا الحر بالحر وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر فى العدة والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) منها منسوخة نسختها النفس بالنفس : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (والأنثى بالأنثى) وذلك أنهم كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأنزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الأحرار فى القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم فى النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستويين فيما بينهم من العمد فى النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم وكذلك روى عن أبى مالك أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس

﴿ مسئلة ﴾ ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة وإليه ذهب الثورى وابن أبى ليلى وداود وهو مروى عن على وابن مسعود وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعى وقتادة والحكم قال البخارى وعلى بن المدينى وإبراهيم النخعى والثورى فى رواية عنه ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه » وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لأن العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب

آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين وسيأتى عند قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآية حديث أسماء بنت الصديق فى ذلك

وقوله (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه) ونظائرها فى القرآن كثيرة

وقوله (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قال الحسن البصرى: نفقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله وقال عطاء الخراسانى: يعنى إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه فى نفس الأمر لمن أصاب ألبر أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده ومستند هذا تمام الآية (وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) والحديث المخرج فى الصحيحين من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن الليلة بصدقة فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غنى قال: اللهم لك الحمد على غنى، لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غنى وعلى سارق فأتى فقيل له أما صدقتك فقد قبلت وأما الزانية فلعلها أن تستعف بها عن زنا ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق أن يستعف بها عن سرقته»

وقوله (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله) يعنى المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم و (لا يستطيعون ضربا فى الأرض) يعنى سفراً للتسبب فى طلب المعاش والضرب فى الأرض هو السفر قال الله تعالى (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية

وقوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أى الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم فى لباسهم وحالهم ومقالهم وفى هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً» وقد رواه أحمد من حديث ابن مسعود أيضاً

وقوله (تعرفهم بسيماهم) أى بما يظهر لذوى الألباب من صفاتهم كما قال تعالى (سيماهم فى وجوههم) وقال (ولتعرفنهم فى لحن القول) وفى الحديث الذى فى السنن «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله» ثم قرأ (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين)

وقوله (لا يسألون الناس إلحافا) أى لا يلحون فى المسئلة ويكلفون الناس مالا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسئلة فقد ألحف فى المسئلة قال البخارى: حدثنا ابن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبى نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف اقرءوا إن شئتم يعنى قوله (لا يسألون الناس إلحافا)» وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر المدينى عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن عطاء بن يسار وحده عن أبى هريرة به، وقال أبو عبد الرحمن النسائى: أخبرنا على بن حجر حدثنا إسماعيل أخبرنا شريك وهو ابن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وروى البخارى من حديث شعبة عن محمد بن أبى زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه وقال ابن أبى حاتم. أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى ذئب عن أبى الوليد عن أبى هريرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس المسكين بالطواف عليكم فتطعمونه لقمة لقمة إنما المسكين المتعفف الذى لا يسأل الناس إلحافا» وقال ابن جرير: حدثنى معتمر عن الحسن بن مالك عن صالح بن سويد عن أبى هريرة قال: ليس المسكين بالطواف الذى ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين المتعفف فى بيته لا يسأل الناس شيئاً تصيبه الحاجة اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائما يخطب وهو يقول «ومن استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن يسأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل الناس إلحافا» فقلت بينى وبين نفسى[1] لناقة لى خير من خمس أواق ولغلامه ناقة أخرى فهى خير من خمس أواق فرجعت ولم أسأل وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمارة ابن عرفة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال، سرحتنى أمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فأتيته فقعدت قال: فاستقبلنى فقال «من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكف كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف» قال فقلت ناقتى الياقوتة خير من أوقية فرجعت فلم أسأله وهكذا رواه أبو داود والنسائى كلاهما عن قتيبة زاد أبو داود وهشام بن عمار كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى الرجال بإسناده نحوه وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد قال: قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله قيمة أوقية فهو ملحف» والأوقية أربعون درهما وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بنى أسد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا» وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيامة خدوشا أو كدوحا فى وجهه» قالوا يا رسول الله وما غناه؟ قال: «خمسون درهما أو حسابها من الذهب» وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حكيم بن جبير الأسدى الكوفى وقد تركه شعبة بن الحجاج وضعفه غير واحد من الأئمة من جراء هذا الحديث، وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس حدثنى أبى حدثنا أبو بكر بن عياش عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال: بلغ الحارث رجلا كان بالشام من قريش أن أبا ذر كان به عوز فبعث إليه ثلثمائة دينار فقال ما وجد عبد الله رجلا أهون عليه منى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سأل وله أربعون فقد ألحف» ولآل أبى ذر أربعون درهما وأربعون شاة وماهنان قال أبو بكر بن عياش: يعنى خادمين وقال ابن مردويه. حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أخبرنا إبراهيم بن محمد أنبأنا عبد الجبار أخبرنا سفيان عن داود بن سابور عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من سأل وله أربعون درهما فهو ملحف وهو مثل سف الملة» يعنى الرمل، ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان عن أحمد بن آدم عن سفيان وهو ابن عيينة بإسناده نحوه وقوله (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) أى لا يخفى عليه شىء منه وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه

وقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) هذا مدح منه تعالى للمنفقين فى سبيله وابتغاء مرضاته فى جميع الأوقات من ليل أو نهار والأحوال من سر وجهر حتى إن النفقة على الأهل تدخل فى ذلك أيضا كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبى وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح، وفى رواية عام حجة الوداع «وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل فى فى امرأتك»، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وبهز قالا: حدثنا شعبة عن عدى ابن ثابت قال: سمعت عبد الله بن يزيد الأنصارى يحدث عن أبى مسعود رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) هكذا فى النسخ ولعله لنا ناقة الخ أو نحو ذلك وقوله ولغلامه ناقة الخ كذا فى النسخ وحرر الرواية

قال رجل من بنى تميم لأبى : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوما فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبى رضى الله عنه طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ . وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى يحيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه لمن هى يا رسول الله ؟ قال ﷺ « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائما والناس نيام » وقال معمر فى قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كان الزهرى والحسن يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضى الله عنهما وإبراهيم النخعى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ما ينامون وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا) ثم ابتدأ فقال (من الليل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون) وهذا القول اليه بعد وتعسف

وقوله عزوجل (وبالأسحارهم يستغفرون) قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار كما قال تبارك وتعالى (والمستغفرين بالأسحار) فان كان الاستغفار فى صلاة فهو أحسن . وقد ثبت فى الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر » وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى اخبارا عن يعقوب أنه قال لبنيه (سوف أستغفر لكم ربى) قالوا أخرهم إلى وقت السحر وقوله تعالى (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال (وفى أموالهم حق) أى جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعروف وهو الذى يبتدئ بالسؤال وله حق كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » ورواه أبو داود من حديث سفيان الثورى به . ثم أسنده من وجه آخر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هو المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم يعنى لا سهم له فى بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هو المحارف الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذى لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله تعالى له ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضى الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وسعيد ابن المسيب وإبراهيم النخعى ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما وعطاء بن أبى رباح : المحروم المحارف وقال قتادة والزهرى المحروم الذى لا يسأل الناس شيئاً . قال الزهرى وقد قال رسول الله ﷺ « ليس المسكين بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » وهذا الحديث قد أسنده الشيخان فى صحيحيهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذى يجئ وقد قسم المغنم فيرضخ له . وقال محمد بن إسحق حدثنى بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضى الله عنه كتف شاة فرمى بها إليه وقال : يقولون إنه المحروم ، وقال الشعبى أعيانى أن أعلم ما المحروم ، واختار ابن جرير أن المحروم الذى لا مال له بأى سبب كان وقد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها . وقال الثورى عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد

رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذا يقتضى أن هذه مدنية وليس كذلك بل هى مكية شاملة لما بعدها وقوله عز وجل (وفى الأرض آيات للموقنين) أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه ولهذا قال عز وجل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) قال قتادة من تفكر فى خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة . ثم قال تعالى (وفى السماء رزقكم) يعنى المطر (وما توعدون) يعنى الجنة قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثورى قرأ واصل الأحدب هذه الآية (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فقال ألا أرى رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ؟ فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فلما أن كان فى اليوم الثالث إذا هو بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت . وقوله تعالى (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا فى نطقكم حين تنطقون ، وكان معاذ رضى الله عنه إذا حدث بالشئ يقول لصاحبه إن هذا لحق كما أنك ههنا قال مسدد عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن البصرى قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فذكره مرسلا

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

هذه القصة قد تقدمت فى سورة هود والحجر أيضا فقوله (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) أى الذين أرصد لهم الكرامة ، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل . وقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها) فالخليل اختار الأفضل ، وقوله تعالى (قوم منكرون) وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه فى صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال (قوم منكرون) . وقوله عز وجل (فراغ إلى أهله) أى انسل خفية فى سرعة (فجاء بعجل سمين) أى من خيار ماله ، وفى الآية الأخرى (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أى مشوى على الرضف (فقربه إليهم) أى أدناه منهم (قال ألا تأكلون ؟) تلطف فى العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال (ألا تأكلون ؟) على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل . وقوله تعالى (فأوجس منهم خيفة) هذا محال على ما تقدم فى القصة فى السورة الأخرى وهى قوله

القرآن المهيمن على ماقبله من الكتب الذى انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة فى الدنيا والآخرة ونسخ به كل ماسواه من الكتب قبله وآمن بانبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

وقوله (وآتى المال على حبه) أى أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة مرفوعا « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » وقد روى الحاكم فى مستدركه من حديث شعبة والثورى عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « (وآتى المال على حبه) أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر » ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (قلت) وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح والله أعلم . وقال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ماهم محبون له وقوله (ذوى القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت فى الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك وببرك وإعطائك » وقد أمر الله تعالى بالاحسان إليهم فى غير موضع من كتابه العزيز (واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عن رسول الله ﷺ قال : « لايتم بعد حلم » (والمساكين) وهم الذين لايجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » (وابن السبيل) وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى مايوصله إلى بلده وكذا الذى يريد سفرا فى طاعة فيعطى ما يكفيه فى ذهابه وإيابه ويدخل فى ذلك الضيف كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال . ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان (والسائلين) وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها - قال عبد الرحمن حسين بن على - قال قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » رواه أبو داود (وفى الرقاب) وهم المكاتبون الذين لايجدون ما يؤدونه فى كتابتهم وسيأتى الكلام على كثير من هذه الأصناف فى آية الصدقات من براءة إن شاء الله تعالى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبى حمزة عن الشعبى حدثتنى فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله ﷺ أفى المال حق سوى الزكاة ؟ قالت فتلا على (وآتى المال على حبه) ورواه ابن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبى حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت . قال رسول الله ﷺ « فى المال حق سوى الزكاة » ثم قرأ (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - إلى قوله - وفى الرقاب) وأخرجه ابن ماجه والترمذى وضعف أبا حمزة ميمونا الأعور وقد رواه سيار وإسماعيل بن سالم عن الشعبي وقوله (وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة فى أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى وقوله (وآتى الزكاة) يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) وقول موسى لفرعون : (هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى) وقوله تعالى (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التطوع والبر والصلة ولهذا تقدم فى الحديث عن فاطمة بنت قيس أن فى المال حقا سوى الزكاة والله أعلم

وقوله (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) كقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وعكس هذه الصفة النفاق كما صح فى الحديث « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى الحديث الآخر « وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » وقوله (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس)أى فى حال الفقر وهو البأساء ، وفى حال المرض والأسقام وهو الضراء (وحين البأس) أى فى حال القتال والتقاء الأعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمدانى ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم وإنما نصب (الصابرين) على المدح والحث على الصبر فى هذه الأحوال لشدته وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان : وقوله (أولئك الذين صدقوا) أى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا فى إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا (وأولئك هم المتقون) لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى كتب عليكم العدل فى القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم ، وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة فى الجاهلية وقهروهم فكان إذا قتل النضرى القرظى لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظى النضرى قتل وإن فادوه فدوه بمائتى وسق من التمر ضعف دية القرظى فأمر الله بالعدل فى القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) وذكر فى سبب نزولها ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) يعنى إذا كان عمدا الحر بالحر وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر فى العدة والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم وللمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) منها منسوخة نسختها النفس بالنفس : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (والأنثى بالأنثى) وذلك أنهم كانوا لايقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأنزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الأحرار فى القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم فى النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستوين فيما بينهم من العمد فى النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم وكذلك روى عن أبى مالك أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس

﴿ مسئلة ﴾ ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة وإليه ذهب الثورى وابن أبى ليلى وداود وهو مروى عن علىّ وابن مسعود وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعى وقتادة والحكم قال البخارى وعلى بن المدينى وإبراهيم النخعى والثورى فى رواية عنه ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة « من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه » وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لأن العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب

أصابتنا عاما مخمصة فأتيت المدينة فأتيت حائطا فأخذت سنبلا ففركته وأكلته وجعلت منه فى كسائى فجاء صاحب الحائط فضربنى وأخذ ثوبى فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال للرجل « ما أطعمته إذ كان جائعا ولا ساعيا ولا علمته إذ كان جاهلا » فأمره فرد اليه ثوبه وأمر له بوسق من طعام أو نصف وسق إسناد صحيح قوى جيد وله شواهد كثيرة من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سئل رسول الله ﷺ عن الثمر المعلق فقال « من أصاب منه من ذى حاجة بفيه غير متخذ خبنة فلا شىء عليه » الحديث : وقال مقاتل بن حيان فى قوله (فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) فيما أكل من اضطرار وبلغنا والله أعلم أنه لايزاد على ثلاث لقم وقال سعيد بن جبير : غفور لما أكل من الحرام ، رحيم إذ أحل له الحرام فى الاضطرار ، وقال وكيع أخبرنا الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار وهذا يقتضى أن أكل الميتة للمضطر عزيمة لارخصة قال أبو الحسن الطبرى المعروف بالكيا الهراسى رفيق الغزالى فى الاشتغال وهذا هو الصحيح عندنا كالإفطار للمريض ونحو ذلك :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾

يقول تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) يعنى اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم التى بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم فخشوا لعنهم الله إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم فكتموا ذلك إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نزر يسير فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير فخابوا وخسروا فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فان الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عونا له على قتالهم وباءوا بغضب على غضب وذمهم الله فى كتابه فى غير موضع فمن ذلك هذه الآية الكريمة (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا) وهو عرض الحياة الدنيا (أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) أى إنما يأكلون ما يأكلونه فى مقابلة كتمان الحق نارا تأجج فى بطونهم يوم القيامة كما قال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وفى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الذى يأكل أو يشرب فى آنية الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » .

وقوله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) وذلك لأنه تعالى غضبان عليهم لأنهم كتموا وقد علموا فاستحقوا الغضب فلا ينظر اليهم ولا يزكيهم أى يثنى عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذابا أليما . وقد ذكر ابن أبى حاتم وابن مردويه ههنا حديث الأعمش عن أبى حازم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » ثم قال تعالى مخبراً عنهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى اعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما فى كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الأنبياء واتباعه وتصديقه استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته فى كتبهم (والعذاب بالمغفرة) أى اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من أسبابه المذكورة : وقوله تعالى (فما أصبرهم على النار) يخبر تعالى أنهم فى عذاب شديد عظيم هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياذاً بالله من ذلك وقيل معنى قوله (فما أصبرهم على النار) أى فما أدومهم لعمل المعاصى التى تفضى بهم إلى النار وقوله تعالى (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أى إنما استحقوا

هذا العذاب الشديد لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد ﷺ وعلى الأنبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وإبطال الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا فكتابهم يأمرهم باظهار العلم ونشره فخالفوه وكذبوه وهذا الرسول الخاتم يدعوهم إلى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهم يكذبونه ويخالفونه ويجحدونه ويكتمون صفته فاستهزؤا بآيات الله المنزلة على رسله فلهذا استحقوا العذاب والنكال ولهذا قال (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد)

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة كما قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبيد بن هشام الحلبى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عامر بن شفى عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبى ذر أنه سأل رسول الله ﷺ ما الايمان ؟ فتلا عليه (ليس البر أن تولوا وجوهكم) إلى آخر الآية قال ثم سأله أيضاً فتلاها عليه ثم سأله فقال : « إذا عملت حسنة أحبها قلبك وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك » وهذا منقطع فان مجاهدا لم يدرك أباذر فانه مات قديما وقال المسعودى : حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال جاء رجل إلى أبى ذر فقال ما الإيمان ؟ فقرأ عليه هذه الآية (ليس البر أن تولوا وجوهكم) حتى فرغ منها فقال الرجل ليس عن البر سألتك فقال أبو ذر جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عما سألتنى عنه فقرأ عليه هذه الآية فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى فقال له رسول الله ﷺ وأشار بيده « المؤمن إذا عمل حسنة سرته ورجا ثوابها وإذا عمل سيئة أحزنته وخاف عقابها » رواه ابن مردويه وهذا أيضاً منقطع والله أعلم

وأما الكلام على تفسير هذه الآية فان الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته فى ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه واتباع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والايمان الكامل وليس فى لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ولهذا قال (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية كما قال فى الأضاحى والهدايا (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا فهذا حين تحول من مكة إلى المدينة ونزلت الفرائض والحدود فأمر الله بالفرائض والعمل بها وروى عن الضحاك ومقاتل نحو ذلك وقال أبو العالية : كانت اليهود تقبل قبل المغرب وكانت النصارى تقبل قبل المشرق فقال الله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) يقول هذا كلام الايمان وحقيقته العمل وروى عن الحسن والربيع بن أنس مثله وقال مجاهد : ولكن البر ما ثبت فى القلوب من طاعة الله عز وجل وقال الضحاك : ولكن البر والتقوى أن تؤدوا الفرائض على وجوهها وقال الثورى : (ولكن البر من آمن بالله) الآية قال هذه أنواع البر كلها ، وصدق رحمه الله فان من اتصف بهذه الآية فقد دخل فى عرى الاسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله وهو الايمان بالله وانه لا إله إلا هو وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله (والكتاب) وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الانبياء حتى ختمت بأشرفها وهو

قال رجل من بنى تميم لأبى : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوما فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبى رضى الله عنه طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ . وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى يحيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه لمن هى يا رسول الله ؟ قال ﷺ « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائما والناس نيام » وقال معمر فى قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كان الزهرى والحسن يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضى الله عنهما وإبراهيم النخعى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ما ينامون وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا) ثم ابتدأ فقال (من الليل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون) وهذا القول فيه بعد وتعسف

وقوله عز وجل (وبالأسحارهم يستغفرون) قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار كما قال تبارك وتعالى (والمستغفرين بالأسحار) فان كان الاستغفار فى صلاة فهو أحسن . وقد ثبت فى الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر » وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى اخبارا عن يعقوب أنه قال لبنيه (سوف أستغفر لكم ربى) قالوا أخرهم إلى وقت السحر وقوله تعالى (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال (وفى أموالهم حق) أى جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعروف وهو الذى يبتدئ بالسؤال وله حق كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » ورواه أبو داود من حديث سفيان الثورى به . ثم أسنده من وجه آخر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هو المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم يعنى لا سهم له فى بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هو المحارف الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذى لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله تعالى له ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضى الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وسعيد ابن المسيب وإبراهيم النخعى ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما وعطاء بن أبى رباح : المحروم المحارف وقال قتادة والزهرى المحروم الذى لا يسأل الناس شيئاً . قال الزهرى وقد قال رسول الله ﷺ « ليس المسكين بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » وهذا الحديث قد أسنده الشيخان فى صحيحيهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذى يجئ وقد قسم المغنم فيرضخ له . وقال محمد بن إسحق حدثنى بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضى الله عنه كتف شاة فرمى بها إليه وقال : يقولون إنه المحروم ، وقال الشعبى أعيانى أن أعلم ما المحروم ، واختار ابن جرير أن المحروم الذى لا مال له بأى سبب كان وقد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها . وقال الثورى عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد

رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذا يقتضى أن هذه مدنية وليس كذلك بل هى مكية شاملة لما بعدها وقوله عز وجل (وفى الأرض آيات للموقنين) أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه ولهذا قال عز وجل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) قال قتادة من تفكر فى خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة . ثم قال تعالى (وفى السماء رزقكم) يعنى المطر (وما توعدون) يعنى الجنة قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثورى قرأ واصل الأحدب هذه الآية (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فقال ألا أرى رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ؟ فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فلما أن كان فى اليوم الثالث إذا هو بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت . وقوله تعالى (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا فى نطقكم حين تنطقون ، وكان معاذ رضى الله عنه إذا حدث بالشىء يقول لصاحبه إن هذا لحق كما أنك ههنا قال مسدد عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن البصرى قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فذكره مرسلا

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

هذه القصة قد تقدمت فى سورة هود والحجر أيضا فقوله (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) أى الذين أرصد لهم الكرامة ، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل . وقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فالخليل اختار الأفضل ، وقوله تعالى (قوم منكرون) وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه فى صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال (قوم منكرون) . وقوله عز وجل (فراغ إلى أهله) أى انسل خفية فى سرعة (فجاء بعجل سمين) أى من خيار ماله ، وفى الآية الأخرى (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أى مشوى على الرضف (فقربه إليهم) أى أدناه منهم (قال ألا تأكلون ؟) تلطف فى العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال (ألا تأكلون ؟) على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل . وقوله تعالى (فأوجس منهم خيفة) هذا محال على ما تقدم فى القصة فى السورة الأخرى وهى قوله

إن شاء الله تعالى وبه الثقة قال ابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إن هذه أول آية نزلت فى الخمر (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) ثم نزلت الآية التى فى سورة النساء ثم نزلت الآية التى فى المائدة فحرمت الخمر .

وقوله (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قرئ بالنصب وبالرفع وكلاهما حسن متجه قريب قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا موسى ابن إسماعيل حدثنا أبان حدثنا يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا يارسول الله إن لنا أرقاء وأهلين من أموالنا فأنزل الله (ويسألونك ماذا ينفقون) وقال الحكم عن مقسم عن ابن عباس (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قال مايفضل عن أهلك وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والقاسم وسالم وعطاء الخراسانى والربيع بن أنس وغير واحد أنهم قالوا فى قوله (قل العفو) يعنى الفضل وعن طاوس اليسير من كل شىء وعن الربيع أيضا أفضل مالك وأطيبه والكل يرجع إلى الفضل . وقال عبد بن حميد فى تفسيره . حدثنا هوذة بن خليفة عن عوف عن الحسن فى الآية (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ذلك ألا يجهد مالك ثم تقعد تسأل الناس ويدل على ذلك مارواه ابن جرير حدثنا على بن مسلم حدثنا أبو عاصم عن ابن عجلان عن المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رجل يارسول الله عندى دينار قال « أنفقه على نفسك » قال : عندى آخر قال « أنفقه على أهلك » قال عندى آخر قال « أنفقه على ولدك » قال : عندى آخر قال . « فأنت أبصر » وقد رواه مسلم فى صحيحه وأخرجه مسلم أيضا عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لرجل « ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شىء فلأهلك فان فضل شىء عن أهلك فلذى قرابتك فان فضل عن ذى قرابتك شىء فهكذا وهكذا » وعنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » وفى الحديث أيضا « ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف » ثم قد قيل إنها منسوخة بآية الزكاة كما رواه على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس وقاله عطاء الخراسانى والسدى وقيل مبينة بآية الزكاة قاله مجاهد وغيره وهو أوجه .

وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة) أى كما فصل لكم هذه الأحكام وبينها وأوضحها كذلك يبين لكم سائر الآيات فى أحكامه ووعده ووعيده لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة . قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى فى زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها . وقال بن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا على ابن محمد الطنافسى حدثنا أبو أسامة عن الصعق التميمى قال شهدت الحسن وقرأ هذه الآية من البقرة (لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة) قال هى والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وهكذا قال قتاده وابن جريج وغيرهما . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا . وفى رواية عن قتادة فآثروا الآخرة على الأولى .

وقوله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم) الآية . قال ابن جرير . حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن) و(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشىء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم) فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم . وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم فى مستدركه من طرق عن عطاء بن السائب به . وكذا رواه على ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، وكذا رواه السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود بمثله وهكذا ذكر غير واحد فى سبب نزول هذه الآية كمجاهد وعطاء والشعبى وابن أبى ليلى وقتادة وغير واحد من

السلف والخلف قال وكيع بن الجراح : حدثنا هشام صاحب الدستوائى عن حماد عن إبراهيم قال : قالت عائشة رضى الله عنها إنى لأكره أن يكون مال اليتيم عندى على حدة حتى أخلط طعامه بطعامى وشرابه بشرابى فقوله (قل إصلاح لهم خير) أى على حدة (وإن تخالطوهم فإخوانكم) أى وأن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم فلا بأس عليكم لأنهم إخوانكم فى الدين ولهذا قال (والله يعلم المفسد من المصلح) أى يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح وقوله (ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) أى ولو شاء الله لضيق عليكم وأحرجكم ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم وأباح لكم مخالطتهم بالتى هى أحسن قال تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن) بل جوز الأكل منه للفقير بالمعروف إما بشرط ضمان البدل لمن أيسر أو مجانا كما سيأتى بيانه فى سورة النساء إن شاء الله وبه الثقة

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان ثم إن كان عمومها مراداً وأنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب وهكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومكحول والحسن والضحاك وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وغيرهم وقيل : بل المراد بذلك المشركون من عبدة الأوثان ولم يرد أهل الكتاب بالكلية والمعنى قريب من الأول والله أعلم . فأما ما رواه ابن جرير حدثنى عبيد بن آدم بن أبى إياس العسقلانى حدثنا أبى حدثنى عبد الحميد بن بهرام الفزارى حدثنا شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عباس يقول نهى رسول الله ﷺ عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات وحرم كل ذات دين غير الإسلام . قال الله عز وجل (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) وقد نكح طلحة بن عبد الله يهودية ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية فغضب عمر بن الخطاب غضباً شديداً حتى هم أن يسطو عليهما فقالا : نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ولكنى أنتزعهن منكم صغرة قماة — فهو حديث غريب جداً وهذا الأثر غريب عن عمر أيضاً ، قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله بعد حكايته الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات وإنما كره عمر ذلك لئلا يزهد الناس فى المسلمات أو لغير ذلك من المعانى كما حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس حدثنا الصلت بن بهرام عن شقيق قال تزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر . خل سبيلها ، فكتب إليه أتزعم أنها حرام فأخلى سبيلها ؟ فقال . لا أزعم أنها حرام ولكنى أخاف أن تعاطوا المؤمنات منهن(١) وهذا إسناد صحيح وروى الخلال عن محمد بن إسماعيل عن وكيع عن الصلت نحوه . وقال ابن جرير حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى حدثنا محمد بن بشر حدثنا سفيان بن سعيد عن يزيد بن أبى زياد عن زيد بن وهب قال . قال عمر بن الخطاب : المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصرانى المسلمة قال : وهذا أصح إسنادا من الأول ثم قال : وقد حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا إسحق الأزرق عن شريك عن أشعث بن سوار عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا » ثم قال وهذا الخبر وإن كان فى إسناده ما فيه فالقول به لإجماع الجميع من الأمة عليه كذا قال ابن جرير رحمه الله وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن

(١) كذا فى النسخ التى بأيدينا فحرر الرواية اه

وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته) أى فى إحلاله وتحريمه وفروضه وحدوده فيما أمركم به ونهاكم عنه بينه ووضحه وفسره ولم يتركه مجملا فى وقت احتياجكم اليه (لعلكم تعقلون) أى تفهمون وتتدبرون

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

روى عن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف وقال أبوصالح . تسعة آلاف وعن ابن عباس أربعون ألفا . وقال وهب بن منبه وأبومالك . كانوا بضعة وثلاثين ألفا . وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : كانوا أهل قرية يقال لها ذاوردان . وكذا قال السدى وأبوصالح وزاد من قبل واسط ، وقال سعيد بن عبدالعزيز كانوا من أهل أذرعات ، وقال ابن جريج عن عطاء قال : هذا مثل(1) وقال على بن عاصم . كانوا من أهل ذاوردان قرية على فرسخ من قبل واسط . وقال وكيع بن الجراح فى تفسيره ، حدثنا سفيان عن ميسرة بن حبيب النهدى عن المنهال بن عمرو الأسدى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) قال . كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون قالوا : نأتى أرضاً ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم (موتوا) فماتوا فمر عليهم نبى من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم فذلك قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) الآية . وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة فى زمان بنى إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فرارا من الموت هاربين إلى البرية فنزلوا واديا أفيح فملأوا ما بين عدوتيه فأرسل الله اليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادى والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد فحيزوا إلى حظائر وبنى عليهم جدران وفنوا وتمزقوا وتفرقوا فلما كان بعد دهر مر بهم نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له حزقيل فسأل الله أن يحييهم على يديه فأجابه إلى ذلك وأمره أن يقول : أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى ، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض ، ثم أمره فنادى أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسى لحماً وعصباً وجلدا ، فكان ذلك وهو يشاهده ، ثم أمره فنادى أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذى كانت تعمره فقاموا أحياء ينظرون . قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون . سبحانك لا إله إلا أنت . وكان فى إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسمانى يوم القيامة ولهذا قال (إن الله لذو فضل على الناس) أى فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة. (ولكن أكثر الناس لايشكرون) أى لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم فى دينهم ودنياهم . وفى هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغنى حذر من قدر وأنه لاملجأ من الله إلا إليه فان هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء طلباً لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعا فى آن واحد . ومن هذا القبيل الحديث الصحيح الذى رواه الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى أخبرنا مالك وعبد الرزاق أخبرنا معمر كلاهما عن الزهرى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فذكر الحديث فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا لبعض حاجته فقال : إن عندى من هذا علما ، سمعت رسول الله ﷺ يقول . « إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه » فحمد الله عمر ثم انصرف ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى به بطريق أخرى لبعضه قال أحمد حدثنا حجاج ويزيد العمى قالا أخبرنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو فى

(1) يعنى أنها ضرب مثل لا قصة وقعت .

الشام عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فاذا سمعتم به فى أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً » قال فرجع عمر من الشام ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك عن الزهرى بنحوه . وقوله (وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) أى كما أن الحذر لايغنى من القدر كذلك الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلا ولا يبعده بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه كما قال تعالى (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا : لو أطاعونا ماقتلوا ، قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) وقال تعالى (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وروينا عن أمير الجيوش ومقدم العساكر وحامى حوزة الاسلام وسيف الله المسلول على أعدائه أبى سليمان خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه قال وهو فى سياق الموت : لقد شهدت كذا وكذا موقفا وما من عضو من أعضائى إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة وها أنا ذا أموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء - يعنى أنه يتألم لكونه مامات قتيلا فى الحرب ويتأسف على ذلك ويتألم أن يموت على فراشه . وقوله (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) يحث تعالى عباده على الانفاق فى سبيل الله وقد كرر تعالى هذه الآية فى كتابه العزيز فى غير موضع ، وفى حديث النزول أنه يقول تعالى « من يقرض غير عديم ولا ظلوم » وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) قال أبو الدحداح الأنصارى : يارسول الله وإن الله عز وجل ليريد منا القرض ؟ قال . « نعم يا أبا الدحداح » قال أرنى يدك يارسول الله . قال فناوله يده قال : فانى قد أقرضت ربى عز وجل حائطى قال وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل وقد رواه ابن مردويه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه مرفوعا بنحوه وقوله (قرضا حسنا) روى عن عمر وغيره من السلف هو النفقة فى سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال وقيل هو التسبيح والتقديس وقوله (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) كما قال تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) الآية وسيأتى الكلام عليها وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا مبارك بن فضالة عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى قال أتيت أباهريرة رضى الله عنه فقلت له إنه بلغنى أنك تقول إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة قال وما أعجبك من ذلك لقد سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنة ألفى ألف حسنة » هذا حديث غريب وعلى بن زيد بن جدعان عنده مناكير لكن رواه ابن أبى حاتم من وجه آخر فقال حدثنا أبوخلاد سليمان بن خلاد المؤدب حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا محمد بن عقبة الرفاعى(1) عن زياد الجصاص عن أبى عثمان النهدى قال لم يكن أحد أكثر مجالسة لأبى هريرة منى فقدم قبلى حاجا قال وقدمت بعده فإذا أهل البصرة يأثرون عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة » فقلت ويحكم والله ماكان أحد أكثر مجالسة لأبى هريرة منى فما سمعت هذا الحديث قال فتحملت أريد أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت إلى الحج أن ألقاه فى هذا الحديث فلقيته لهذا فقلت يا أباهريرة ماحديث سمعت أهل البصرة يأثرون عنك ؟ قال ماهو قلت زعموا أنك تقول إن الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال يا أباعثمان وما تعجب من ذا والله يقول (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) ويقول (ومامتاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل) والذى نفسى بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله يضاعف الحسنة ألفى ألف حسنة » وفى معنى هذا الحديث مارواه الترمذى وغيره من طريق عمرو بن دينار عن سالم عن عبدالله بن عمر ابن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال « من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على شىء قدير - كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة » الحديث وقال

(1) فى نسخة الأزهر الرباعى .

واليقين والإيمان (وإن الله بكم لرؤوف رحيم) أى فى انزاله الكتب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما أمرهم أولا بالإيمان والانفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضا على الإنفاق فقال (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض ؟) أى أنفقوا ولاتخشوا فقرا وإقلالا فان الذى أنفقتم فى سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنهما وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهوخير الرازقين) وقال (ماعندكم ينفدوما عند الله باق) فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذى العرش اقلالا وعلم أن الله سيخلفه عليه وقوله تعالى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى لايستوى هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فانه ظهر الإسلام ظهورا عظيما ودخل الناس فى دين الله أفواجا . ولهذا قال تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلواو كلاوعد الله الحسنى) والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبى وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال «دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أومثل الجبال ذهبا مابلغتم أعمالهم » ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما فى بنى جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك والذى فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وروى ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » فقلنا من هم يارسول الله أقريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن هم أرق افئدة والين قلوبا » فقلنا أهم خير منا يارسول الله ؟ قال : «لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ماأدرك مد أحدكم ولا نصيفه إلا أن هذا فضل مابيننا وبين الناس (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذى فى الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال حدثنى ابن البرقى حدثنا ابن أبى مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنى زيد بن أسلم عن أبى سعيد التمار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» قلنا من هم يارسول الله، قريش؟ قال «لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوبا» وأشار بيده إلى اليمن فقال «هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية » فقلنا يارسول الله هم خير منا ؟ قال : «والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ماأدى مد أحدكم ولا نصيفه » ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال « ألا إن هذا فضل مابيننا وبين الناس لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فان كان ذلك محفوظا كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارا عما بعده كما فى قوله تعالى فى سورة المزمل وهى مكية من أوائل مانزل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية فهى بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى المنفقين قبل الفتح

وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت فى تفاضل الجزاء كما قال تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) وهكذا الحديث الذى فى الصحيح « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر فيتوهم عندهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون خبير) أى فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وانفاقه فى حال الجهد والقلة والضيق ، وفى الحديث « سبق درهم مائة ألف » ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضى الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها . وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنا عبدالله ابن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن إسحق بن أيوب أخبرنا محمد بن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيبانى حدثنا أبو إسحق الفزارى حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن على عن ابن عمر قال كنت عند النبى ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قدخلها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال ؟ فقال « أنفق ماله على قبل الفتح » قال فان الله يقول: اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه : أسخط على ربى عزوجل ؟ إنى عن ربى راض . هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) قال عمر بن الخطاب هو الانفاق فى سبيل الله ، وقيل هو النفقة على العيال ، والصحيح أنه أعم من ذلك فكل من أنفق فى سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل فى عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) كما قال فى الآية الأخرى (أضعافا كثيرة وله أجر كريم) أى جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة

قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) قال أبو الدحداح الأنصارى يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال « نعم يا أبا الدحداح » قال أرنى يدك يارسول الله قال فناوله يده قال فانى قد أقرضت ربى حائطى وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل ، وفى رواية أنها قالت له ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها وإن رسول الله ﷺ قال « كم من عذق رداح فى الجنة لأبى الدحداح » وفى لفظ « رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبى الدحداح فى الجنة »

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ

عندى منها وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت زيد بن على يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب قال : اتفق عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص أن يجتمعا قال : ونحن شبية . فقال أحدهما لصاحبه أى آية فى كتاب الله أرجى عندك لهذه الأمة فقال عبد الله بن عمرو قول الله تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) الآية فقال ابن عباس أما إن كنت تقول هذا فأنا أقول أرجى منها لهذه الأمة قول إبراهيم (رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) وقال ابن أبى حاتم : أخبرنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثنى محمد بن أبى سلمة عن عمرو حدثنى بن المنكدر أنه قال : التقى عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص فقال ابن عباس لابن عمرو بن العاص أى آية فى القرآن أرجى عندك ، فقال عبد الله بن عمرو : قول الله عز وجل (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا) الآية فقال ابن عباس : لكن أنا أقول قول الله عز وجل (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى) فرضى من إبراهيم قوله (بلى) قال فهذا لما يعترض فى النفوس ويوسوس به الشيطان وهكذا رواه الحاكم فى المستدرك عن أبى عبدالله محمد بن يعقوب بن الأحزم عن إبراهيم بن عبدالله السعدى عن بشر بن عمر الزهرانى عن عبد العزيز بن أبى سلمة باسناده مثله ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق فى سبيله وابتغاء مرضاته وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) قال سعيد بن جبير يعنى فى طاعة الله وقال مكحول يعنى به الانفاق فى الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف ولهذا قال تعالى (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) وهذا المثل أبلغ فى النفوس من ذكر عدد السبعمائة فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمى الزرع لمن بذره فى الأرض الطيبة وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف قال الإمام أحمد : حدثنا زياد بن الربيع أبو خداش حدثنا واصل مولى ابن عيينة عن بشار بن أبى سيف الجرمى عن عياض ابن غطيف قال : دخلنا على أبى عبيدة نعوده من شكوى أصابه بجنبه وامرأته تحيفة قاعدة عند رأسه قلنا كيف بات أبو عبيدة . قالت : والله لقد بات بأجر قال أبو عبيدة ما بت بأجر وكان مقبلا بوجهه على الحائط فأقبل على القوم بوجهه وقال ألا تسألونى عما قلت . قالوا ما أعجبنا ماقلت فنسألك عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أنفق نفقة فاضلة فى سبيل الله فسبعمائة ومن أنفق على نفسه وأهله أوعاد مريضا أو ماز أذى فالحسنة بعشر أمثالها والصوم جنة مالم يخرقها ومن ابتلاه الله عز وجل ببلاء فى جسده فهوله حطة » وقد روى النسائى فى الصوم بعضه من حديث واصل به ومن وجه آخر موقوفا

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان سمعت أباعمرو الشيبانى عن ابن مسعود أن رجلا تصدق بناقة مخطومة فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ « لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة » ورواه مسلم والنسائى من حديث سليمان بن مهران عن الأعمش به ولفظ مسلم جاء رجل بناقة مخطومة فقال يارسول الله هذه فى سبيل الله فقال « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة »

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا عمرو بن مجمع أبو المنذر الكندى أخبرنا إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله جعل حسنة ابن آدم إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة

ضعف إلا الصوم والصوم لى وأنا أجزى به وللصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة يوم القيامة ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »

(حديث آخر) قال أحمد أخبرنا وكيع أخبرنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ماشاء الله يقول الله إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلى ، وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، الصوم جنة، الصوم جنة » وكذا رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وأبى سعيد الأشج كلاهما عن وكيع به

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا حسين بن على عن زائدة عن الركين عن بشر بن عميلة عن خريم بن وائل قال : قال رسول الله ﷺ « من أنفق نفقة فى سبيل الله تضاعف بسبعمائة [1] ضعف »

(حديث آخر) قال أبو داود أنبأنا محمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن يحيى بن أيوب وسعيد بن أبى أيوب عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف [2] »

(حديث آخر) قال ابن أبى حاتم : أنبأنا أبى حدثنا هارون بن عبد الله بن مروان حدثنا ابن أبى فديك عن الخليل ابن عبد الله عن الحسن عن عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أرسل بنفقة فى سبيل وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم يوم القيامة ومن غزا فى سبيل الله وأنفق فى جهة ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم » ثم تلا هذه الآية (والله يضاعف لمن يشاء) وهذا حديث غريب وقد تقدم حديث أبى عثمان النهدى عن أبى هريرة فى تضعيف الحسنة إلى ألفى ألف حسنة عند قوله (من الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) الآية

(حديث آخر) قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن العسكرى البزار أخبرنا الحسن بن على بن شبيب أخبرنا محمود بن خالد الدمشقى أخبرنا أبى عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر لما نزلت هذه الآية (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) قال النبى ﷺ « رب زد أمتى » قال فأنزل الله (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) قال « رب زد أمتى » قال فأنزل الله (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقد رواه أبو حاتم وابن حبان فى صحيحه عن حاجب بن اركين عن أبى عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز المقرى عن أبى إسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر فذكره وقوله ههنا (والله يضاعف لمن يشاء) أى بحسب إخلاصه فى عمله (والله واسع عليم) أى فضله واسع كثير أكثر من خلقه عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

يمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون فى سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منا على من أعطوه فلا يمنون به على أحد ولا يمنون به لا بقول ولا فعل

(١) فى نسخة الأزهر : سبعمائة ضعف (٢) سبعمائة

وقوله (ولاأذى) أىلا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحبطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال (لهم أجرهم عند ربهم) أى ثوابهم على الله لا على أحد سواه (ولا خوف عليهم) أى فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة (ولا هم يحزنون) أى على ما خلفوه من الأولاد ولا مافاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها لأنهم قد صاروا إلى ماهو خير لهم من ذلك

ثم قال تعالى (قول معروف) أى من كلمة طيبة ودعاء لمسلم (ومغفرة) أى عفو وغفر عن ظلم قولى أو فعلى (خير من صدقة يتبعها أذى) قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا ابن فضيل قال : قرأت على معقل بن عبد الله عن عمرو ابن دينار قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال مامن صدقة أحب إلى الله من قول معروف الم تسمع قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى) عن خلقه (حليم) أى يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم وقد وردت الأحاديث بالنهى عن المن فى الصدقة ففى صحيح مسلم من حديث شعبة عن الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة ابن الحر عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم ولايزكيهم ولهم عذاب أليم : المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن عثمان بن يحى أخبرنا عثمان بن محمد الدورى أخبرنا هشيم بن خارجة أخبرنا سليمان بن عقبة عن يونس بن ميسرة عن أبى إدريس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر » وروى أحمد وابن ماجه من حديث يونس بن ميسرة نحوه ثم روى ابن مردويه وابن حبان والحاكم فى مستدركه والنسائى من حديث عبد الله بن يسار الأعرج عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى » وقد روى النسائى عن مالك بن سعد عن عمه روح بن عبادة عن عتاب بن بشير عن خصيف الجزرى عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا منان » وقد رواه ابن أبى حاتم عن الحسن بن المنهال عن محمد بن عبد الله بن عصار الموصلى عن عتاب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ورواه النسائى من حديث عبد الكريم بن مالك الجزرى عن مجاهد قوله وقد روى عن مجاهد عن أبى سعيد وعن مجاهد عن أبى هريرة نحوه ولهذا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى فما يفى ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى ثم قال تعالى (كالذى ينفق ماله رئاء الناس) أى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ولهذا قال (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائى بانفاقه قال الضحاك : والذى يتبع نفقته منا أو أذى فقال (فمثله كمثل صفوان) وهو جمع صفوانة فمنهم من يقول الصفوان يستعمل مفرداً أيضاً وهو الصفا وهو الصخر الأملس (عليه تراب فأصابه وابل) وهو المطر الشديد (فتركه صلداً) أى فترك الوابل ذلك الصفوان صلداً أى أملس يابساً أى لا شىء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أى وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال (لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين)

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم فى ذلك (وتثبيتاً من أنفسهم) أى وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ونظير هذا فى معنى قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح المتفق على صحته « من صام رمضان إيمانا واحتسابا » أى يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه قال الشعبى : (وتثبيتاً

من أنفسهم) أى تصديقاً ويقيناً وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد والحسن أى يتثبتون أين يضعون صدقاتهم

وقوله (كمثل جنة بربوة) أى كمثل بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد ابن عباس والضحاك وتجرى فيه الأنهار . قال ابن جرير رحمه الله . وفى الربوة ثلاث لغات هن ثلاث قراءات بضم الراء وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق وفتحها وهى قراءة بعض أهل الشام والكوفة ويقال انها لغة تميم وكسر الراء ويذكر أنها قراءة ابن عباس

وقوله (أصابها وابل) وهو المطر الشديد كما تقدم فآتت (أكلها) أى ثمرتها (ضعفين) أى بالنسبة إلى غيرها من الجنان (فان لم يصبها وابل فطل) قال الضحاك هو الرذاذ وهو اللين من المطر أى هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأيا ما كان فهو كفايتها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال (والله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه من أعمال عباده شىء

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

قال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن ابن جريج سمعت عبد الله بن أبى مليكة يحدث عن ابن عباس وسمعت أخاه أبا بكر بن أبى مليكة يحدث عن عبيد بن عمير قال : قال عمر ابن الخطاب يوماً لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) قالوا : الله أعلم فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أولا نعلم ، فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقال عمر : يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس رضى الله عنهما ضربت مثلا بعمل قال عمر : أى عمل ؟ قال ابن عباس لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله ثم رواه البخارى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج فذكره وهو من أفراد البخارى رحمه الله وفى هذا الحديث كفاية فى تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولا ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذا بالله من ذلك فأبطل بعمله الثانى ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج إلى شىء من الأول فى أضيق الأحوال فلم يحصل منه شىء وخانه أحوج ما كان اليه ولهذا قال تعالى (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار) وهو الريح الشديد (فيه نار فاحترقت) أى أحرق ثمارها وأباد أشجارها فأى حال يكون حاله ؟ وقد روى ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال . ضرب الله مثلا حسنا وكل أمثاله حسن قال (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات) يقول صنعه فى شيبته (وأصابه الكبر) وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا رد إلى الله عز وجل ليس له خير فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجده قدم لنفسه خيرا يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان اليه كما حرم هذا جنته عند ما كان أفقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته . وهكذا روى الحاكم فى مستدركه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعائه « اللهم اجعل أوسع رزقك على عند كبر سنى وانقضاء عمرى » ولهذا قال تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) أى تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعانى وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

وقوله (ولاأذى) أى لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحبطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال (لهم أجرهم عند ربهم) أى ثوابهم على الله لا على أحد سواه (ولا خوف عليهم) أى فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة (ولا هم يحزنون) أى على ما خلفوه من الأولاد ولا مافاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها لأنهم قد صاروا إلى ماهو خير لهم من ذلك

ثم قال تعالى (قول معروف) أى من كلمة طيبة ودعاء لمسلم (ومغفرة) أى عفو وغفر عن ظلم قولى أو فعلى (خير من صدقة يتبعها أذى) قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا ابن فضيل قال : قرأت على معقل بن عبد الله عن عمرو ابن دينار قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف ألم تسمع قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى) عن خلقه (حليم) أى يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم وقد وردت الأحاديث بالنهى عن المن فى الصدقة ففى صحيح مسلم من حديث شعبة عن الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة ابن الحر عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى أخبرنا عثمان بن محمد الدورى أخبرنا هشيم بن خارجة أخبرنا سليمان بن عقبة عن يونس بن ميسرة عن أبى إدريس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر » وروى أحمد وابن ماجه من حديث يونس بن ميسرة نحوه ثم روى ابن مردويه وابن حبان والحاكم فى مستدركه والنسائى من حديث عبد الله بن يسار الأعرج عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى » وقد روى النسائى عن مالك بن سعد عن عمه روح بن عبادة عن عتاب بن بشير عن خصيف الجزرى عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا منان » وقد رواه ابن أبى حاتم عن الحسن بن المنهال عن محمد بن عبد الله بن عصار الموصلى عن عتاب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ورواه النسائى من حديث عبد الكريم بن مالك الجزرى عن مجاهد قوله وقد روى عن مجاهد عن أبى سعيد وعن مجاهد عن أبى هريرة نحوه ولهذا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى فما يفى ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى ثم قال تعالى (كالذى ينفق ماله رئاء الناس) أى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ولهذا قال (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائى بإنفاقه قال الضحاك : والذى يتبع نفقته منا أو أذى فقال (فمثله كمثل صفوان) وهو جمع صفوانة فمنهم من يقول الصفوان يستعمل مفرداً أيضاً وهو الصفا وهو الصخر الأملس (عليه تراب فأصابه وابل) وهو المطر الشديد (فتركه صلداً) أى فترك الوابل ذلك الصفوان صلداً أى أملس يابساً أى لا شىء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أى وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال (لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين)

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم فى ذلك (وتثبيتاً من أنفسهم) أى وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ونظير هذا فى معنى قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح المتفق على صحته « من صام رمضان إيمانا واحتسابا » أى يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه قال الشعبى : (وتثبيتاً

من أنفسهم) أى تصديقاً ويقيناً وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد والحسن أى يتثبتون أين يضعون صدقاتهم

وقوله (كمثل جنة بربوة) أى كمثل بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد ابن عباس والضحاك وتجرى فيه الأنهار . قال ابن جرير رحمه الله . وفى الربوة ثلاث لغات هن ثلاث قراءات بضم الراء وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق وفتحها وهى قراءة بعض أهل الشام والكوفة ويقال انها لغة تميم وكسر الراء ويذكر أنها قراءة ابن عباس

وقوله (أصابها وابل) وهو المطر الشديد كما تقدم فآتت (أكلها) أى ثمرتها (ضعفين) أى بالنسبة إلى غيرها من الجنان (فان لم يصبها وابل فطل) قال الضحاك هو الرذاذ وهو اللين من المطر أى هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأيا ما كان فهو كفايتها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال (والله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه من أعمال عباده شىء

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

قال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن ابن جريج سمعت عبد الله بن أبى مليكة يحدث عن ابن عباس وسمعت أخاه أبا بكر بن أبى مليكة يحدث عن عبيد بن عمير قال : قال عمر ابن الخطاب يوماً لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) قالوا : الله أعلم فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقال عمر : يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس رضى الله عنهما ضربت مثلا بعمل قال عمر : أى عمل ؟ قال ابن عباس لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله ثم رواه البخارى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج فذكره وهو من أفراد البخارى رحمه الله وفى هذا الحديث كفاية فى تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولا ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذا بالله من ذلك فأبطل بعمله الثانى ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج إلى شىء من الأول فى أضيق الأحوال فلم يحصل منه شىء وخانه أحوج ما كان اليه ولهذا قال تعالى (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار) وهو الريح الشديد (فيه نار فاحترقت) أى أحرق ثمارها وأباد أشجارها فأى حال يكون حاله ؟ وقد روى ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال . ضرب الله مثلا حسنا وكل أمثاله حسن قال (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات) يقول صنعه فى شيبته (وأصابه الكبر) وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا رد إلى الله عز وجل ليس له خير فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجده قدم لنفسه خيرا يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان اليه كما حرم هذا جنته عند ما كان أفقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته . وهكذا روى الحاكم فى مستدركه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعائه « اللهم اجعل أوسع رزقك على عند كبر سنى وانقضاء عمرى » ولهذا قال تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) أى تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعانى وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

وقوله (ولاأذى) أى لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحبطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال (لهم أجرهم عند ربهم) أى ثوابهم على الله لا على أحد سواه (ولا خوف عليهم) أى فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة (ولا هم يحزنون) أى على ما خلفوه من الأولاد ولا مافاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها لأنهم قد صاروا إلى ماهو خير لهم من ذلك

ثم قال تعالى (قول معروف) أى من كلمة طيبة ودعاء لمسلم (ومغفرة) أى عفو وغفر عن ظلم قولى أو فعلى (خير من صدقة يتبعها أذى) قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا ابن فضيل قال : قرأت على معقل بن عبد الله عن عمرو ابن دينار قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال مامن صدقة أحب إلى الله من قول معروف الم تسمع قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى) عن خلقه (حليم) أى يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم وقد وردت الأحاديث بالنهى عن المن فى الصدقة ففى صحيح مسلم من حديث شعبة عن الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة ابن الحر عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى أخبرنا عثمان بن محمد الدورى أخبرنا هشيم بن خارجة أخبرنا سليمان بن عقبة عن يونس بن ميسرة عن أبى إدريس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر » وروى أحمد وابن ماجه من حديث يونس بن ميسرة نحوه ثم روى ابن مردويه وابن حبان والحاكم فى مستدركه والنسائى من حديث عبد الله بن يسار الأعرج عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى » وقد روى النسائى عن مالك بن سعد عن عمه روح بن عبادة عن عتاب بن بشير عن خصيف الجزرى عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا منان » وقد رواه ابن أبى حاتم عن الحسن بن المنهال عن محمد بن عبد الله بن عصار الموصلى عن عتاب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ورواه النسائى من حديث عبد الكريم بن مالك الجزرى عن مجاهد قوله وقد روى عن مجاهد عن أبى سعيد وعن مجاهد عن أبى هريرة نحوه ولهذا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى فما يفى ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى ثم قال تعالى (كالذى ينفق ماله رئاء الناس) أى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ولهذا قال (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائى بانفاقه قال الضحاك : والذى يتبع نفقته منا أو أذى فقال (فمثله كمثل صفوان) وهو جمع صفوانة فمنهم من يقول الصفوان يستعمل مفرداً أيضاً وهو الصفا وهو الصخر الأملس (عليه تراب فأصابه وابل) وهو المطر الشديد (فتركه صلداً) أى فترك الوابل ذلك الصفوان صلداً أى أملس يابساً أى لا شىء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أى وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال (لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين)

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم فى ذلك (وتثبيتاً من أنفسهم) أى وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ونظير هذا فى معنى قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح المتفق على صحته « من صام رمضان إيمانا واحتسابا » أى يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه قال الشعبى : (وتثبيتاً

من أنفسهم) أى تصديقاً ويقيناً وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد والحسن أى يتثبتون أين يضعون صدقاتهم

وقوله (كمثل جنة بربوة) أى كمثل بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد ابن عباس والضحاك وتجرى فيه الأنهار . قال ابن جرير رحمه الله . وفى الربوة ثلاث لغات هن ثلاث قراءات بضم الراء وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق وفتحها وهى قراءة بعض أهل الشام والكوفة ويقال انها لغة تميم وكسر الراء ويذكر أنها قراءة ابن عباس

وقوله (أصابها وابل) وهو المطر الشديد كما تقدم فآتت (أكلها) أى ثمرتها (ضعفين) أى بالنسبة إلى غيرها من الجنان (فان لم يصبها وابل فطل) قال الضحاك هو الرذاذ وهو اللين من المطر أى هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأيا ما كان فهو كفايتها وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال (والله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه من أعمال عباده شىء

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

قال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن ابن جريج سمعت عبد الله بن أبى مليكة يحدث عن ابن عباس وسمعت أخاه أبا بكر بن أبى مليكة يحدث عن عبيد بن عمير قال : قال عمر ابن الخطاب يوماً لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) قالوا : الله أعلم فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أولا نعلم ، فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقال عمر : يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس رضى الله عنهما ضربت مثلا بعمل قال عمر : أى عمل ؟ قال ابن عباس لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله ثم رواه البخارى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج فذكره وهو من أفراد البخارى رحمه الله وفى هذا الحديث كفاية فى تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولا ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذا بالله من ذلك فأبطل بعمله الثانى ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج إلى شىء من الأول فى أضيق الأحوال فلم يحصل منه شىء وخانه أحوج ما كان اليه ولهذا قال تعالى (وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار) وهو الريح الشديد (فيه نار فاحترقت) أى أحرق ثمارها وأباد أشجارها فأى حال يكون حاله ؟ وقد روى ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال . ضرب الله مثلا حسنا وكل أمثاله حسن قال (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات) يقول صنعه فى شيبته (وأصابه الكبر) وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا رد إلى الله عزوجل ليس له خير فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجده قدم لنفسه خيرا يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان اليه كما حرم هذا جنته عند ما كان أفقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته . وهكذا روى الحاكم فى مستدركه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعائه « اللهم اجعل أوسع رزقك على عند كبر سنى وانقضاء عمرى » ولهذا قال تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) أى تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعانى وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ * ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالانفاق والمراد به الصدقة ههنا قاله ابن عباس من طيبات مارزقهم من الأموال التى اكتسبوها قال مجاهد : يعنى التجارة بتيسيره إياهالهم وقال على والسدى (من طيبات ما كسبتم) يعنى الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التى أنبتهالهم من الأرض قال ابن عباس أمرهم بالانفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فان الله طيب لايقبل إلا طيباً ولهذا قال (ولاتيمموا الخبيث) أى تقصدوا الخبيث (منه تنفقون ولستم بآخذيه) أى لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه فالله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون وقيل معناه (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون) أى لاتعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا إلى الحرام فتجعلوا نفقتكم منه . ويذكر ههنا الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا إسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ولايعطى الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولايؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ـ قالوا : ومابوائقه يانبى الله ؟ قال : غشه وظلمه ولايكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لايمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لايمحو الخبيث » والصحيح القول الأول قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا الحسين بن عمر العنقزى حدثنى أبى عن أسباط عن السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى قول الله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) الآية قال . نزلت فى الأنصار كانت الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها البسر فعلقوه على حبل بين الاسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع أقناء البسر يظن أن ذلك جائز فأنزل الله فيمن فعل ذلك (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ثم رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والحاكم فى مستدركه من طريق السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بنحوه وقال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك عن البراء رضى الله عنه (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) قال : نزلت فينا كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتى الرجل بالقنو فيعلقه فى المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لايرغبون فى الخير يأتى بالقنو الحشف والشيص فيأتى بالقنو قد انكسر فيعلقه فنزلت (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) قال لو أن أحدكم أهدى له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على اغماض وحياء فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ماعنده وكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن عبيد الله هو ابن موسى العبسى عن إسرائيل عن السدى وهو إسماعيل بن عبد الرحمن عن أبى مالك الغفارى واسمه غزوان عن البراء فذكر نحوه ثم قال وهذا حديث حسن غريب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا سليمان بن كثير عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم نهى عن لونين من التمر الجعرور ولون الحبيق[1] وكان الناس يتيممون شرار ثمارهم ثم يخرجونها فى الصدقة فنزلت (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ورواه أبو داود من حديث سفيان بن حسين عن الزهرى ثم قال أسنده أبو الوليد عن سليمان بن كثير عن الزهرى ولفظه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجعرور ولون الحبيق أن يؤخذ فى الصدقة وقد روى النسائى هذا الحديث من طريق عبد الجليل بن حميد اليحصبى عن الزهرى عن أبى أمامة ولم يقل عن أبيه فذكر نحوه وكذا رواه ابن وهب عن عبد الجليل وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا يحى بن المغيرة حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن مغفل فى هذه الآية (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) قال كسب المسلم لا يكون خبيثا ولكن لايصدق بالحشف والدرهم الزيف ومالا خير فيه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن حماد هو ابن سليمان عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت أتى رسول الله ﷺ بضب فلم يأكله ولم ينه عنه قلت : يا رسول الله نطعمه المساكين قال « لا تطعموهم مما لا تأكلون » ثم رواه عن عفان عن حماد بن سلمة به فقلت يا رسول الله ألا أطعمه المساكين ؟ قال « لا تطعموهم مما لا تأكلون » وقال الثورى : عن السدى عن أبى مالك عن البراء (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) يقول لو كان لرجل على رجل[2] فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه ؟ رواه ابن جرير وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه قال فذلك قوله (إلا أن تغمضوا فيه) فكيف ترضون لى مالا ترضون لأنفسكم وحقى عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه ؟ رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وزاد وهو قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ثم روى من طريق العوفى وغيره عن ابن عباس نحو ذلك وكذا ذكره غير واحد

وقوله (واعلموا أن الله غنى حميد) أى وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غنى عنها وما ذاك إلا أن يساوى الغنى الفقير كقوله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وهو غنى عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء إليه وهو واسع الفضل لا ينفد مالديه فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غنى واسع العطاء كريم جواد وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد أى المحمود فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه

وقوله (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان » ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) الآية وهكذا رواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير من سننهما جميعاً عن هناد بن السرى وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن أبى يعلى الموصلى عن هناد به وقال الترمذى حسن غريب وهو حديث أبى الأحوص يعنى سلام بن سليم لانعرفه مرفوعا إلا من حديثه ، كذا قال وقد رواه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره عن محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب عن أبى الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن ابن مسعود فجعله من قوله والله أعلم ، ومعنى قوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر) أى يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه فى مرضاة الله (ويأمركم بالفحشاء) أى مع نهيه إياكم عن الانفاق خشية الاملاق ، يأمركم بالمعاصى والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق قال تعالى (والله يعدكم مغفرة منه) أى فى مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء . (وفضلا) أى فى مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر (والله واسع عليم)

(١) الجعرور بضم الجيم . والحبيق بضم المهملة : نوعان من الدقل وهو بالتحريك : التمر الردىء اليابس (٢) كذا والمراد حق .

وقوله (يؤتى الحكمة من يشاء)قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « الحكمة القرآن » يعنى تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد يعنى بالحكمة الاصابة فى القول وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (يؤتى الحكمة من يشاء)ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية . الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهنى عن أبى عمار الأسدى عن ابن مسعود مرفوعا « رأس الحكمة مخافة الله » وقال أبو العالية فى رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعى : الحكمة الفهم وقال أبو مالك: الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك: وإنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هو الفقه فى دين الله وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه فى دين الله وقال السدى الحكمة النبوة . والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء فى بعض الأحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه » رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبدالله بن عمرو وقوله وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويزيد قالا : حدثنا إسماعيل يعنى بن أبى خالد عن قيس وهو ابن أبى حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة[1] فهو يقضى بها ويعلمها » وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبى خالد به

وقوله (وما يذكر إلا أولو الألباب) أى وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعى به الخطاب ومعنى الكلام

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أى يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته

وقوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى) أى إن أظهرتموها فنعم شىء هى

وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهل خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية . ولما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه : ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت

(١) وفى بعض روايات الصحيح الحكمة بالتعريف .

فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل فى خلقك شىء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من النار . قال : نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شىء أشد من الماء . قال : نعم الريح قالت . يارب فهل من خلقك شىء أشد من الريح . قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله » وقد ذكرنا فى فضل آية الكرسى عن أبى ذر قال . قلت يا رسول الله أى الصدقة أفضل . قال « سر إلى فقير أو جهد من مقل » رواه أحمد ورواه ابن أبى حاتم من طريق على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن أبى ذر فذكره وزاد ثم شرع فى هذه الآية (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفى الحديث المروى « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل » وقال ابن أبى حاتم . حدثنا أبى حدثنا الحسين بن زياد المحاربى مؤدب محارب أنا موسى بن عمير عن عامر الشعبى فى قوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال أنزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك ياعمر » قال خلفت لهم نصف مالى وأما أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر » فقال عدة الله وعدة رسوله . فبكى عمر رضى الله عنه وقال بأبى أنت وأمى يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقا . وهذا الحديث روى من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه وإنما أوردناه ههنا لقول الشعبى إن الآية نزلت فى ذلك ثم إن الآية عامة فى أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال . جعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها يقال[1] بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا

وقوله (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سراً يحصل لكم الخير فى رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرى ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله (فنعماهى) كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله (والله بما تعملون خبير) أى لايخفى عليه من ذلك شىء وسيجزيكم عليه

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قال أبو عبد الرحمن النسائى أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابى حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) وكذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو أحمد الزبيرى وأبو داود الحضرى عن سفيان وهو الثورى به وقال ابن أبى حاتم : أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنى أحمد ابن عبدالرحمن يعنى الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بأن لايتصدق إلا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم) إلى

(١) ليس فى تفسير ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيما بعده سقط .

وقوله (يؤتى الحكمة من يشاء) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « الحكمة القرآن » يعنى تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد يعنى بالحكمة الاصابة فى القول وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (يؤتى الحكمة من يشاء) ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية . الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهنى عن أبى عمار الأسدى عن ابن مسعود مرفوعا « رأس الحكمة مخافة الله » وقال أبو العالية فى رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعى : الحكمة الفهم وقال أبو مالك: الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك: وإنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هو الفقه فى دين الله وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه فى دين الله وقال السدى الحكمة النبوة . والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء فى بعض الأحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه » رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبدالله بن عمرو وقوله وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويزيد قالا : حدثنا إسماعيل يعنى بن أبى خالد عن قيس وهو ابن أبى حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة[1] فهو يقضى بها ويعلمها » وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبى خالد به

وقوله (وما يذكر إلا أولو الألباب) أى وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعى به الخطاب ومعنى الكلام

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أى يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته

وقوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى) أى إن أظهرتموها فنعم شىء هى

وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية . ولما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه : ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت

(١) وفى بعض روايات الصحيح الحكمة بالتعريف .

فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل فى خلقك شىء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من النار . قال : نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شىء أشد من الماء . قال : نعم الريح قالت . يارب فهل من خلقك شىء أشد من الريح . قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله » وقد ذكرنا فى فضل آية الكرسى عن أبى ذر قال . قلت يا رسول الله أى الصدقة أفضل . قال « سر إلى فقير أو جهد من مقل » رواه أحمد ورواه ابن أبى حاتم من طريق على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن أبى ذر فذكره وزاد ثم شرع فى هذه الآية (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفى الحديث المروى « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل » وقال ابن أبى حاتم . حدثنا أبى حدثنا الحسين بن زياد المحاربى مؤدب محارب أنا موسى بن عمير عن عامر الشعبى فى قوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال أنزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك يا عمر » قال خلفت لهم نصف مالى وأما أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر » فقال عدة الله وعدة رسوله . فبكى عمر رضى الله عنه وقال بأبى أنت وأمى يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقا . وهذا الحديث روى من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه وإنما أوردناه ههنا لقول الشعبى إن الآية نزلت فى ذلك ثم إن الآية عامة فى أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال . جعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها يقال[1] بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا

وقوله (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سرا يحصل لكم الخير فى رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرى ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله (فنعماهى) كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله (والله بما تعملون خبير) أى لايخفى عليه من ذلك شىء وسيجزيكم عليه

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قال أبو عبد الرحمن النسائى أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابى حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) وكذا رواه أبوحذيفة وابن المبارك وأبو أحمد الزبيرى وأبو داود الحضرمى عن سفيان وهو الثورى به وقال ابن أبى حاتم : أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنى أحمد ابن عبدالرحمن يعنى الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بأن لايتصدق إلا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم) إلى

(١) ليس فى تفسير ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيما بعده سقط .

إنسيا وهذا قول غريب وقوله (فلما رأى قميصه قد من دبر) أى لما تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما قذفته ورمته به (قال إنه من كيدكن) أى إن هذا البهت واللطخ الذى لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن (إن كيدكن عظيم) ثم قال آمرا ليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع (يوسف أعرض عن هذا) أى اضرب عن هذا صفحا أى فلا تذكره لأحد (واستغفرى لذنبك) يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلا أو أنه عذرها لأنها رأت مالا صبر لها عنه فقال لها استغفرى لذنبك أى الذى وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو برىء منه (إنك كنت من الخاطئين)

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ❊ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ❊ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ❊ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ❊ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع فى المدينة وهى مصر حتى تحدث به الناس (وقال نسوة فى المدينة) مثل نساء الكبراء والأمراء ينكرن على امرأة العزيز وهو الوزير ويعبن ذلك عليها (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أى تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها (قد شغفها حبا) أى قد وصل حبه إلى شغاف قلبها وهو غلافه قال الضحاك عن ابن عباس: الشغف الحب القاتل والشغف دون ذلك والشغاف حجاب القلب (إنا لنراها فى ضلال مبين) أى فى صنيعها هذا من حبها فتاها ومراودتها إياه عن نفسه (فلما سمعت بمكرهن) قال بعضهم بقولهن ذهب الحب بها وقال محمد بن إسحق بل بلغهن حسن يوسف فأحببن أن يرينه فقلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته فعند ذلك (أرسلت إليهن) أى دعتهن إلى منزلها لتضيفهن (وأعتدت لهن متكأ) قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن والسدى وغيرهم هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه ولهذا قال تعالى (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن فى احتيالهن على رؤيته (وقالت اخرج عليهن) وذلك أنها كانت قد خبأته فى مكان آخر (فلما) خرج و(رأينه أكبرنه) أى أعظمنه أى أعظمن شأنه وأجللن قدره وجعلن يقطعن أيديهن دهشا برؤيته وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين والمراد أنهن حززن أيديهن بها قاله غير واحد وعن مجاهد وقتادة قطعن أيديهن حتى ألقينها فالله أعلم . وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعدما أكلن وطابت أنفسهن ثم وضعت بين أيديهن أترجا وآتت كل واحد منهن سكينا هل لكن فى النظر إلى يوسف ؟ قلن نعم فبعثت إليه تأمره أن اخرج إليهن فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلا ومدبرا فرجع وهن يحززن فى أيديهن فلما أحسسن بالألم جعلن يولولن فقالت أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا فكيف ألام ؟ (فقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) ثم قلن لها وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذى رأينا ، لأنهن لم يرين فى البشر شبهه ولا قريبا منه فانه عليه السلام كان قد أعطى شطر الحسن كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح فى حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف عليه السلام فى السماء الثالثة قال « فاذا هو قد أعطى شطر الحسن » وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه « أعطى يوسف وأمه شطر الحسن » وقال سفيان الثورى عن أبى إسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن ، وقال أبو إسحق

أيضا عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : كان وجه يوسف مثل البرق وكانت المرأة إذا أتته لحاجة غطى وجهه مخافة أن تفتتن به ورواه الحسن البصرى مرسلا عن النبى ﷺ أنه قال « أعطى يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين » أو قال « أعطى يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث » وقال سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشى قال : قسم الحسن نصفين فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن . والنصف الآخر بين سائر الخلق . وقال الإمام أبو القاسم السهيلى معناه أن يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام فان الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها ولم يكن فى ذريته من يوازيه فى جماله وكان يوسف قد أعطى شطر حسنه فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته (حاش لله) قال مجاهد وغير واحد معاذ الله (ماهذا بشرا) وقرأ بعضهم ماهذا بشرى أى بمشترى بشراء (إن هذا إلا ملك كريم ❊ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) تقول هذا معتذرة اليهن بأن هذا حقيق أن يحب لجماله وكماله (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى فامتنع قال بعضهم لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاته الحسنة التى تخفى عنهن وهى العفة مع هذا الجمال ثم قالت تتوعده (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فعند ذلك استعاذ يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن و(قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه) أى من الفاحشة (وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن) أى إن وكلتنى إلى نفسى فليس لى منها قدرة ولا أملك لها ضرا ولا نفعا إلا بحولك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلنى إلى نفسى (أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه) الآية ، وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا فى غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهى امرأة عزيز مصر وهى مع هذا فى غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه

ولهذا ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

يقول تعالى ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلى حين أى إلى مدة وذلك بعدما عرفوا براءته وظهرت الآيات وهى الأدلة على صدقه فى عفته ونزاهته وكأنهم والله أعلم إنما سجنوه لما شاع الحديث إيهاما أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك . ولهذا لما طلبه الملك الكبير فى آخر المدة امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب اليه من الخيانة . فلما تقرر ذلك خرج وهو نقى العرض صلوات الله عليه وسلامه . وذكر السدى أنهم إنما سجنوه لئلا يشيع ما كان منها فى حقه ويبرأ عرضه فيفضحها

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

قال قتادة كان أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه . قال محمد بن إسحق كان اسم الذى على الشراب نبوا والآخر مجلث. قال السدى كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سمه فى طعامه وشرابه وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر فى السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث وحسن السمت وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه . ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم . ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تآلفا به وأحباه حبا شديدا وقالا له : والله لقد أحببناك حبا زائدا . قال بارك الله فيكما إنه ما أحبنى أحد إلا دخل على من محبته

ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أى أصعبه فى أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها (والخاشعين والخاشعات) الخشوع: السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما فى الحديث « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » (والمتصدقين والمتصدقات) الصدقة هى الاحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانا إلى خلقه وقد ثبت فى الصحيحين « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله – فذكر منهم – ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وفى الحديث الآخر « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » والأحاديث فى الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته (والصائمين والصائمات) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أى يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعا وشرعا كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل فى قوله تعالى (والصائمين والصائمات) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ناسب أن يذكر بعده (والحافظين فروجهم والحافظات) أى عن المحارم والمآثم إلا عن المباح كما قال عز وجل (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن على بن الأقمر عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » قال قلت يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله تعالى ؟ قال « لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه » وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فأتى على جمدان فقال « هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون » قالوا وما المفردون ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » ثم قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة قال إنه بلغنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من تعاطى الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلا سأله فقال أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله تعالى ذكراً » قال فأى الصائمين أكثر أجراً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله عز وجل ذكرا » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة . كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله ذكراً » فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل » . وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث

الواردة فى كثرة الذكر عند قوله تعالى فى هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية إن شاء الله تعالى ، وقوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أى أن الله تعالى قد أعد لهم أى هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى فانكحيه » قالت يا رسول الله أؤامر فى نفسى؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) الآية قالت قد رضيته لى يا رسول الله منكحا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت إذا لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسى وقال ابن لهيعة عن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضى الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان أنها نزلت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فامتنعت ثم أجابت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعنى بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه يعنى والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هى وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال فذاك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال خطب النبى ﷺ على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى أستأمر أمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فنعم إذا » قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية فى سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه . قال فكأنها جلت عن أبويها وقالا صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضيته فقد رضيناه قال صلى الله عليه وسلم « فانى قد رضيته » قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضى الله عنه فلقد رأيتها وإنها لمن انفق بيت بالمدينة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوى عن أبى برزة الأسلمى قال إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتى لا تدخلن عليكن جليبيبا فانه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار « زوجنى ابنتك » قال نعم وكرامة يا رسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم « إنى لست أريدها لنفسى » قال فلمن يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لجليبيب » فقال يا رسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس

وقوله (يؤتى الحكمة من يشاء)قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « الحكمة القرآن » يعنى تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد يعنى بالحكمة الاصابة فى القول وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (يؤتى الحكمة من يشاء)ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية . الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهنى عن أبى عمار الأسدى عن ابن مسعود مرفوعا « رأس الحكمة مخافة الله » وقال أبو العالية فى رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعى : الحكمة الفهم وقال أبو مالك: الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك: وإنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هو الفقه فى دين الله وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه فى دين الله وقال السدى الحكمة النبوة . والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء فى بعض الأحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه » رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبدالله بن عمرو وقوله وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويزيد قالا : حدثنا إسماعيل يعنى بن أبى خالد عن قيس وهو ابن أبى حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة(١) فهو يقضى بها ويعلمها » وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبى خالد به

وقوله (وما يذكر إلا أولو الألباب) أى وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعى به الخطاب ومعنى الكلام

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أى يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته

وقوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى) أى إن أظهرتموها فنعم شىء هى

وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهل خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية . ولما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه : ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت

(١) وفى بعض روايات الصحيح الحكمة بالتعريف .

فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل فى خلقك شىء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من النار . قال : نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شىء أشد من الماء . قال : نعم الريح قالت . يارب فهل من خلقك شىء أشد من الريح . قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله » وقد ذكرنا فى فضل آية الكرسى عن أبى ذر قال . قلت يا رسول الله أى الصدقة أفضل . قال « سر إلى فقير أو جهد من مقل » رواه أحمد ورواه ابن أبى حاتم من طريق على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن أبى ذر فذكره وزاد ثم شرع فى هذه الآية (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفى الحديث المروى « صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل » وقال ابن أبى حاتم . حدثنا أبى حدثنا الحسين بن زياد المحاربى مؤدب محارب أنا موسى بن عمير عن عامر الشعبى فى قوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال أنزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك ياعمر » قال خلفت لهم نصف مالى وأما أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر » فقال عدة الله وعدة رسوله . فبكى عمر رضى الله عنه وقال بأبى أنت وأمى يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقا . وهذا الحديث روى من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه وإنما أوردناه ههنا لقول الشعبى إن الآية نزلت فى ذلك ثم إن الآية عامة فى أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال . جعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها يقال(١) بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا

وقوله (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سراً يحصل لكم الخير فى رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرى ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله (فنعماهى) كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله (والله بما تعملون خبير) أى لايخفى عليه من ذلك شىء وسيجزيكم عليه

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قال أبو عبد الرحمن النسائى أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابى حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) وكذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو أحمد الزبيرى وأبو داود الحضرمى عن سفيان وهو الثورى به وقال ابن أبى حاتم : أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنى أحمد ابن عبد الرحمن يعنى الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بأن لايتصدق إلا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم) إلى

(١) ليس فى تفسير ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيها بعده سقط .

وقوله (يؤتى الحكمة من يشاء)قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « الحكمة القرآن » يعنى تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد يعنى بالحكمة الاصابة فى القول وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (يؤتى الحكمة من يشاء)ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية . الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهنى عن أبى عمار الأسدى عن ابن مسعود مرفوعا « رأس الحكمة مخافة الله» وقال أبو العالية فى رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعى : الحكمة الفهم وقال أبو مالك: الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك: وإنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هو الفقه فى دين الله وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه فى دين الله وقال السدى الحكمة النبوة . والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء فى بعض الأحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه » رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبدالله بن عمرو وقوله وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويزيد قالا : حدثنا إسماعيل يعنى بن أبى خالد عن قيس وهو ابن أبى حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة[1] فهو يقضى بها ويعلمها » وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبى خالد به

وقوله (وما يذكر إلا أولو الألباب)أى وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعى به الخطاب ومعنى الكلام

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أى يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته

وقوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى) أى إن أظهرتموها فنعم شىء هى

وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهل خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية . ولما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه : ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت

(١) وفى بعض روايات الصحيح الحكمة بالتعريف .

فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل فى خلقك شىء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من النار . قال : نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شىء أشد من الماء . قال : نعم الريح قالت . يارب فهل من خلقك شىء أشد من الريح . قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله » وقد ذكرنا فى فضل آية الكرسى عن أبى ذر قال . قلت يا رسول الله أى الصدقة أفضل . قال « سر إلى فقير أو جهد من مقل » رواه أحمد ورواه ابن أبى حاتم من طريق على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن أبى ذر فذكره وزاد ثم شرع فى هذه الآية (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفى الحديث المروى « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل » وقال ابن أبى حاتم . حدثنا أبى حدثنا الحسين بن زياد المحاربى مؤدب محارب أنا موسى بن عمير عن عامر الشعبى فى قوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال أنزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك ياعمر» قال خلفت لهم نصف مالى وأما أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر » فقال عدة الله وعدة رسوله . فبكى عمر رضى الله عنه وقال بأبى أنت وأمى يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقا . وهذا الحديث روى من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه وإنما أوردناه ههنا لقول الشعبى إن الآية نزلت فى ذلك ثم إن الآية عامة فى أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال . جعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها يقال[1] بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا

وقوله (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سرا يحصل لكم الخير فى رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرئ ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله (فنعماهى) كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله (والله بما تعملون خبير) أى لايخفى عليه من ذلك شىء وسيجزيكم عليه

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * لِلْفُقَرَاءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قال أبو عبد الرحمن النسائى أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابى حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) وكذا رواه أبوحذيفة وابن المبارك وأبو أحمد الزبيرى وأبو داود الحضرمى عن سفيان وهو الثورى به وقال ابن أبى حاتم : أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنى أحمد ابن عبدالرحمن يعنى الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بأن لايتصدق إلا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم) إلى

(١) ليس فى تفسير ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيما بعده سقط .

وقوله (يؤتى الحكمة من يشاء)قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « الحكمة القرآن » يعنى تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد يعنى بالحكمة الاصابة فى القول وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (يؤتى الحكمة من يشاء)ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية . الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهنى عن أبى عمار الأسدى عن ابن مسعود مرفوعا « رأس الحكمة مخافة الله » وقال أبو العالية فى رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعى : الحكمة الفهم وقال أبو مالك: الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك: وإنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هو الفقه فى دين الله وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه فى دين الله وقال السدى الحكمة النبوة والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء فى بعض الأحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه » رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبدالله بن عمرو وقوله وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويزيد قالا : حدثنا إسماعيل يعنى بن أبى خالد عن قيس وهو ابن أبى حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة[1] فهو يقضى بها ويعلمها » وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبى خالد به

وقوله (وما يذكر إلا أولو الألباب)أى وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعى به الخطاب ومعنى الكلام

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أى يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته

وقوله (إن تبدوا الصدقات فنعما هى) أى إن أظهرتموها فنعم شىء هى

وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية . ولما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه : ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت

(١) وفى بعض روايات الصحيح الحكمة بالتعريف .

فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل فى خلقك شىء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من النار . قال : نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شىء أشد من الماء . قال : نعم الريح قالت . يارب فهل من خلقك شىء أشد من الريح . قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله » وقد ذكرنا فى فضل آية الكرسى عن أبى ذر قال . قلت يا رسول الله أى الصدقة أفضل . قال « سر إلى فقير أو جهد من مقل » رواه أحمد ورواه ابن أبى حاتم من طريق على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن أبى ذر فذكره وزاد ثم شرع فى هذه الآية (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفى الحديث المروى « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل » وقال ابن أبى حاتم . حدثنا أبى حدثنا الحسين بن زياد المحاربى مؤدب محارب أنا موسى بن عمير عن عامر الشعبى فى قوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال أنزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك ياعمر » قال خلفت لهم نصف مالى وأما أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر » فقال عدة الله وعدة رسوله . فبكى عمر رضى الله عنه وقال بأبى أنت وأمى يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقا . وهذا الحديث روى من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه وإنما أوردناه ههنا لقول الشعبى إن الآية نزلت فى ذلك ثم إن الآية عامة فى أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال . جعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها يقال[1] بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا

وقوله (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سرا يحصل لكم الخير فى رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرى ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله (فنعماهى) كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله (والله بما تعملون خبير) أى لايخفى عليه من ذلك شىء وسيجزيكم عليه

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قال أبو عبد الرحمن النسائى أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابى حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) وكذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو أحمد الزبيرى وأبو داود الحضرمى عن سفيان وهو الثورى به وقال ابن أبى حاتم : أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنى أحمد ابن عبد الرحمن يعنى الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بأن لايتصدق إلا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم) إلى

(١) ليس فى تفسير ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيما بعده سقط .

وقوله (يؤتى الحكمة من يشاء)قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « الحكمة القرآن » يعنى تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد يعنى بالحكمة الاصابة فى القول وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (يؤتى الحكمة من يشاء)ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية . الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان بن زفر الجهنى عن أبى عمار الأسدى عن ابن مسعود مرفوعا « رأس الحكمة مخافة الله» وقال أبو العالية فى رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعى : الحكمة الفهم وقال أبو مالك: الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك: وإنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هو الفقه فى دين الله وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه فى دين الله وقال السدى الحكمة النبوة. والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء فى بعض الأحاديث « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه » رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبدالله بن عمرو وقوله وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويزيد قالا : حدثنا إسماعيل يعنى بن أبى خالد عن قيس وهو ابن أبى حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة[1] فهو يقضى بها ويعلمها » وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبى خالد به

وقوله (وما يذكر إلا أولو الألباب)أى وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعى به الخطاب ومعنى الكلام

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال (وما للظالمين من أنصار) أى يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته

وقوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى) أى إن أظهرتموها فنعم شىء هى

وقوله (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهل خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » والأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية . ولما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه : ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت

(١) وفى بعض روايات الصحيح الحكمة بالتعريف .

فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل فى خلقك شىء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من النار . قال : نعم الماء قالت يارب فهل من خلقك شىء أشد من الماء . قال : نعم الريح قالت . يارب فهل من خلقك شىء أشد من الريح . قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله » وقد ذكرنا فى فضل آية الكرسى عن أبى ذر قال . قلت يا رسول الله أى الصدقة أفضل . قال « سر إلى فقير أو جهد من مقل » رواه أحمد ورواه ابن أبى حاتم من طريق على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن أبى ذر فذكره وزاد ثم شرع فى هذه الآية (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية وفى الحديث المروى « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل » وقال ابن أبى حاتم . حدثنا أبى حدثنا الحسين بن زياد المحاربى مؤدب محارب أنا موسى بن عمير عن عامر الشعبى فى قوله (إن تبدوا الصدقات فنعماهى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال أنزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك ياعمر » قال خلفت لهم نصف مالى وأما أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ « ماخلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر » فقال عدة الله وعدة رسوله . فبكى عمر رضى الله عنه وقال بأبى أنت وأمى يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقا . وهذا الحديث روى من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه وإنما أوردناه ههنا لقول الشعبى إن الآية نزلت فى ذلك ثم إن الآية عامة فى أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال . جعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها يقال[1] بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا

وقوله (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سرا يحصل لكم الخير فى رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرئ ويكفر بالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله(فنعماهى) كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله (والله بما تعملون خبير) أى لا يخفى عليه من ذلك شىء وسيجزيكم عليه

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قال أبو عبد الرحمن النسائى أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابى حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) وكذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو أحمد الزبيرى وأبو داود الحضرمى عن سفيان وهو الثورى به وقال ابن أبى حاتم : أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنى أحمد ابن عبدالرحمن يعنى الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الاسلام حتى نزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم) إلى

(١) ليس فى تفسير ابن جرير كلمة يقال هنا بل فيما بعده سقط .

آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين وسيأتى عند قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآية حديث أسماء بنت الصديق فى ذلك

وقوله (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه) ونظائرها فى القرآن كثيرة

وقوله (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قال الحسن البصرى : نفقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله وقال عطاء الخراسانى : يعنى إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه فى نفس الأمر لمن أصاب ألبر أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده ومستند هذا تمام الآية (وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) والحديث المخرج فى الصحيحين من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية ، لأتصدقن الليلة بصدقة فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غنى قال : اللهم لك الحمد على غنى ، لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غنى وعلى سارق فأتى فقيل له أما صدقتك فقد قبلت وأما الزانية فلعلها أن تستعفف بها عن زنا ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق أن يستعف بها عن سرقته»

وقوله (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله) يعنى المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم و (لا يستطيعون ضربا فى الأرض) يعنى سفراً للتسبب فى طلب المعاش والضرب فى الأرض هو السفر قال الله تعالى (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية

وقوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أى الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم فى لباسهم وحالهم ومقالهم وفى هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً» وقد رواه أحمد من حديث ابن مسعود أيضاً

وقوله (تعرفهم بسيماهم) أى بما يظهر لذوى الألباب من صفاتهم كما قال تعالى (سيماهم فى وجوههم) وقال (ولتعرفنهم فى لحن القول) وفى الحديث الذى فى السنن «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين)

وقوله (لا يسألون الناس إلحافا) أى لا يلحون فى المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف فى المسألة قال البخارى : حدثنا ابن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبى نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى قالا : سمعنا أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف اقرءوا إن شئتم» يعنى قوله (لا يسألون الناس إلحافا) وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر المدينى عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن عطاء بن يسار وحده عن أبى هريرة به ، وقال أبو عبد الرحمن النسائى : أخبرنا على بن حجر حدثنا إسماعيل أخبرنا شريك وهو ابن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وروى البخارى من حديث شعبة عن محمد بن أبى زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه وقال ابن أبى حاتم . أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى ذئب عن أبى الوليد عن أبى هريرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس المسكين بالطواف عليكم فتطعمونه لقمة لقمة إنما المسكين المتعفف الذى لا يسأل الناس إلحافا» وقال ابن جرير : حدثنى معتمر عن الحسن بن مالك عن صالح بن سويد عن أبى هريرة قال : ليس المسكين بالطواف الذى ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين المتعفف فى بيته لا يسأل الناس شيئاً تصيبه الحاجة اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائما يخطب وهو يقول «ومن استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن يسأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل الناس إلحافا» فقلت بينى وبين نفسى[(1)] لناقة لهى خير من خمس أواق ولغلامه ناقة أخرى فهى خير من خمس أواق فرجعت ولم أسأل وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمارة ابن عرفة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال، سرحتنى أمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فأتيته فقعدت قال : فاستقبلنى فقال «من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكف كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف» قال فقلت ناقتى الياقوتة خير من أوقية فرجعت فلم أسأله وهكذا رواه أبو داود والنسائى كلاهما عن قتيبة زاد أبو داود وهشام بن عمار كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى الرجال بإسناده نحوه وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد قال : قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله قيمة أوقية فهو ملحف» والأوقية أربعون درهما وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بنى أسد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا» وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو كدوحا فى وجهه» قالوا يا رسول الله وما غناه ؟ قال : «خمسون درهما أو حسابها من الذهب» وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حكيم بن جبير الأسدى الكوفى وقد تركه شعبة بن الحجاج وضعفه غير واحد من الأئمة من جراء هذا الحديث ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا أبو حسين عبد الله بن أحمد بن يونس حدثنى أبى حدثنا أبو بكر بن عياش عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال : بلغ الحارث رجلا كان بالشام من قريش أن أبا ذر كان به عوز فبعث إليه ثلثمائة دينار فقال ما وجد عبد الله رجلا أهون عليه منى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سأل وله أربعون فقد ألحف» ولآل أبى ذر أربعون درهما وأربعون شاة وماهنان قال أبو بكر بن عياش : يعنى خادمين وقال ابن مردويه . حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أخبرنا إبراهيم بن محمد أنبأنا عبد الجبار أخبرنا سفيان عن داود بن سابور عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من سأل وله أربعون درهما فهو ملحف وهو مثل سف الملة» يعنى الرمل ، ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان عن أحمد بن آدم عن سفيان وهو ابن عيينة بإسناده نحوه قوله (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) أى لا يخفى عليه شىء منه وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه

وقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف ولا هم يحزنون) هذا مدح منه تعالى للمنفقين فى سبيله وابتغاء مرضاته فى جميع الأوقات من ليل أو نهار والأحوال من سر وجهر حتى إن النفقة على الأهل تدخل فى ذلك أيضا كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبى وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح ، وفى رواية عام حجة الوداع «وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل فى فى امرأتك» ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وبهز قالا : حدثنا شعبة عن عدى ابن ثابت قال : سمعت عبد الله بن يزيد الأنصارى يحدث عن أبى مسعود رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

(1) هكذا فى النسخ ولعله لنا ناقة الخ أو نحو ذلك وقوله ولغلامه ناقة الخ كذا فى النسخ وحرر الرواية

على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه وكذا روى الضحاك عنه ، وقال العوفى عن ابن عباس أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من فى الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم فى ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها وهم داخلوها إن شاء الله وكذا قال مجاهد والضحاك والسدى والحسن وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، وقال معمر عن الحسن إنه تلا هـذه الآية (لم يدخلوها وهم يطمعون) قال والله ماجعل ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم وقال قتادة قد أنبأكم الله بمكانهم من الطمع وقوله (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين) قال الضحاك عن ابن عباس إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين . وقال السدى وإذا مروا بهم يعنى بأصحاب الأعراف بزمرة يذهب بها إلى النار قالوا : ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين . وقال عكرمة تحدد وجوههم للنار فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة (قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين)

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾

يقول الله تعالى إخبارا عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم فى النار بسيماهم (ما أغنى عنكم جمعكم) أى كثرتكم (وما كنتم تستكبرون) أى لاينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى أصحاب الأعراف (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقال ابن جرير حدثنى محمد بن سعد حدثنى أبى حدثنى عمى حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) الآية قال فلما قالوا لهم الذى قضى الله أن يقولوا يعنى أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار قال الله لأهل التكبر والأموال (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقال حذيفة إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى الله بين العباد أذن لهم فى طلب الشفاعة فأتوا آدم فقالوا يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أن أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمته اليه غضبه وسجدت له الملائكة غيرى ؟ فيقولون لا فيقول ماعلمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى إبراهيم فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول تعلمون من أحد اتخذه الله خليلا هل تعلمون أن أحدا أحرقه قومه بالنار فى الله غيرى ؟ فيقولون لا فيقول ماعلمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما وقربه نجيا غيرى فيقولون لا فيقول ماعلمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا عيسى فيأتونه عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب[1] فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله غيرى ؟ قال فيقولون لا فيقول أنا حجيج نفسى ماعلمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأضرب بيدى على صدرى ثم أقول أنا لها ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش فآتى ربى عز وجل فيفتح لى من الثناء مالم يسمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى ثم أثنى على ربى عز وجل ثم أخر ساجدا فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول ربى أمتى فيقول هم لك فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطنى بذلك المقام وهو المقام المحمود فآتى بهم الجنة فأستفتح فيفتح لى ولهم

(١) لم يرد فى النسخ هنا كلمة غيرى .

فيذهب بهم إلى نهر يقال له نهر الحيوان حافتاه قصب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى فى صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وأنهم لا يجابون إلى ذلك قال السدى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) يعنى الطعام وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يستطعمونهم ويستسقونهم ، وقال الثورى عن عثمان الثقفى عن سعيد بن جبير فى هذه الآية قال: ينادى الرجل أباه أو أخاه فيقول له قد احترقت فأفض على من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون (إن الله حرمهما على الكافرين) وروى من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس مثله سواء وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (إن الله حرمهما على الكافرين) يعنى طعام الجنة وشرابها ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نصر بن على أخبرنا موسى بن المغيرة حدثنا أبو موسى الصفار فى دار عمرو بن مسلم قال سألت ابن عباس أو سئل أى الصدقة أفضل ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة الماء ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » وقال أيضاً حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى صالح قال لما مرض أبو طالب قالوا له لو أرسلت إلى ابن أخيك هـذا فيرسل إليك بعنقود من الجنة لعله أن يشفيك به فجاءه الرسول وأبوبكر عند النبى ﷺ فقال أبو بكر إن الله حرمهما على الكافرين ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه فى الدنيا باتخاذهم الدين لهوا ولعبا واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للآخرة ، وقوله (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هـذا) أى يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شىء ولا ينساه كما قال تعالى (فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) وإنما قال تعالى هـذا من باب المقابلة كقوله (نسوا الله فنسيهم) وقال (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال تعالى (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هـذا) قال نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر ، وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هـذا ، وقال مجاهد نتركهم فى النار ، وقال السدى نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا ، وفى الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى فيقول أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم أنساك كما نسيتنى

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن اعذاره إلى المشركين بارسال الرسل إليهم بالكتاب الذى جاء به الرسول وانه كتاب مفصل مبين كقوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) الآية ، وقوله (فصلناه على علم) للعالمين أى على علم منا بما فصلناه

آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين وسيأتى عند قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآية حديث أسماء بنت الصديق فى ذلك

وقوله (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه) ونظائرها فى القرآن كثيرة

وقوله (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قال الحسن البصرى: نفقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله وقال عطاء الخراسانى: يعنى إذا أعطيت لوجه الله فلاعليك ما كان عمله وهذا معنى حسن وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه فى نفس الأمر لمن أصاب ألبر أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده ومستند هذا تمام الآية (وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) والحديث المخرج فى الصحيحين من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن الليلة بصدقة فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غنى قال: اللهم لك الحمد على غنى، لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غنى وعلى سارق فأتى فقيل له أما صدقتك فقد قبلت وأما الزانية فلعلها أن تستعفف بها عن زنا ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق أن يستعف بها عن سرقته»

وقوله (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله) يعنى المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم مايغنيهم و (لايستطيعون ضربا فى الأرض) يعنى سفراً للتسبب فى طلب المعاش والضرب فى الأرض هو السفر قال الله تعالى (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية

وقوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أى الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم فى لباسهم وحالهم ومقالهم وفى هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً» وقد رواه أحمد من حديث ابن مسعود أيضاً

وقوله (تعرفهم بسيماهم) أى بما يظهر لذوى الألباب من صفاتهم كما قال تعالى (سيماهم فى وجوههم) وقال (ولتعرفنهم فى لحن القول) وفى الحديث الذى فى السنن «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله» ثم قرأ (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين)

وقوله (لايسألون الناس إلحافا) أى لايلحون فى المسألة ويكلفون الناس مالا يحتاجون إليه فإن من سأل وله مايغنيه عن المسألة فقد ألحف فى المسألة قال البخارى: حدثنا ابن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبى نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف اقرءوا إن شئتم يعنى قوله (لا يسألون الناس إلحافا) وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر المدينى عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن عطاء بن يسار وحده عن أبى هريرة به، وقال أبو عبد الرحمن النسائى: أخبرنا على بن حجر حدثنا إسماعيل أخبرنا شريك وهو ابن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وروى البخارى من حديث شعبة عن محمد بن أبى زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه وقال ابن أبى حاتم. أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى ذئب عن أبى الوليد عن أبى هريرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس المسكين بالطواف عليكم فتطعمونه لقمة لقمة إنما المسكين المتعفف الذى لا يسأل الناس إلحافا» وقال ابن جرير: حدثنى معتمر عن الحسن بن مالك عن صالح بن سويد عن أبى هريرة قال: ليس المسكين بالطواف الذى ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين المتعفف فى بيته لا يسأل الناس شيئاً تصيبه الحاجة اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائما يخطب وهو يقول «ومن استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن يسأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل الناس إلحافا» فقلت بينى وبين نفسى[1] لناقة لهى خير من خمس أواق ولغلامه ناقة أخرى فهى خير من خمس أواق فرجعت ولم أسأل وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمارة ابن عرفة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال، سرحتنى أمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فأتيته فقعدت قال: فاستقبلنى فقال «من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكف كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف» فقلت ناقتى الياقوتة خير من أوقية فرجعت فلم أسأله وهكذا رواه أبو داود والنسائى كلاهما عن قتيبة زاد أبو داود وهشام بن عمار كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى الرجال بإسناده نحوه وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد قال: قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله قيمة أوقية فهو ملحف» والأوقية أربعون درهما وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بنى أسد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا» وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيامة خدوشا أو كدوحا فى وجهه» قالوا يا رسول الله وما غناه؟ قال: «خمسون درهما أو حسابها من الذهب» وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حكيم بن جبير الأسدى الكوفى وقد تركه شعبة بن الحجاج وضعفه غير واحد من الأئمة من جراء هذا الحديث، وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا أبو حسين عبد الله بن أحمد بن يونس حدثنى أبى حدثنا أبو بكر بن عياش عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال: بلغ الحارث رجلا كان بالشام من قريش أن أباذر كان به عوز فبعث إليه ثلثمائة دينار فقال ما وجد عبد الله رجلا أهون عليه منى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سأل وله أربعون فقد ألحف» ولآل أبى ذر أربعون درهما وأربعون شاة وماهنان قال أبو بكر بن عياش: يعنى خادمين وقال ابن مردويه. حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أخبرنا إبراهيم بن محمد أنبأنا عبد الجبار أخبرنا سفيان عن داود بن سابور عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من سأل وله أربعون درهما فهو ملحف وهو مثل سف الملة» يعنى الرمل، ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان عن أحمد بن آدم عن سفيان وهو ابن عيينة بإسناده نحوه قوله (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) أى لا يخفى عليه شىء منه وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه

وقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف ولا هم يحزنون) هذا مدح منه تعالى للمنفقين فى سبيله وابتغاء مرضاته فى جميع الأوقات من ليل أو نهار والأحوال من سر وجهر حتى ان النفقة على الأهل تدخل فى ذلك أيضا كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبى وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح، وفى رواية عام حجة الوداع «وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل فى فى امرأتك»، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وبهز قالا: حدثنا شعبة عن عدى ابن ثابت قال: سمعت عبد الله بن يزيد الأنصارى يحدث عن أبى مسعود رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) هكذا فى النسخ ولعله لنا ناقة الخ أو نحو ذلك وقوله ولغلامه ناقة الخ كذا فى النسخ وحرر الرواية

آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين وسيأتى عند قوله تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآية حديث أسماء بنت الصديق فى ذلك

وقوله (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه) ونظائرها فى القرآن كثيرة

وقوله (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قال الحسن البصرى: نفقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله وقال عطاء الخراسانى: يعنى إذا أعطيت لوجه الله فلاعليك ما كان عمله وهذا معنى حسن وحاصله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه فى نفس الأمر لمن أصاب ألبر أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده ومستند هذا تمام الآية (وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) والحديث المخرج فى الصحيحين من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن الليلة بصدقة فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غنى قال: اللهم لك الحمد على غنى، لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غنى وعلى سارق فأتى فقيل له أما صدقتك فقد قبلت وأما الزانية فلعلها أن تستعفف بها عن زنا ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق أن يستعف بها عن سرقته»

وقوله (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله) يعنى المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم مايغنيهم و (لايستطيعون ضربا فى الأرض) يعنى سفراً للتسبب فى طلب المعاش والضرب فى الأرض هو السفر قال الله تعالى (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية

وقوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أى الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم فى لباسهم وحالهم ومقالهم وفى هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولايسأل الناس شيئاً» وقد رواه أحمد من حديث ابن مسعود أيضاً

وقوله (تعرفهم بسيماهم) أى بما يظهر لذوى الألباب من صفاتهم كما قال تعالى (سيماهم فى وجوههم) وقال (ولتعرفنهم فى لحن القول) وفى الحديث الذى فى السنن «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله» ثم قرأ (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين)

وقوله (لايسألون الناس إلحافا) أى لايلحون فى المسألة ويكلفون الناس مالا يحتاجون إليه فإن من سأل وله مايغنيه عن المسألة فقد ألحف فى المسألة قال البخارى: حدثنا ابن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبى نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف اقرءوا إن شئتم يعنى قوله (لا يسألون الناس إلحافا) وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر المدينى عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن عطاء بن يسار وحده عن أبى هريرة به، وقال أبو عبد الرحمن النسائى: أخبرنا على بن حجر حدثنا إسماعيل أخبرنا شريك وهو ابن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وروى البخارى من حديث شعبة عن محمد بن أبى زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه وقال ابن أبى حاتم. أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى ذئب عن أبى الوليد عن أبى هريرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس المسكين بالطواف عليكم فتطعمونه لقمة لقمة إنما المسكين المتعفف الذى لا يسأل الناس إلحافا» وقال ابن جرير: حدثنى معتمر عن الحسن بن مالك عن صالح بن سويد عن أبى هريرة قال: ليس المسكين بالطواف الذى ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين المتعفف فى بيته لا يسأل الناس شيئاً تصيبه الحاجة اقرءوا إن شئتم (لا يسألون الناس إلحافا) وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائما يخطب وهو يقول «ومن استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن يسأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل الناس إلحافا» فقلت بينى وبين نفسى[1] لناقة لى خير من خمس أواق ولغلامه ناقة أخرى فهى خير من خمس أواق فرجعت ولم أسأل وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمارة ابن عرفة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال، سرحتنى أمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فأتيته فقعدت قال: فاستقبلنى فقال «من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكف كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف» قال فقلت ناقتى الياقوتة خير من أوقية فرجعت فلم أسأله وهكذا رواه أبو داود والنسائى كلاهما عن قتيبة زاد أبو داود وهشام بن عمار كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى الرجال بإسناده نحوه وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر حدثنا عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد قال: قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله قيمة أوقية فهو ملحف» والأوقية أربعون درهما وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بنى أسد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا» وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو كدوحا فى وجهه» قالوا يا رسول الله وما غناه؟ قال: «خمسون درهما أو حسابها من الذهب» وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حكيم بن جبير الأسدى الكوفى وقد تركه شعبة بن الحجاج وضعفه غير واحد من الأئمة من جراء هذا الحديث، وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا أبو حسين عبد الله بن أحمد بن يونس حدثنى أبى حدثنا أبو بكر بن عياش عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال: بلغ الحارث رجلا كان بالشام من قريش أن أباذر كان به عوز فبعث إليه ثلثمائة دينار فقال ما وجد عبد الله رجلا أهون عليه منى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سأل وله أربعون فقد ألحف» ولآل أبى ذر أربعون درهما وأربعون شاة وماهنان قال أبو بكر بن عياش: يعنى خادمين وقال ابن مردويه. حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أخبرنا إبراهيم بن محمد أنبأنا عبد الجبار أخبرنا سفيان عن داود بن سابور عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من سأل وله أربعون درهما فهو ملحف وهو مثل سف الملة» يعنى الرمل، ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان عن أحمد بن آدم عن سفيان وهو ابن عيينة بإسناده نحوه قوله (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) أى لا يخفى عليه شىء منه وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه

وقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف ولا هم يحزنون) هذا مدح منه تعالى للمنفقين فى سبيله وابتغاء مرضاته فى جميع الأوقات من ليل أو نهار والأحوال من سر وجهر حتى ان النفقة على الأهل تدخل فى ذلك أيضا كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبى وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح، وفى رواية عام حجة الوداع «وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل فى فى امرأتك»، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وبهز قالا: حدثنا شعبة عن عدى ابن ثابت قال: سمعت عبد الله بن يزيد الأنصارى يحدث عن أبى مسعود رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) هكذا فى النسخ ولعله لنا ناقة الخ أو نحو ذلك وقوله ولغلامه ناقة الخ كذا فى النسخ وحرر الرواية

أنه قال « إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة » أخرجاه من حديث شعبة به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شعيب قال سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكى عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » فى أصحاب الخيل. وقال حبش الصنعانى : عن ابن شهاب عن ابن عباس فى هذه الآية قال هم الذى يعلفون الخيل فى سبيل الله ، رواه ابن أبى حاتم ثم قال وكذا روى عن أبى أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول ، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن ابن جبير عن أبيه قال : كان لعلى أربعة دراهم فأنفق درهما ليلا ودرهما نهاراً ودرهما سراً ودرهما علانية فنزلت (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت فى على بن أبى طالب ، وقوله (فلهم أجرهم عند ربهم) أى يوم القيامة على ما فعلوا من الانفاق فى الطاعات (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم تفسيره :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

لما ذكر تعالى الأبرار المؤدين النفقات المخرجين الزكوات المتفضلين بالبر والصدقات لذوى الحاجات والقرابات فى جميع الأحوال والأوقات شرع فى ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات ... بر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقال (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياما منكراً ، وقال ابن عباس . آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يخنق ، رواه ابن أبى حاتم قال وروى عن عوف ابن مالك وسعيد بن جبير والسدى والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وحكى عن عبد الله بن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا . فى قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) يعنى لا يقومون يوم القيامة ، وكذا قال ابن أبى نجيح عن مجاهد والضحاك وابن زيد ، وروى ابن أبى حاتم من حديث أبى بكر بن أبى مريم عن ضمرة بن حنيف عن أبى عبدالله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ ـ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة ـ وقال ابن جرير حدثنى المثنى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا ربيعة بن كلثوم حدثنا أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب وقرأ (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) وذلك حين يقوم من قبره وفى حديث أبى سعيد فى الإسراء كما هو مذكور فى سورة سبحان أنه عليه السلام مر ليلتئذ بقوم لهم أجواف مثل البيوت فسأل عنهم فقيل : هؤلاء أكلة الربا . رواه البيهقى مطولا ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجرى من خارج بطونهم فقلت . من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا » ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد ابن سلمة به ، وفى إسناده ضعف وقد روى البخارى عن سمرة بن جندب فى حديث المنام الطويل فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا فى النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع الحجارة عنده فيفغر له فاه فيلقمه حجراً وذكر فى تفسيره أنه آكل الربا

وقوله (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا. وأحل الله البيع وحرم الربا) أى إنما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله فى شرعه وليس هذا قياسا منهم للربا على البيع لأن المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذى شرعه الله فى القرآن ولو كان هذا من باب القياس لقالوا: إنما الربا مثل البيع وإنما قالوا (إنما البيع مثل الربا) أى هو نظيره فلم حرم هذا وأبيح هذا ؟ وهذا اعتراض منهم على الشرع أى هذا مثل هذا وقد أحل هذا وحرم هذا وقوله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) . يحتمل أن يكون من تمام الكلام ردا عليهم أى على ما قالوه من الاعتراض مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكما وهو العليم الحكيم الذى لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو العالم بحقائق الأمور ومصالحها وما ينفع عباده فيبيحه لهم وما يضرهم فينهاهم عنه وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها الطفل ولهذا قال (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله) أى من بلغه نهى الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع اليه فله ما سلف من المعاملة لقوله (عفا الله عما سلف) وكما قال النبى ﷺ يوم فتح مكة « وكل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قدمىّ هاتين وأول ربا أضع ربا العباس » ولم يأمرهم برد الزيادات المأخوذة فى حال الجاهلية بل عفا عما سلف كما قال تعالى (فله ما سلف وأمره إلى الله) قال سعيد بن جبير والسدى : فله ما سلف ما كان أكل من الربا قبل التحريم . وقال ابن أبى حاتم قرأ على محمد بن عبدالله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرنى جرير بن حازم عن أبى إسحق الهمدانى عن أم يونس يعنى امرأته العالية بنت أبقع أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت لها أم بحنة أم ولد زيد بن أرقم يا أم المؤمنين أتعرفين زيد بن أرقم قالت : نعم قالت : فانى بعته عبدا إلى العطاء بثمانمائة فاحتاج إلى ثمنه فاشتريته قبل محل الأجل بستمائة فقالت بئس ما اشتريت وبئس ما اشتريت أبلغى زيداً أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بطل إن لم يتب قالت : فقلت أرأيت إن تركت المائتين وأخذت الستمائة قالت : نعم (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) وهذا الأثر مشهور وهو دليل لمن حرم مسئلة العينة مع ما جاء فيها من الأحاديث المذكورة المقررة فى كتاب الأحكام ولله الحمد والمنة ، ثم قال تعالى (ومن عاد) أى إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهى الله عنه فقد استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة ولهذا قال (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقد قال أبو داود : حدثنا يحيى أبو داود حدثنا يحيى بن معين أخبرنا عبدالله بن رجاء المكى عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن أبى الزبير عن جابر قال : لما نزلت (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يذر المخابرة فليؤذن بحرب من الله ورسوله » ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى خثيم ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وإنما حرمت المخابرة وهى المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض والمزابنة وهى اشتراء الرطب فى رؤوس النخل بالتمر على وجه الأرض والمحاقلة وهى اشتراء الحب فى سنبله فى الحقل بالحب على وجه الأرض إنما حرمت هذه الأشياء وما شاكلها حسما لمادة الربا لأنه لا يعلم التساوى بين الشيئين قبل الجفاف ولهذا قال الفقهاء : الجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة ، ومن هذا حرموا أشياء بما فهموا من تضييق المسالك المفضية إلى الربا والوسائل الموصلة اليه وتفاوت نظرهم بحسب ما وهب الله لكل منهم من العلم وقد قال تعالى (وفوق كل ذى علم عليم) وباب الربا من أشكل الأبواب على كثير من أهل العلم وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ عهد الينا فيهن عهداً ننتهى اليه : الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا ـ يعنى بذلك بعض المسائل التى فيها شائبة الربا والشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة اليه مثله لأن ما أفضى إلى الحرام حرام كما أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . وقد ثبت فى الصحيحين عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » وفى السنن عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وفى الحديث الآخر « الاثم ما حاك فى القلب وترددت فيه النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس » وفى رواية « استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك »

وقال الثورى عن عاصم عن الشعبي عن ابن عباس قال : آخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا رواه البخارى عن قبيصة عنه وقال أحمد عن يحي عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عمر قال من آخر ما نزل آية الربا وإن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال رواه ابن ماجه وابن مردويه من طريق هياج بن بسطام عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال إنى لعلى أنهاكم عن أشياء تصلح لكم وآمركم بأشياء لا تصلح لكم وإن من آخر القرآن نزولا آية الربا وإنه قد مات رسول الله ﷺ ولم يبينه لنا فدعوا ما يريبكم إلى مالا يريبكم وقد قال ابن أبى عدى بالاسناد موقوفا فذكره ورده الحاكم فى مستدركه وقد قال ابن ماجه حدثنا عمرو بن على الصيرفى حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن زبيد عن إبراهيم عن مسروق عن عبد الله هو ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الربا ثلاثة وسبعون بابا » ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث عمرو بن على الفلاس باسناد مثله وزاد أيسرها أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال ابن ماجه حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبى معشر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ « الربا سبعون جزءا أيسرها أن ينكح الرجل أمه » وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم عن عباد بن راشد عن سعيد ابن أبى خيرة حدثنا الحسن منذ نحو من أربعين أو خمسين سنة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يأتى على الناس زمان يأكلون فيه الربا » قال قيل له الناس كلهم ؟ قال « من لم يأ كله منهم ناله من غباره » وكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من غير وجه عن سعيد بن أبى خيرة عن الحسن به ومن هذا القبيل تحريم الوسائل المفضية إلى المحرمات الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة قالت : لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة فى الربا خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقرأهن فحرم التجارة فى الخمر وقد أخرجه الجماعة سوى الترمذى من طرق عن الأعمش به وهكذا لفظ رواية البخارى عند تفسير هذه الآية فحرم التجارة وفى لفظ له عن عائشة قالت : لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة فى الربا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ثم حرم التجارة فى الخمر قال بعض من تكلم على هذا الحديث من الأئمة : لما حرم الربا ووسائله حرم الخمر وما يفضى اليه من تجارة ونحو ذلك كما قال عليه السلام فى الحديث المتفق عليه « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا أثمانها » وقد تقدم فى حديث على وابن مسعود وغيرهما عند لعن المحلل فى تفسير قوله (حتى تنكح زوجا غيره) قوله ﷺ « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه » قالوا وما يشهد عليه ويكتب إلا إذا أظهر فى صورة عقد شرعى ويكون داخله فاسدا فالاعتبار بمعناه لا بصورته لأن الأعمال بالنيات وفى الصحيح « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وقد صنف الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية كتابا فى إبطال التحليل تضمن النهى عن تعاطى الوسائل المفضية إلى كل باطل وقد كفى فى ذلك وشفى فرحمه الله ورضى عنه

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه يمحق الربا أى يذهبه إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به بل يعدمه به فى الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة كما قال تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) وقال تعالى (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم) وقال (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله) الآية وقال ابن جرير : فى قوله (يمحق الله الربا) وهذا نظير الخبر الذى روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال

الربا وإن كثر فان عاقبته تصير إلى قل وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد فى مسنده فقال : حدثنا حجاج حدثنا شريك عن الركين بن الربيع عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الربا وإن كثر فان عاقبته تصير إلى قل » وقد رواه ابن ماجه عن العباس بن جعفر عن عمرو بن عون عن يحي بن أبى زائدة عن إسرائيل عن الركين ابن الربيع بن عميلة الفزارى عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قل » وهذا من باب المعاملة بنقيض المقصود كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا الهيثم بن نافع الظاهرى حدثنى أبو يحي رجل من أهل مكة عن فروخ مولى عثمان أن عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج من المسجد فرأى طعاما منشوراً فقال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جلب إلينا قال بارك الله فيه وفيمن جلبه قيل يا أمير المؤمنين إنه قد احتكر قال من احتكره ؟ قالوا فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر فأرسل إليهما فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالا : يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس أو بجذام » فقال فروخ عند ذلك أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود فى طعام أبداً وأما مولى عمر فقال إنما نشترى بأموالنا ونبيع قال أبو يحي فلقد رأيت مولى عمر مجذوما ورواه ابن ماجه من حديث الهيثم بن رافع به ولفظه « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس والجذام »

وقوله (ويربى الصدقات) قرىء بضم الياء والتخفيف من ربا الشىء يربو وأرباه يربيه أى كثره ونماه ينميه وقرىء يربى بالضم والتشديد من التربية قال البخارى حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل » كذا رواه فى كتاب الزكاة وقال فى كتاب التوحيد وقال خالد بن مخلد بن سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار فذكر بإسناده نحوه وقد رواه مسلم فى الزكاة عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن خالد بن مخلد فذكره قال البخارى ورواه مسلم بن أبى مريم وزيد بن أسلم وسهيل عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قلت أما رواية مسلم ابن أبى مريم فقد تفرد البخارى بذكرها وأما طريق زيد بن أسلم فرواها مسلم فى صحيحه عن أبى الطاهر بن السرح عن أبى وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم به وأما حديث سهيل فرواه مسلم عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل به والله أعلم قال البخارى وقال ورقاء عن ابن دينار عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسند هذا الحديث من هذا الوجه الحافظ أبو بكر البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم عن العباس المروزى عن أبى الزناد هاشم بن القاسم عن ورقاء وهو ابن عمر اليشكرى عن عبد الله بن دينار عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فان الله يقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى يكون مثل أحد » وهكذا روى هذا الحديث مسلم والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن الليث بن سعد عن سعيد المقبرى وأخرجه النسائى من رواية مالك عن يحي بن سعيد الأنصارى ومن طريق يحي القطان عن محمد بن عجلان ثلاثتهم عن سعيد بن يسار أبى الحباب المدنى عن أبى هريرة عن النبي ﷺ فذكره وقد روى عن أبى هريرة من وجه آخر فقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودى حدثنا وكيع عن عباد بن منصور حدثنا القاسم بن محمد قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره أو فلوه حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد » وتصديق ذلك فى كتاب الله (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) وكذا رواه أحمد عن وكيع وهو فى تفسير وكيع ورواه الترمذى عن أبى كريب عن وكيع به وقال حسن صحيح وكذا رواه الترمذى عن عباد بن منصور به ورواه أحمد أيضاً عن خلف بن الوليد عن ابن المبارك عن عبد الواحد بن ضمرة وعباد بن منصور كلاهما عن أبى نضرة عن القاسم به وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الملك بن إسحق عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن القاسم

ابن محمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا تصدق من طيب يقبلها الله منه فيأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله وإن الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله أو قال في كف الله حتى تكون مثل أحد فتصدقوا » وهكذا رواه أحمد عن عبد الرزاق وهذا طريق غريب صحيح الإسناد ولكن لفظه عجيب والمحفوظ ما تقدم وروى عن عائشة أم المؤمنين فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن ثابت عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى يكون مثل أحد » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال البزار حدثنا يحي بن المعلى بن منصور حدثنا إسماعيل حدثني أبي عن يحي بن سعيد عن عمرة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الضحاك بن عثمان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب فيتلقاها الرحمن بيده فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو وصيفه » أو قال فصيله ثم قال لا نعلم أحدا رواه عن يحي بن سعيد عن عمرة إلا أبا أويس

وقوله (والله لا يحب كل كفار أثيم) أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل ـ ثم قال تعالى مادحا للمؤمنين بربهم المطيعين أمره المؤدين شكره المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مخبراً عما أعد لهم من الكرامة وأنهم يوم القيامة من التبعات آمنون فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه ناهيا لهم عما يقربهم إلى سخطه ويبعدهم عن رضاه فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوه وراقبوه فيما تفعلون (وذروا ما بقي من الربا) أي اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الانذار (إن كنتم مؤمنين) أي بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك . وقد ذكر زيد بن أسلم وابن جريج ومقاتل بن حيان والسدي أن هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم كان بينهم ربا في الجاهلية فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أن تأخذه منهم فتشاوروا وقالت بنو المغيرة لا نؤدي الربا في الإسلام بكسب الإسلام فكتب في ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فقالوا نتوب إلى الله ونذر ما بقي من الربا فتركوه كلهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الانذار قال ابن جريج قال ابن عباس فأذنوا بحرب أي استيقنوا بحرب من الله ورسوله وتقدم من رواية ربيعة بن كلثوم عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب ثم قرأ (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه كان حقاً على إمام المسلمين أن يستتيبه فان نزع وإلا ضرب عنقه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد

ابن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا هشام بن حسان عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا : والله إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا وإنهم قد أذنوا بحرب من الله ورسوله ولو كان على الناس إمام عادل لاستتابهم فإن تابوا وإلا وضع فيهم السلاح وقال قتادة أوعدهم الله بالقتل كما يسمعون وجعلهم بهرجا أين ما أتوا فإياكم ومخالطة هذه البيوع من الربا فإن الله قد أوسع الحلال وأطابه فلا يلجئنكم إلى معصيته فاقة . رواه ابن أبي حاتم ، وقال الربيع بن أنس : أوعد الله آكل الربا بالقتل رواه ابن جرير وقال السهيلي : ولهذا قالت عائشة لأم محبة مولاة زيد بن أرقم في مسئلة العينة أخبريه أن جهاده مع النبي ﷺ قد أبطل إلا أن يتوب فخصت الجهاد لأنه ضد قوله (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) قال وهذا المعنى ذكره كثير قال ولكن هذا إسناده إلى عائشة ضعيف

ثم قال تعالى (وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون) أي بأخذ الزيادة (ولا تظلمون) أي بوضع رءوس الأموال أيضا بل لكم ما بذلتم من غير زيادة عليه ولا نقص منه وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحسين بن اشكاب حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن شبيب بن غرقدة البارقي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال : خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال « ألا إن كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله » كذا وجده سليمان بن الأحوص وقد قال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا معاذ بن المثنى أخبرنا مسدد أخبرنا أبو الأحوص حدثنا شبيب بن غرقدة عن سليمان بن عمرو عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » وكذا رواه من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حمزة الرقاشي عن عمرو هو ابن خارجة فذكره

وقوله (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء فقال (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربي ، ثم يندب إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال (وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) أي وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين ، وقد وردت الأحاديث من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك (فالحديث الأول) عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن شعيب المرجاني حدثنا يحي بن حكيم المقوم حدثنا محمد بن بكر البرساني حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثني عاصم بن عبيد الله عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال : قال رسول الله ﷺ « من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر على معسر أو ليضع عنه » (حديث آخر) عن بريدة قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا محمد بن جحادة عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقول « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة » قال ثم سمعته يقول « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثلاه صدقة » قلت سمعتك يارسول الله تقول « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة » ثم سمعتك تقول « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثلاه صدقة » قال « له بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة » (حديث آخر) عن أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري قال أحمد حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا أبو جعفر الخطمي عن محمد بن كعب القرظي أن أبا قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبيء منه فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال نعم هو في البيت يأكل خزيرة فناداه فقال يافلان اخرج فقد أخبرت أنك هاهنا فخرج اليه فقال ما يغيبك عني ؟ فقال إني معسر وليس عندي شيء ، قال آلله إنك معسر ؟ قال نعم فبكى أبو قتادة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة » ورواه مسلم في صحيحه (حديث آخر) عن حذيفة بن اليمان قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الأخنس أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال ماذا عملت لي في الدنيا ؟

تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية ، وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبوبكر الصديق وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق : والله لو منعونى عناقا ـ وفى رواية عقالا ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه ، وقوله (وصل عليهم) أى ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن أبى أوفى قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبى بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبى أوفى » وفى الحديث الآخر أن امرأة قالت يارسول الله صل علىّ وعلى زوجى فقال « صلى الله عليك وعلى زوجك » وقوله (إن صلاتك سكن لهم) قرأ بعضهم صلواتك على الجمع وآخرون قرأوا إن صلاتك على الافراد (سكن لهم) قال ابن عباس رحمة لهم ، وقال قتادة وقار ، وقوله (والله سميع) أى لدعائك (عليم) أى بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له ، قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو العميس عن أبى بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحذيفة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا دعا لرجل أصابته وأصابت ولده وولد ولده ، ثم رواه عن أبى نعيم عن مسعر عن أبى بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحذيفة قال مسعر وقد ذكره مرة عن حذيفة إن صلاة النبي ﷺ لتدرك الرجل وولده وولد ولده . وقوله (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منها يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها ، وأخبر تعالى أن كل من تاب اليه تاب عليه ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فان الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها حتى تصير التمرة مثل أحد ، كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ كما قال الثورى ووكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أباهريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره حتى إن اللقمة لتكون مثل أحد » وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) وقوله (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) وقال الثورى والأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبى قتادة قال : قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إن الصدقة تقع فى يد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل ثم قرأ هذه الآية (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) وقد روى ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكى الدمشقى وأصله حمصى وكان أحد الفقهاء روى عن معاوية وغيره ، وحكى عنه حوشب بن سيف السكسكى الحمصى قال غزا الناس فى زمان معاوية رضى الله عنه وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فغل رجل من المسلمين مائة دينار رومية . فلما قفل الجيش ندم وأتى الأمير فأبى أن يقبلها منه وقال : قد تفرق الناس ولن أقبلها منك حتى تأتى الله بها يوم القيامة فجعل الرجل يستقرى الصحابة فيقولون له مثل ذلك ، فلما قدم دمشق ذهب إلى معاوية ليقبلها منه فأبى عليه فخرج من عنده وهو يبكى ويسترجع فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكى فقال له مايبكيك ؟ فذكر له أمره ، فقال له أومطيعىّ أنت ؟ فقال نعم ، فقال اذهب إلى معاوية فقل له اقبل منى خمسك فادفع اليه عشرين دينارا وانظر إلى الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش فإن الله يقبل التوبة عن عباده وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ، ففعل الرجل فقال معاوية رضى الله عنه لأن أكون أفتيته بها أحب إلى من كل شىء أملكه ، أحسن الرجل

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قال مجاهد : هذا وعيد يعنى من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول ﷺ وعلى المؤمنين . وهذا كائن لامحالة يوم القيامة كما قال (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) وقال تعالى (يوم تبلى السرائر) وقال (وحصل مافى الصدور) وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس فى الدنيا كما قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أنه قال « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائنا ما كان » وقد ورد: أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر فى البرزخ كما قال أبو داود الطيالسى : حدثنا الصلت ابن دينار عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم فى قبورهم فان كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك ، وقال الإمام أحمد أنبأنا عبد الرزاق عن سفيان عمن سمع أنسا يقول : قال النبي ﷺ « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فان كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا » وقال البخارى قالت عائشة رضى الله عنها : إذا أعجبك حسن عمل امرىء مسلم فقل (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقد ورد فى الحديث شبيه بهذا قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له ، فان العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا سيئا ، وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا ، وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قبل موته » قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله ؟ قال « يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه » تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد : هم الثلاثة الذين خلفوا أى عن التوبة وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية قعدوا عن غزوة تبوك فى جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لا شكا ونفاقا فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسوارى كما فعل أبولبابة وأصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجى هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية وهى قوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) الآية (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) الآية كما سيأتى بيانه فى حديث كعب بن مالك ، وقوله (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) أى هم تحت عفو الله إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذاك ، ولكن رحمته تغلب غضبه (والله عليم حكيم) أى عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو ، حكيم فى أفعاله وأقواله لا إله إلا هو ولا رب سواه

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر فى الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة فى الجاهلية وله شرف فى الخزرج كبير ، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للاسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فارا إلى كفار مكة من مشركى قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع فى إحداهن رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر فى أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم

يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم فى حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم فى حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره . وقوله تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) هى لام العاقبة عند بعضهم ولام التعليل عند آخرين ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله (فسوف تعلمون) قال بعضهم والله لو توعدنى حارس درب لخفت منه فكيف والمتوعد ههنا هو الذى يقول للشىء كن فيكون ثم قال تعالى منكراً على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان (أم أنزلنا عليهم سلطانا)أى حجة (فهو يتكلم) أى ينطق (بما كانوا به يشركون) وهذا استفهام إنكار أى لم يكن لهم شىء من ذلك،ثم قال تعالى (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها ، وإن تصبهم سيئه بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه فان الإنسان إذا أصابته نعمة بطر . وقال (ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور) أى يفرح فى نفسه ويفخر على غيره وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . قال الله تعالى (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أى صبروا فى الضراء وعملوا الصالحات فى الرخاء كما ثبت فى الصحيح « عجباً للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » وقوله تعالى (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

﴿ فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون * وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون * الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحنه وتعلى عما يشركون ﴾

يقول تعالى آمراً بإعطاء (ذى القربى حقه) أى من البر والصلة (والمسكين) وهو الذى لا شىء له ينفق عليه أوله شىء لايقوم بكفايته (وابن السبيل) وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه فى سفره (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أى النظر إليه يوم القيامة وهوالغاية القصوى (وأولئك هم المفلحون) أى فى الدنيا والآخرة.ثم قال تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله) أى من أعطى عطية يريدأن يردالناس عليهأ كثرمماأهدى لهم فهذا لاثواب له عند الله ، بهذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبى،وهذا الصنيع مباح وإن كان لاثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، قاله الضحاك واستدل بقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط العطاء تريد أكثر منه ؛ وقال ابن عباس : الربا رباءان ، فربا لايصح : يعنى ربا البيع ؟ وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها ، أضعافها ثم تلا هذه الآية (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله) وإنما الثواب عند الله فى الزكاة ولهذا قال تعالى (وما آتيتم من زكاةتريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أى الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء كما جاء فى الصحيح « وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب الا أخذها الرحمن بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تصير التمرة أعظم من أحد » وقوله عزوجل (الله الذى خلقكم ثم رزقكم) أى هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبة وسواء ابنى خالدقالا دخلنا على النبى ﷺ وهو يصلح شيئا فأعناه فقال « لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رءوسكما فإن الإنسان

تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل » وقوله تعالى (ثم يميتكم) أى بعد هذه الحياة (ثم يحييكم) أى يوم القيامة ، وقوله تعالى (هل من شركائكم) أى الذين تعبدونهم من دون الله (من يفعل من ذلكم من شىء ؟) أى لا يقدر أحد منهم على فعل شىء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والاماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون * قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴾

قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدى وغيرهم المراد بالبر ههنا الفيافى وبالبحر الأمصار والقرى وفى رواية عن ابن عباس وعكرمة : البحر الأمصار والقرى ما كان منها على جانب نهر ، وقال آخرون بل المراد بالبر هو البر المعروف وبالبحر هو البحر المعروف . وقال زيد بن رفيع (ظهر الفساد) يعنى انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط وعن البحر يعنى دوابه . رواه ابن أبى حاتم وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن المقرى عن سفيان عن حميد بن قيس الأعرج عن مجاهد (ظهر الفساد فى البر والبحر) قال فساد البر قتل ابن آدم وفساد البحر أخذ السفينة غصبا ، وقال عطاء الخراسانى المراد بالبر ما فيه من المدائن والقرى وبالبحر جزائره . والقول الأول أظهر وعليه الأكثرون ، ويؤيده ما قاله محمد بن إسحاق فى السيرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح ملك أيلة وكتب إليه ببحره يعنى ببلده ومعنى قوله تعالى (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) أى بان النقص فى الزروع والثمار بسبب المعاصى . وقال أبو العالية . من عصى الله فى الأرض فقد أفسد فى الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ولهذا جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود « لحد يقام فى الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا » والسبب فى هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطى المحرمات وإذا تركت المعاصى كان سببا فى حصول البركات من السماء والأرض . ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة فى ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف فإذا أهلك الله فى زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج قيل للأرض أخرجى بركتك فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ويستظلون بقحفها ، ويكفى لبن اللقحة الجماعة من الناس وماذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير . ولهذا ثبت فى الصحيحين أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا عوف عن أبى مخذم قال وجد رجل فى زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها حب يعنى من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا نبت فى زمان كان يعمل فيه بالعدل ، وروى مالك عن زيد ابن أسلم أن المراد بالفساد ههنا الشرك وفيه نظر وقوله تعالى (ليذيقهم بعض الذى عملوا) الآية أى يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختبارا منه لهم ومجازاة على صنيعهم (لعلهم يرجعون) أى عن المعاصى كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) ثم قال تعالى (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أى من قبلكم (كان أكثرهم مشركين) أى فانظروا ما حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم

﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون * من كفر فعليه

ابن محمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا تصدق من طيب يقبلها الله منه فيأخذها بيمينه ويربيها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله وإن الرجل ليتصدق باللقمة فتربو فى يد الله أو قال فى كف الله حتى تكون مثل أحد فتصدقوا » وهكذا رواه أحمد عن عبد الرزاق وهذا طريق غريب صحيح الإسناد ولكن لفظه عجيب والمحفوظ ما تقدم وروى عن عائشة أم المؤمنين فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن ثابت عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله ليربى لأحدكم التمرة واللقمة كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى يكون مثل أحد » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال البزار حدثنا يحي بن المعلى بن منصور حدثنا إسماعيل حدثنى أبى عن يحي بن سعيد عن عمرة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الضحاك بن عثمان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب فيتلقاها الرحمن بيده فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو وصيفه » أو قال فصيله ثم قال لا نعلم أحدا رواه عن يحي بن سعيد عن عمرة إلا أبا أويس

وقوله (والله لا يحب كل كفار أثيم) أى لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل ولا بد من مناسبة فى ختم هذه الآية بهذه الصفة وهى أن المرابى لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ولا يكتفى بما شرع له من الكسب المباح فهو يسعى فى أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل ـ ثم قال تعالى مادحا للمؤمنين بربهم المطيعين أمره المؤدين شكره المحسنين إلى خلقه فى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مخبراً عما أعد لهم من الكرامة وأنهم يوم القيامة من التبعات آمنون فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه ناهيا لهم عما يقربهم إلى سخطه ويبعدهم عن رضاه فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى خافوه وراقبوه فيما تفعلون (وذروا ما بقى من الربا) أى اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الانذار (إن كنتم مؤمنين) أى بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك . وقد ذكر زيد بن أسلم وابن جريج ومقاتل بن حيان والسدى أن هذا السياق نزل فى بنى عمرو بن عمير من ثقيف وبنى المغيرة من بنى مخزوم كان بينهم ربا فى الجاهلية فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أن تأخذه منهم فتشاوروا وقالت بنو المغيرة لا نؤدى الربا فى الإسلام بكسب الإسلام فكتب فى ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فقالوا نتوب إلى الله ونذر ما بقى من الربا فتركوه كلهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطى الربا بعد الانذار قال ابن جريج قال ابن عباس فأذنوا بحرب أى استيقنوا بحرب من الله ورسوله وتقدم من رواية ربيعة بن كلثوم عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب ثم قرأ (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه كان حقاً على إمام المسلمين أن يستتيبه فان نزع وإلا ضرب عنقه وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد

ابن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا هشام بن حسان عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا : والله إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا وإنهم قد أذنوا بحرب من الله ورسوله ولو كان على الناس إمام عادل لاستتابهم فإن تابوا وإلا وضع فيهم السلاح وقال قتادة أوعدهم الله بالقتل كما يسمعون وجعلهم بهرجا أين ما أتوا فإياكم ومخالطة هذه البيوع من الربا فإن الله قد أوسع الحلال وأطابه فلا يلجئنكم إلى معصيته فاقة . رواه ابن أبى حاتم ، وقال الربيع بن أنس : أوعد الله آكل الربا بالقتل رواه ابن جرير وقال السهيلى : ولهذا قالت عائشة لأم محبة مولاة زيد بن أرقم فى مسئلة العينة أخبريه أن جهاده مع النبى ﷺ قد أبطل إلا أن يتوب فخصت الجهاد لأنه ضد قوله (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) قال وهذا المعنى ذكره كثير قال ولكن هذا إسناده إلى عائشة ضعيف

ثم قال تعالى (وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون) أى بأخذ الزيادة (ولا تظلمون) أى بوضع رءوس الأموال أيضا بل لكم مابذلتم من غير زيادة عليه ولا نقص منه وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن الحسين بن اشكاب حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن شبيب بن غرقدة البارقى عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال : خطب رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فقال « ألا إن كل ربا كان فى الجاهلية موضوع عنكم كله لكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله » كذا وجده سليمان بن الأحوص وقد قال ابن مردويه حدثنا الشافعى حدثنا معاذ بن المثنى أخبرنا مسدد أخبرنا أبو الأحوص حدثنا شبيب بن غرقدة عن سليمان بن عمرو عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » وكذا رواه من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى حمزة الرقاشى عن عمرو هو ابن خارجة فذكره

وقوله (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذى لا يجد وفاء فقال (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين إما أن تقضى وإما أن تربى ، ثم يندب إلى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال (وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) أى وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين ، وقد وردت الأحاديث من طرق متعددة عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك (فالحديث الأول) عن أبى أمامة أسعد بن زرارة قال الطبرانى حدثنا عبد الله بن محمد بن شعيب المرجانى حدثنا يحي بن حكيم المقوم حدثنا محمد بن بكر البرسانى حدثنا عبد الله بن أبى زياد حدثنى عاصم بن عبيد الله عن أبى أمامة أسعد بن زرارة قال : قال رسول الله ﷺ « من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر على معسر أو ليضع عنه » (حديث آخر) عن بريدة قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا محمد بن جحادة عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال سمعت النبى ﷺ يقول « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة » قال ثم سمعته يقول « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثلاه صدقة » قلت سمعتك يارسول الله تقول « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة » ثم سمعتك تقول « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثلاه صدقة » قال « له بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة » (حديث آخر) عن أبى قتادة الحارث بن ربعى الأنصارى قال أحمد حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا أبو جعفر الخطمى عن محمد بن كعب القرظى أن أبا قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبىء منه فجاء ذات يوم فخرج صبى فسأله عنه فقال نعم هو فى البيت يأكل خزيرة فناداه فقال يافلان اخرج فقد أخبرت أنك هاهنا فخرج اليه فقال مايغيبك عنى ؟ فقال إنى معسر وليس عندى شىء ، قال آلله إنك معسر ؟ قال نعم فبكى أبو قتادة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نفس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة » ورواه مسلم فى صحيحه (حديث آخر) عن حذيفة بن اليمان قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا الأخنس أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعى عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال ماذا عملت لى فى الدنيا ؟

ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية ولهذا قال تعالى (والله لا يهدى القوم الظالمين) ثم قال تعالى (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) أى يلعنهم الله ويلعنهم خلقه (خالدين فيها) أى فى اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه أن من تاب إليه تاب عليه

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلضَّالُّونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾

يقول تعالى متوعداً ومهدداً لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفرا أى استمر عليه إلى الممات ومخبرا بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات كما قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت) الآية ولهذا قال ههنا (لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) أى الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغى قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) هكذا رواه و إسناده جيد ، ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبا فيما يراه قربة كما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف ويفك العانى ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال « لا إنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضاً ذهبا ما قبل منه كما قال تعالى (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقال (لا بيع فيه ولا خلال) وقال (إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) ولهذا قال تعالى ههنا (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) فعطف ولو افتدى به على الأول فدل على أنه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال إن الواو زائدة والله أعلم ويقتضى ذلك أن لا ينقذه من عذاب الله شىء ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهبا ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبا بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنى شعبة عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديا به قال : فيقول نعم ، فيقول الله قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك » وهكذا أخرجه البخارى ومسلم (طريق أخرى) وقال الإمام أحمد . حدثنا روح حدثنا حماد عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول أى رب خير منزل ، فيقول : سل وتمن ، فيقول . ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرار ، لما يرى من فضل الشهادة . ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول : يا رب شر منزل فيقول له أتفتدى منى بطلاع الأرض ذهبا فيقول أى رب نعم فيقول : كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار » ولهذا قال (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أى وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه .

﴿ لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

روى وكيع فى تفسيره عن شريك عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون (لن تنالوا البر) قال : الجنة . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة سمع أنس بن مالك يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار[1] بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد وكان النبى ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال أبو طلحة : يارسول الله إن الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالى إلىّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال النبى ﷺ « بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح ، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها فى الأقربين » فقال أبو طلحة : أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه ، أخرجاه[2] وفى الصحيحين أن عمر قال : يارسول الله لم أصب مالا قط هو أنفس عندى من سهمى الذى هو بخيبر فما تأمرنى به ؟ قال « حبس الأصل وسبل الثمرة » وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسانى حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبى عمرو بن حماس عن حمزة بن عبدالله بن عمر قال : قال عبدالله حضرتنى هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطانى الله فلم أجد شيئا أحب إلىّ من جارية لى رومية فقلت : هى حرة لوجه الله فلو أنى أعود فى شىء جعلته لله لنكحتها يعنى تزوجتها

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ * قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال : قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبى الله ﷺ فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى : قال « سلونى عما شئتم ولكن اجعلوا لى ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعنى على الاسلام » قالوا فذلك لك قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ، أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى وأخبرنا بهذا النبى الأمى فى النوم ومن وليه من الملائكة ؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال « أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الإبل وأحب الشراب اليه ألبانها » فقالوا : اللهم نعم فقال « اللهم اشهد عليهم » وقال « أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرا بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله » قالوا : نعم قال « اللهم اشهد عليهم » قال « وأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا : اللهم نعم قال « اللهم اشهد » قال « وإن ولىّ جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه » قالوا : فعند ذلك نفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك ، فعند ذلك قال الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) الآية ورواه أحمد أيضا عن حسين بن محمد عن عبدالحميد به (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا عبدالله بن الوليد العجلى عن بكير بن شهاب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبى واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال (والله على ما نقول وكيل) قال

(١) فى نسخة الأزهر أنصارى (٢) أى فى الصحيحين

ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية ولهذا قال تعالى (والله لا يهدى القوم الظالمين) ثم قال تعالى (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) أى يلعنهم الله ويلعنهم خلقه (خالدين فيها) أى فى اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه أن من تاب إليه تاب عليه

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلضَّالُّونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾

يقول تعالى متوعداً ومهدداً لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفرا أى استمر عليه إلى الممات ومخبرا بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات كما قال تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت) الآية ولهذا قال ههنا (لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) أى الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغى قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) هكذا رواه وإسناده جيد ، ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبا فيما يراه قربة كما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف ويفك العانى ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال « لا إنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضاً ذهبا ما قبل منه كما قال تعالى (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقال (لا بيع فيه ولا خلال) وقال (إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) ولهذا قال تعالى ههنا (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) فعطف ولو افتدى به على الأول فدل على أنه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال إن الواو زائدة والله أعلم ويقتضى ذلك أن لا ينقذه من عذاب الله شىء ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهبا ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبا بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنى شعبة عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديا به قال : فيقول نعم ، فيقول الله قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك » وهكذا أخرجه البخارى ومسلم (طريق أخرى) وقال الإمام أحمد . حدثنا روح حدثنا حماد عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول أى رب خير منزل ، فيقول : سل وتمن ، فيقول . ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرار ، لما يرى من فضل الشهادة . ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول : يا رب شر منزل فيقول له أتفتدى منى بطلاع الأرض ذهبا فيقول أى رب نعم فيقول : كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار » ولهذا قال (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أى وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه .

﴿ لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

روى وكيع فى تفسيره عن شريك عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون (لن تنالوا البر) قال : الجنة . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة سمع أنس بن مالك يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار[1] بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد وكان النبى ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال أبو طلحة : يارسول الله إن الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالى إلىّ بيرحاء وإنها صدقة فأرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال النبى ﷺ « بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح ، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها فى الأقربين » فقال أبو طلحة : أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه ، أخرجاه[2] وفى الصحيحين أن عمر قال : يارسول الله لم أصب مالا قط هو أنفس عندى من سهمى الذى هو بخيبر فما تأمرنى به ؟ قال « حبس الأصل وسبل الثمرة » وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسانى حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو عن أبى عمرو بن حماس عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : قال عبد الله حضرتنى هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطانى الله فلم أجد شيئا أحب إلىّ من جارية لى رومية فقلت : هى حرة لوجه الله فلو أنى أعود فى شىء جعلته لله لنكحتها يعنى تزوجتها

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ * قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال : قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبى الله ﷺ فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى : قال « سلونى عما شئتم ولكن اجعلوا لى ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعنى على الاسلام » قالوا فذلك لك قالوا : أخبرنا عن أربع خلال ، أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى وأخبرنا بهذا النبى الأمى فى النوم ومن وليه من الملائكة ؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال « أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الإبل وأحب الشراب اليه ألبانها » فقالوا : اللهم نعم فقال « اللهم اشهد عليهم » وقال « أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرا بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله » قالوا : نعم قال « اللهم اشهد عليهم » قال « وأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه » قالوا : اللهم نعم قال « اللهم اشهد » قال « وإن ولىّ جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه » قالوا : فعند ذلك نفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك ، فعند ذلك قال الله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) الآية ورواه أحمد أيضا عن حسين بن محمد عن عبد الحميد به (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا عبد الله بن الوليد العجلى عن بكير بن شهاب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبى واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال (والله على ما نقول وكيل) قال

(١) فى نسخة الأزهر أنصارى (٢) أى فى الصحيحين

لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل فإن أنفسهم تتوق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ وهم يائسون لاشيء يعطونه فأمر الله تعالى وهو الرءوف الرحيم أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون برابهم وصدقة عليهم، وإحسانا اليهم وجبرا لكسرهم . كما قال الله تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) وذم الذين ينقلون المال خفية خشية أن يطلع عليهم المحاويج وذوو الفاقة كما أخبر به عن أصحاب الجنة (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أى بليل . وقال (فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) ف(دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) فمن جحد حق الله عليه عاقبه فى أعز مايملكه ، ولهذا جاء فى الحديث «ماخالطت الصدقة مالا إلا أفسدته» أى منعها يكون سبب محق ذلك المال بالكلية وقوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) الآية . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هذا فى الرجل يحضره الموت ، فيسمعه رجل يوصى بوصية تضر بورثته فأمر الله تعالى الذى يسمعه أن يتقى الله ويوفقه ويسدده للصواب . فينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشى عليهم الضيعة ؛ وهكذا قال مجاهد وغير واحد وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما دخل على سعد بن أبى وقاص يعوده قال : يارسول الله إنى ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثى مالى ، قال «لا» قال : فالشطر قال «لا» قال فالثلث قال «الثلث ، والثلث كثير» ثم قال رسول الله ﷺ «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» وفى الصحيح عن ابن عباس قال لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الثلث ، والثلث كثير» قال الفقهاء إن كان ورثة الميت أغنياء استحب للميت أن يستوفى فى وصيته الثلث وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص الثلث ؛ وقيل : المراد بالآية فليتقوا الله فى مباشرة أموال اليتامى (ولا يأكلوها إسرافا وبدارا) حكاه ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد فى أكل أموال اليتامى ظلما أى كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك ، فعامل الناس فى ذراريهم إذا وليتهم ثم أعلمهم أن من أكل أموال اليتامى ظلما فإنما يأكل فى بطنه ناراً ولهذا قال (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا) أى إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون ناراً تتأجج فى بطونهم يوم القيامة - وفى الصحيحين من حديث سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن سالم أبى الغيث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «اجتنبوا السبع الموبقات - قيل : يارسول الله وماهن ؟ قال - الشرك بالله ، والسحر ؛ وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ؛ وأكل الربا وأكل مال اليتيم ؛ والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا عبيدة أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى حدثنا أبو هرون العبدى[1] عن أبى سعيد الخدرى قال قلنا يارسول الله مارأيت ليلة أسرى بك ؟ قال «انطلق بى إلى خلق من خلق الله كثير . رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير ؛ وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم ، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف فى فى أحدهم حتى يخرج من أسفله ولهم جؤار وصراخ قلت : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيراً» وقال السدى . يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه كل من رآه بأكل مال اليتيم . وقال ابن مردويه : حدثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير حدثنا زياد بن المنذر عن نافع بن الحارث عن أبى برزة أن رسول الله ﷺ قال «يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا» قيل يارسول الله من هم ؟ قال «ألم تر أن الله قال (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية» ، رواه ابن أبى حاتم عن أبى زرعة عن عقبة بن مكرم وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن أحمد بن على بن المثنى عن عقبة بن مكرم . قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر العبدى حدثنا عبد الله بن جعفر الزهرى عن عثمان بن محمد عن المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «أحرج مال الضعيفين المرأة واليتيم» أى أوصيكم باجتناب مالهما وتقدم فى سورة البقرة من طريق عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية

(١) اسمه عمارة بن جوين بالتصغير تركوه ومنهم من كذبه «تقريب التهذيب» .

انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) الآية فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

هذه الآية الكريمة والتى بعدها والآية التى هى خاتمة هذه السورة هن آيات علم الفرائض، وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة فى ذلك مما هو كالتفسير لذلك . ولنذكر منها ما هو متعلق بتفسير ذلك . وأما تقرير المسائل ونصب الخلاف والأدلة ، والحجاج بين الأئمة ، فموضعه كتب[1] الأحكام والله المستعان . وقد ورد الترغيب فى تعلم الفرائض وهذه الفرائض الخاصة من أهم ذلك روى أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى عن عبد الرحمن بن رافع التنوخى عن عبد الله بن عمرو مرفوعا «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل ، آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة» . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعلموا الفرائض وعلموه الناس فانه نصف العلم ، وهو ينسى ، وهو أول شيء ينزع من أمتى» رواه ابن ماجه وفى إسناده ضعف . وقد روى من حديث ابن مسعود وأبى سعيد ، وفى كل منهما نظر . قال ابن عيينة : إنما سمى الفرائض نصف العلم لأنه يبتلى به الناس[2] كلهم وقال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال. أخبرنى ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : عادنى رسول الله ﷺ وأبو بكر فى بنى سلمة ماشيين فوجدنى النبى صلى الله عليه وسلم لا أعقل شيئا ، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش على فأفقت فقلت : ما تأمرنى أن أصنع فى مالى يا رسول الله . فنزلت (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وكذا رواه مسلم والنسائى من حديث حجاج ابن محمد الأعور عن ابن جريج به ، ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر

(حديث آخر عن جابر فى سبب نزول الآية) قال أحمد: حدثنا زكريا بن عدى حدثنا عبيد الله هو ابن عمرو الرقى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك فى يوم أحد شهيدا ، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ، ولا ينكحان إلا ولهما مال قال : فقال «يقضى الله فى ذلك» فنزلت آية الميراث ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال : «أعط ابنتى سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، وما بقى فهو لك» وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل به ، قال الترمذى: ولا يعرف إلا من حديثه . والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتى، فانه إنما كان له إذ ذاك أخوات ، ولم يكن له بنات ، وإنما كان يورث كلالة ولكن ذكرنا الحديث ههنا تبعا للبخارى فانه ذكره ههنا ، والحديث الثانى عن جابر أشبه بنزول هذه الآية والله أعلم

فقوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) أى يأمركم بالعدل فيهم ، فان أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث ، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم فى أصل الميراث ، وفاوت بين الصنفين ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتحمل المشاق فناسب أن يعطى ضعفى ما تأخذه الأنثى . وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم

(١) فى نسخة الأزهر : كتاب الأحكام يعنى كتابه هو . (٢) ونيها : زائدة .

وعند الصرام يعطى القبضة ويتركهم فيتبعون آثار الصرام ، وقال الثورى عن حماد عن إبراهيم النخعى قال يعطى مثل الضغث وقال ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته وفى حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن سعيد مرفوعا (وآتوا حقه يوم حصاده) قال (ماسقط من السنبل) رواه ابن مردويه وقال آخرون هذا شىء كان واجبا ثم نسخه الله بالعشر أونصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وإبراهيم النخعى والحسن والسدى وعطية العوفى وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله ، قلت وفى تسمية هذا نسخا نظر لأنه قد كان شيئاً واجبا فى الأصل ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته قالوا وكان هذا فى السنة الثانية من الهجرة فالله أعلم ، وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة فى سورة « ن » (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم) أى كالليل المدلهم سوداء محترقة (فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد) أى قوة وجلد وهمة (قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

وقوله تعالى (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) قيل معناه لا تسرفوا فى الاعطاء فتعطوا فوق المعروف وقال أبو العالية كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ثم تباروا فيه وأسرفوا فأنزل الله (ولا تسرفوا) وقال ابن جريج نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس جذ نخلاله فقال لا يأتينى اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فأنزل الله تعالى (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) رواه ابن جرير عنه وقال ابن جريج عن عطاء نهوا عن السرف فى كل شىء ، وقال إياس بن معاوية ما جاوزت به أمر الله فهو سرف ، وقال السدى فى قوله ولا تسرفوا قال لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء وقال سعيد ابن المسيب ومحمد بن كعب فى قوله (ولا تسرفوا) قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم ، ثم اختار ابن جرير قول عطاء انه نهى عن الاسراف فى كل شىء ولا شك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا) أن يكون عائدا على الأكل أى لا تسرفوا فى الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) الآية ، وفى صحيح البخارى تعليقا « كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة » وهذا من هذا والله أعلم وقوله عزوجل (ومن الأنعام حمولة وفرشا) أى وأنشأ لكم من الأنعام ماهو حمولة وما هو فرش قيل المراد بالحمولة ما يحمل عليه من الإبل والفرش الصغار منها كما قال الثورى عن أبى إسحق عن أبى الأحوص عن عبدالله فى قوله حمولة ماحمل عليه من الإبل وفرشا الصغار من الإبل رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه : وقال ابن عباس الحمولة هى الكبار والفرش الصغار من الإبل وكذا قال مجاهد ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ومن الأنعام حمولة وفرشا) أما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شىء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم واختاره ابن جرير قال وأحسبه إنما سمى فرشا لدنوه من الأرض ، وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقتادة وغيره الحمولة الابل والبقر والفرش الغنم . وقال السدى أما الحمولة فالابل وأما الفرش فالفصلان والعجاجيل والغنم وما حمل عليه فهو حمولة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الحمولة ماتركبون والفرش ماتأكلون وتحلبون : شاة لا تحمل تأكلون لحمها وتتخذون من صوفها لحافا وفرشا وهذا الذى قاله عبدالرحمن فى تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وقال تعالى (وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصا سائغا للشاربين) إلى أن قال (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) وقال تعالى (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون *

ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) وقوله تعالى (كلوا مما رزقكم الله) أى من الثمار والزروع والأنعام فكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا مارزقهم الله أى من الثمار والزروع افتراء على الله (إنه لكم) أى إن الشيطان أيها الناس لكم (عدومبين) أى بين ظاهر العداوة كما قال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) الآية وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) والآيات فى هذا كثيرة فى القرآن

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

هذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما وغير ذلك من الأنواع التى ابتدعوها فى الأنعام والزروع والثمار فبين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا . ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن وسواد وهو المعز[1] ذكره وأنثاه وإلى إبل ذكورها وإناثها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها بل كلها مخلوقة لبنى آدم أكلا وركوبا وحمولة وحلبا وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) الآية وقوله تعالى (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) رد عليهم فى قولهم (ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) الآية وقوله تعالى (نبئونى بعلم إن كنتم صادقين) أى أخبرونى عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، وقال العوفى عن ابن عباس قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) فهذه أربعة أزواج (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) يقول لم أحرم شيئا من ذلك (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) يعنى هل يشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا ؟ (نبئونى بعلم إن كنتم صادقين) يقول تعالى كله حلال وقوله تعالى (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم ما حرموه من ذلك (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) أى لا أحد أظلم منه (إن الله لا يهدى القوم الظالمين) وأول من دخل فى هذه الآية عمرو بن لحى بن قمعة لأنه أول من غير دين الأنبياء وأول من سيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامى كما ثبت ذلك فى الصحيح

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى آمرا عبده ورسوله محمداً ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله (لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) أى آكل يأكله قيل معناه لا أجد شيئا مما حرمتم حراما سوى هذه وقيل معناه لا أجد من الحيوانات شيئا حراما سوى هذه فعلى هذا يكون ما ورد من التحريمات بعد هذا فى سورة المائدة وفى الأحاديث الواردة رافعا للمفهوم هذه الآية ومن الناس من يسمى هذا نسخا والأكثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخاً لأنه من باب رفع مباح الأصل والله أعلم ، وقال العوفى عن ابن عباس (أو دما مسفوحا) يعنى المهراق

[1] ليس كل الضأن أبيض ولا كل المعز أسود وليس فى الآية ذكر للبياض والسواد .

هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة كما رواه مسلم والنسائى وابن جرير واللفظ له من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فقال الله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو مايوارى السوأة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وهكذا قال مجاهد وعطاء وإبراهيم النخعى وسعيد بن جبير وقتادة والسدى الضحاك ومالك عن الزهرى وغير واحد من أئمة السلف فى تفسيرها أنها نزلت فى طوائف المشركين بالبيت عراة وقد روى الحافظ بن مردويه من حديث سعيد بن بشير والأوزاعى عن قتادة عن أنس مرفوعا أنها نزلت فى الصلاة فى النعال ولكن فى صحته نظر والله أعلم ، ولهذه الآية وما ورد فى معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لأنه من الزينة والسواك لأنه من تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض كما قال الإمام أحمد حدثنا على بن عاصم حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ « البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم وإن خير أكحالكم الإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » هذا حديث جيد الاسناد رجاله على شرط مسلم ، ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقال الترمذى حسن صحيح ، وللإمام أحمد أيضا وأهل السنن بإسناد جيد عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « عليكم بثياب البياض فالبسوها فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم » وروى الطبرانى بسند صحيح عن قتادة عن محمد بن سيرين أن تميما الدارى اشترى رداء بألف وكان يصلى فيه ، وقوله تعالى (وكلوا واشربوا) الآية قال بعض السلف جمع الله الطب كله فى نصف آية (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال البخارى قال ابن عباس كل ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال : أحل الله الأكل والشرب مالم يكن سرفا أو مخيلة ، إسناده صحيح ، وقال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده » ورواه النسائى وابن ماجه من حديث قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال « كلوا وتصدقوا والبسوا فى غير إسراف ولا مخيلة » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا سليمان بن سليم الكلبى حدثنا يحيى بن جابر الطائى سمعت المقدام بن معد يكرب الكندى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان فاعلا لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » ورواه النسائى والترمذى من طرق عن يحيى بن جابر به وقال الترمذى حسن وفى نسخة حسن صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا بقية عن يوسف بن أبى كثير عن نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن من السرف أن تأكل كل مااشتهيت » ورواه الدارقطنى فى الافراد وقال هذا حديث غريب تفرد به بقية ، وقال السدى كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا فى الموسم فقال الله تعالى لهم (كلوا واشربوا) الآية يقول لاتسرفوا فى التحريم وقال مجاهد أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ولا تسرفوا) يقول ولا تأكلوا حراما ذلك الاسراف ، وقال عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين) فى الطعام والشراب ، وقال ابن جرير وقوله (إنه لا يحب المسرفين) يقول الله تعالى (إن الله لايحب المعتدين) حده فى حلال أو حرام الغالين فيما أحل باحلال الحرام

أو بتحريم الحلال ولكنه يحب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذى أمر به

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى ردا على من حرم شيئا من المآكل أو المشارب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم (من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) الآية أى هى مخلوقة لمن آمن بالله وعبده فى الحياة الدنيا وإن شركهم فيها الكفار حسا فى الدنيا فهى لهم خاصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد من الكفار فان الجنة محرمة على الكافرين قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين القاضى حدثنا يحيى الحمانى حدثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) فأمروا بالثياب

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله » أخرجاه فى الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن شقيق أبى وائل عن عبد الله بن مسعود وتقدم الكلام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن فى سورة الأنعام وقوله (والإثم والبغى بغير الحق) قال السدى أما الاثم فالمعصية والبغى أن تبغى على الناس بغير الحق وقال مجاهد الاثم المعاصى كلها وأخبر أن الباغى بغيه على نفسه وحاصل ما فسر به الاثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه والبغى هو التعدى إلى الناس فحرم الله هذا وهذا وقوله تعالى (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) أى تجعلوا له شركاء فى عبادته (وأن تقولوا على الله ما تعلمون) من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولداً ونحو ذلك مما لا علم لكم به كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) الآية

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * يَٰبَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

يقول تعالى (ولكل أمة) أى قرن وجيل (أجل فإذا جاء أجلهم) أى ميقاتهم المقدر لهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ثم أنذر تعالى بنى آدم أنه سيبعث إليهم رسلا يقصون عليهم آياته وبشر وحذر فقال (فمن اتقى واصلح) أى ترك المحرمات وفعل الطاعات (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) أى كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى ماكثون فيها مكثا مخلدا

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِ أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ ﴾

هى التى يرمى بها وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ولهذا نظائر فى القرآن والله أعلم

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۞ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان وهى مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لاتملك شيئا من الأمر ولا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تنتصر لعابديها بل هى جماد لاتتحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ولهذا قال (أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون) أى أتشركون به من المعبودات مالا يخلق شيئا ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز) أخبر تعالى أن آلهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة بل لوسلبتهم الذبابة شيئا من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا إنقاذه منها فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر ؟ ولهذا قال تعالى (لايخلقون شيئا وهم يخلقون) أى بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل (أتعبدون ماتنحتون) الآية ثم قال تعالى (ولا يستطيعون لهم نصرا) أى لعابديهم (ولا أنفسهم ينصرون) يعنى ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ويهينها غاية الإهانة كما أخبر تعالى عنه فى قوله (فراغ عليهم ضربا باليمين) وقال تعالى (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون) وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فكانا يعدوان فى الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطباً للأرامل ليعتبر قومهما بذلك ويرتأوا لأنفسهم فكان لعمرو بن الجموح وكان سيدا فى قومه صنم يعبده ويطيبه فكانا يجيئان فى الليل فينكسانه على رأسه ويلطخانه بالعذرة فيجىء عمرو بن الجموح فيرى ماصنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفاً ويقول له انتصر ثم يعودان لمثل ذلك ويعود إلى صنيعه أيضاً حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ودلياه فى حبل فى بئر هناك فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل وقال :

تالله لو كنت إلها مستدن * لم تك والكلب جميعا فى قرن

ثم أسلم فحسن إسلامه وقتل يوم أحد شهيدا رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنة الفردوس مأواه وقوله (وإن تدعوهم إلى الهدى لايتبعوكم) الآية يعنى أن هذه الأصنام لاتسمع دعاء من دعاها وسواء لديها من دعاها ومن دحاها كما قال إبراهيم (يا أبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولا يغنى عنك شيئا) ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها أى مخلوقات مثلهم بل الأناس أكمل منها لأنها تسمع وتبصر وتبطش وتلك لاتفعل شيئا من ذلك وقوله (قل ادعوا شركاءكم) الآية أى استنصروا بها على فلا تؤخرونى طرفة عين واجهدوا جهدكم (إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) أى الله حسبى وكافينى وهو نصيرى وعليه متكلى وإليه ألجأ وهو وليي فى الدنيا والآخرة وهو ولى كل صالح بعدى وهذا كما

قال هود عليه السلام لما قال له قومه (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون * إنى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم) وكقول الخليل (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لى إلا رب العالمين * الذى خلقنى فهو يهدين) الآيات وكقوله لأبيه وقومه (إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) وقوله (والذين تدعون من دونه) إلى آخر الآية مؤكد لما تقدم إلا أنه بصيغة الخطاب وذاك بصيغة الغيبة ، ولهذا قال (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وقوله (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) كقوله تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) الآية وقوله (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) إنما قال (ينظرون إليك) أى يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة وهى جماد ولهذا عاملهم معاملة من يعقل لأنها على صور مصورة كالإنسان وتراهم ينظرون إليك فعبر عنها بضمير من يعقل ، وقال السدى المراد بهذا المشركون ، وروى عن مجاهد نحوه والأول أولى وهو اختيار ابن جرير وقاله قتادة

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۞ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (خذ العفو) يعنى خذ ما عفا لك من أموالهم وما أتوك به من شىء فخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه الصدقات، قاله السدى وقال الضحاك عن ابن عباس (خذ العفو) أنفق الفضل ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس (خذ العفو) قال الفضل وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم فى قوله (خذ العفو) أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ثم أمره بالغلظة عليهم ، واختار هذا القول ابن جرير ، وقال غير واحد عن مجاهد فى قوله تعالى (خذ العفو) قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس ، وقال هشام بن عروة عن أبيه أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وفى رواية قال خذ ما عفا لك من أخلاقهم ، وفى صحيح البخارى عن هشام عن أبيه عروة عن أخيه عبد الله بن الزبير قال إنما أنزل خذ العفو من أخلاق الناس، وفى رواية لغيره عن هشام عن أبيه عن ابن عمر ، وفى رواية عن هشام عن أبيه عن عائشة أنهما قالا مثل ذلك والله أعلم، وفى رواية سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن أبى الزبير خذ العفو قال من أخلاق الناس والله لآخذنه منهم ما صحبتهم وهذا أشهر الأقوال ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم جميعا حدثنا يونس حدثنا سفيان هو ابن عيينة عن أبى قال لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) قال رسول الله ﷺ « ما هذا يا جبريل ؟» قال إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك ، وقد رواه ابن أبى حاتم أيضا عن أبى يزيد القراطيسى كتابة عن اصبع بن الفرج عن سفيان عن أبى عن الشعبى نحوه، وهذا مرسل على كل حال وقد روى له شواهد من وجوه أخر وقد روى مرفوعا عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة عن النبى ﷺ أسندهما ابن مردويه ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا شعبة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثنى على بن يزيد عن القاسم بن أبى أمامة الباهلى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت يده فقلت يا رسول الله أخبرنى بفواضل الأعمال فقال « يا عقبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك » وروى الترمذى نحوه من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد به وقال حسن قلت ولكن على بن يزيد وشيخه القاسم أبو عبد الرحمن فيهما ضعف ، وقال البخارى قوله (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) العرف المعروف حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته

فقال (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون) فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبا عظيما وسرا شريفا حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله (وقالوا حسبنا الله) وكذلك الرغبة إلى الله وحده فى التوفيق لطاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره وترك زواجره وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره .

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

لما ذكر تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبي ﷺ ولمزهم إياه فى قسم الصدقات بين تعالى أنه هو الذى قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحد غيره فجزأها لهؤلاء المذكورين كما رواه الإمام أبو داود فى سننه من حديث عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائى رضى الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فبايعته فأتى رجل فقال أعطنى من الصدقة فقال له « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » وقد اختلف العلماء فى هذه الأصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع لها أو إلى ما أمكن منها ؟ على قولين (أحدهما) أنه يجب ذلك وهو قول الشافعى وجماعة (والثانى) أنه لايجب استيعابها بل يجوز الدفع الى واحد منها ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقين وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون ابن مهران ، قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم ، وعلى هذا فانما ذكرت الأصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعابها . ولوجوه الحجاج والمآخذ مكان غير هذا والله أعلم ، وإنما قدم الفقراء ههنا على البقية لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور ولشدة فاقتهم وحاجتهم ، وعند أبى حنيفة أن المسكين أسوأ حالا من الفقير وهو كما قال أحمد وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية أنبأنا ابن عون عن محمد قال : قال عمر رضى الله عنه : الفقير ليس بالذى لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق الكسب قال ابن علية الأخلق المحارف عندنا ، والجمهور على خلافه وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى وابن زيد . واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتعفف الذى لا يسأل الناس شيئا والمسكين هو الذى يسأل ويطوف ويتبع الناس وقال قتادة الفقير من به زمانة والمسكين الصحيح الجسم وقال الثورى عن منصور عن إبراهيم هم فقراء المهاجرين ، قال سفيان الثورى يعنى ولا يعطى الأعراب منها شيئا وكذا روى عن سعيد ابن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، وقال عكرمة لاتقولوا لفقراء المسلمين مساكين إنما المساكين أهل الكتاب ولنذكر أحاديث تتعلق بكل من الأصناف الثمانية * فأما الفقراء فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لاتحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » رواه أحمد وأبوداود والترمذى ، ولأحمد أيضا والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة مثله وعن عبيد الله بن عدى بن الخيار أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر فرآهما جلدين فقال « إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب » رواه أحمد وأبوداود والنسائى بإسناد جيد قوى وقال ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل: أبوبكر العبسى قال قرأ عمر رضى الله عنه (إنما الصدقات للفقراء) قال هم أهل الكتاب روى عنه عمر بن نافع سمعت أبى يقول ذلك (قلت) وهذا قول غريب جدا بتقدير صحة الإسناد فان أبا بكر هذا وإن لم ينص أبو حاتم على جهالته لكنه فى حكم المجهول ، وأما المساكين فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ليس المسكين بهذا الطواف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان قالوا فما المسكين يارسول الله ؟ قال « الذى لايجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا » رواه الشيخان . وأما العاملون عليها فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ولا يجوز

أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد المطلب من ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل ابن العباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصدقة فقال « إن الصدقة لاتحل لمحمد ولا لآل محمد إنما هى أوساخ الناس » . وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركا قال فلم يزل يعطينى حتى صار أحب الناس إلى بعد أن كان أبغض الناس إلى ، كما قال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن عدى أنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطانى رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلى فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى ، ورواه مسلم والترمذى من حديث يونس عن الزهرى به ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل مائة من الإبل وقال « إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله على وجهه فى نار جهنم » . وفى الصحيحين عن أبى سعيد أن عليا بعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم بذهيبة فى تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة ، وزيد الخير ، وقال « أتألفهم » ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجبى الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تفصيل هذا فى كتب الفروع والله أعلم

وهل تعطى المؤلفة على الإسلام بعد النبى ﷺ ؟ فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لايعطون بعده لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم فى البلاد ، وأذل لهم رقاب العباد . وقال آخرون بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم . وأما الرقاب فروى عن الحسن البصرى ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنخعى والزهرى وابن زيد أنهم المكاتبون ، وروى عن أبى موسى الأشعرى نحوه وهو قول الشافعى والليث رضى الله عنهما . وقال ابن عباس والحسن لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك وإسحق أى أن الرقاب أعم من أن يعطى المكاتب أو يشترى رقبة فيعتقها استقلالا ، وقد ورد فى ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة وأن الله يعتق بكل عضو منها عضواً من معتقها حتى الفرج بالفرج وماذاك إلا لأن الجزاء من جنس العمل (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « ثلاثة حق على الله عونهم : الغازى فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف » رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود ، وفى المسند عن البراء بن عازب قال جاء رجل فقال يا رسول الله دلنى على عمل يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار فقال « أعتق النسمة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليسا واحدا ؟ قال « لا ، عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها » وأما الغارمون فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن دينا فلزمه فأجحف بماله أو غرم فى أداء دينه أو فى معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم ، والأصل فى هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالى قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال « أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها » قال ثم قال « يا قبيصة إن المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش -أو قال سدادا من عيش- ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قرابة قومه فيقولون لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش -أو قال سدادا من عيش- فما سواهن من المسألة سحت يأكلها صاحبها سحتاً » رواه مسلم ، وعن أبى سعيد قال : أصيب رجل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال النبى ﷺ « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لغرمائه « خذوا ماوجدتم وليس لكم إلا ذلك » رواه مسلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد أنبأنا صدقة بن موسى عن أبى عمران الجونى عن قيس بن يزيد عن قاضى المصرين عن عبدالرحمن بن

أبى بكر قال : قال رسول الله ﷺ « يدعو الله لصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول : يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس ؟ فيقول يا رب إنك تعلم أنى أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم أضيع ولكن أتى على يدى إما حرق وإما سرق وإما وضيعة . فيقول الله صدق عبدى أنا أحق من قضى عنك اليوم فيدعو الله بشىء فيضعه فى كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل الله ورحمته » وأما فى سبيل الله فمنهم الغزاة الذين لاحق لهم فى الديوان وعند الإمام أحمد والحسن وإسحق والحج من سبيل الله للحديث ، وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المجتاز فى بلد ليس معه شىء يستعين به على سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده وإن كان له مال وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شىء فيعطى من مال الزكاة كفايته فى ذهابه وإيابه . والدليل على ذلك الآية وما رواه الإمام أبو داود وابن ماجه من حديث معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة : العامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غاز فى سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى لغنى » وقد رواه السفيانان عن زيد بن أسلم عن عطاء مرسلا ، ولأبى داود عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لغنى إلا فى سبيل الله وابن السبيل أو جار فقير فيهدى لك أو يدعوك » وقوله (فريضة من الله) أى حكما مقدراً بتقدير الله وفرضه وقسمه (والله عليم حكيم) أى عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده (حكيم) فيما يقوله ويفعله ويشرعه ويحكم به لا إله إلا هو ولا رب سواه

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون (هو أذن) أى من قال له شيئا صدقه فينا ومن حدثه صدقه فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا . روى معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة . قال الله تعالى (قل أذن خير لكم) أى هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أى ويصدق المؤمنين (ورحمة للذين آمنوا منكم) أى وهو حجة على الكافرين ولهذا قال (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

قال قتاده فى قوله تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الآية . قال ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وإن كان مايقول محمد حقا ، لهم شر من الحمير . قال فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله إن مايقول محمد لحق ولأنت أشر من الحمار قال فسعى بها الرجال إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال « ما حملك على الذى قلت ؟ » فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك ، وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب ، فأنزل الله الآية . وقوله تعالى (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) الآية أى ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله عز وجل أى شاقه وحاربه وخالفه وكان فى حد والله ورسوله فى حد (فأن له نار جهنم خالداً فيها) أى مهاناً معذبا و(ذلك الخزى العظيم) أى وهذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوا إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾

قال مجاهد : يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لايفشى علينا سرنا هذا ، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى

(وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) وقال فى هذه الآية (قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون) أى إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم كقوله تعالى (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم - إلى قوله - ولتعرفنهم فى لحن القول) الآية ، ولهذا قال قتادة كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾

قال أبو معشر المدينى عن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء . فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب . فقال (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون - إلى قوله - كانوا مجرمين) وإن رجليه لتسفعان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الله بن وهب : أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل فى المسجد : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو أنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون .) الآية . وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا . وقال ابن إسحق وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بنى أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبنى سلمة يقال له مخشى بن حمير يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنا بكم غداً مقرنين فى الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشى بن حمير والله لوددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإننا نفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله ﷺ فيما بلغنى لعمار بن ياسر « أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا » فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال مخشى بن حمير يا رسول الله قعد بى اسمى واسم أبى فكان الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشى بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر . وقال قتادة (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) قال فبينما النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال « على بهؤلاء النفر » فدعاهم فقال « قلتم كذا وكذا » فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب . وقال عكرمة فى تفسير هذه الآية كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول اللهم إنى أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت . قال فأصيب يوم اليمامة فما من أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره . وقوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) أى بهذا المقال الذى استهزأتم به (إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) أى لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم (بأنهم كانوا مجرمين) أى مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة .

فقال (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون) فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبا عظيما وسرا شريفا حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله (وقالوا حسبنا الله) وكذلك الرغبة إلى الله وحده فى التوفيق لطاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره وترك زواجره وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره .

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

لما ذكر تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبي ﷺ ولمزهم إياه فى قسم الصدقات بين تعالى أنه هو الذى قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحد غيره فجزأها لهؤلاء المذكورين كما رواه الإمام أبو داود فى سننه من حديث عبدالرحمن بن زياد بن نعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائى رضى الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فبايعته فأتى رجل فقال أعطنى من الصدقة فقال له « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » وقد اختلف العلماء فى هذه الأصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع لها أو إلى ما أمكن منها ؟ على قولين (أحدهما) أنه يجب ذلك وهو قول الشافعى وجماعة (والثانى) أنه لايجب استيعابها بل يجوز الدفع الى واحد منها ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقين وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون ابن مهران ، قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم ، وعلى هذا فإنما ذكرت الأصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعابها . ولوجوه الحجاج والمآخذ مكان غير هذا والله أعلم ، وإنما قدم الفقراء ههنا على البقية لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور ولشدة فاقتهم وحاجتهم ، وعند أبى حنيفة أن المسكين أسوأ حالا من الفقير وهو كما قال أحمد وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية أنبأنا ابن عون عن محمد قال : قال عمر رضى الله عنه : الفقير ليس بالذى لامال له ، ولكن الفقير الأخلق الكسب قال ابن علية الأخلق المحارف عندنا ، والجمهور على خلافه وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى وابن زيد . واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتعفف الذى لا يسأل الناس شيئا والمسكين هو الذى يسأل ويطوف ويتبع الناس وقال قتادة الفقير من به زمانة والمسكين الصحيح الجسم وقال الثورى عن منصور عن إبراهيم هم فقراء المهاجرين ، قال سفيان الثورى يعنى ولا يعطى الأعراب منها شيئا وكذا روى عن سعيد ابن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، وقال عكرمة لاتقولوا لفقراء المسلمين مساكين إنما المساكين أهل الكتاب ولنذكر أحاديث تتعلق بكل من الأصناف الثمانية * فأما الفقراء فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لاتحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، ولأحمد أيضا والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة مثله وعن عبيد الله بن عدى بن الخيار أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبى ﷺ يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر فرآهما جلدين فقال « إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب » رواه أحمد وأبو داود والنسائى بإسناد جيد قوى وقال ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل: أبو بكر العبسى قال قرأ عمر رضى الله عنه (إنما الصدقات للفقراء) قال هم أهل الكتاب روى عنه عمر بن نافع سمعت أبى يقول ذلك (قلت) وهذا قول غريب جدا بتقدير صحة الإسناد فان أبا بكر هذا وإن لم ينص أبو حاتم على جهالته لكنه فى حكم المجهول ، وأما المساكين فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ليس المسكين بهذا الطواف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان قالوا فما المسكين يارسول الله ؟ قال « الذى لايجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا » رواه الشيخان . وأما العاملون عليها فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ولا يجوز

أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد المطلب من ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل ابن العباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصدقة فقال « إن الصدقة لاتحل لمحمد ولا لآل محمد إنما هى أوساخ الناس » . وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركا قال فلم يزل يعطينى حتى صار أحب الناس إلى بعد أن كان أبغض الناس إلى ، كما قال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن عدى أنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطانى رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلى فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى ، ورواه مسلم والترمذى من حديث يونس عن الزهرى به ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل مائة من الإبل وقال « إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله على وجهه فى نار جهنم » . وفى الصحيحين عن أبى سعيد أن عليا بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهبية فى تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة ، وزيد الخير ، وقال « أتألفهم » ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجبى الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تفصيل هذا فى كتب الفروع والله أعلم

وهل تعطى المؤلفة على الإسلام بعد النبي ﷺ ؟ فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لايعطون بعده لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم فى البلاد ، وأذل لهم رقاب العباد . وقال آخرون بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم . وأما الرقاب فروى عن الحسن البصرى ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنخعى والزهرى وابن زيد أنهم المكاتبون ، وروى عن أبى موسى الأشعرى نحوه وهو قول الشافعى والليث رضى الله عنهما . وقال ابن عباس والحسن لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك وإسحق أى أن الرقاب أعم من أن يعطى المكاتب أو يشترى رقبة فيعتقها استقلالا ، وقد ورد فى ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة وأن الله يعتق بكل عضو منها عضواً من معتقها حتى الفرج بالفرج وماذاك إلا لأن الجزاء من جنس العمل (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « ثلاثة حق على الله عونهم : الغازى فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف » رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود ، وفى المسند عن البراء بن عازب قال جاء رجل فقال يا رسول الله دلنى على عمل يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار فقال « أعتق النسمة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليسا واحدا ؟ قال « لا ، عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها » وأما الغارمون فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن دينا فلزمه فأجحف بماله أو غرم فى أداء دينه أو فى معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم ، والأصل فى هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالى قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال « أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها » قال ثم قال « يا قبيصة إن المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش -أو قال سدادا من عيش- ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قرابة قومه فيقولون لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش -أو قال سدادا من عيش- فما سواهن من المسألة سحت يأكلها صاحبها سحتاً » رواه مسلم ، وعن أبى سعيد قال : أصيب رجل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال النبي ﷺ « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لغرمائه « خذوا ماوجدتم وليس لكم إلا ذلك » رواه مسلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد أنبأنا صدقة بن موسى عن أبى عمران الجونى عن قيس بن يزيد عن قاضى المصرين عن عبدالرحمن بن

فقال (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون) فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبا عظيما وسرا شريفا حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله (وقالوا حسبنا الله) وكذلك الرغبة إلى الله وحده فى التوفيق لطاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره وترك زواجره وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره .

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

لما ذكر تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبى ﷺ ولمزهم إياه فى قسم الصدقات بين تعالى أنه هو الذى قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحد غيره فجزأها لهؤلاء المذكورين كما رواه الإمام أبو داود فى سننه من حديث عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائى رضى الله عنه قال : أتيت النبى ﷺ فبايعته فأتى رجل فقال أعطنى من الصدقة فقال له « إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » وقد اختلف العلماء فى هذه الأصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع لها أو إلى ما أمكن منها ؟ على قولين (أحدهما) أنه يجب ذلك وهو قول الشافعى وجماعة (والثانى) أنه لايجب استيعابها بل يجوز الدفع الى واحد منها ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقين وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون ابن مهران ، قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم ، وعلى هذا فانما ذكرت الأصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعابها . ولوجوه الحجاج والمآخذ مكان غير هذا والله أعلم ، وإنما قدم الفقراء ههنا على البقية لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور ولشدة فاقتهم وحاجتهم ، وعند أبى حنيفة أن المسكين أسوأ حالا من الفقير وهو كما قال أحمد وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية أنبأنا ابن عون عن محمد قال : قال عمر رضى الله عنه : الفقير ليس بالذى لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق الكسب قال ابن علية الأخلق المحارف عندنا ، والجمهور على خلافه وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى وابن زيد . واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتعفف الذى لا يسأل الناس شيئا والمسكين هو الذى يسأل ويطوف ويتبع الناس وقال قتادة الفقير من به زمانة والمسكين الصحيح الجسم وقال الثورى عن منصور عن إبراهيم هم فقراء المهاجرين ، قال سفيان الثورى يعنى ولا يعطى الأعراب منها شيئا وكذا روى عن سعيد ابن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، وقال عكرمة لاتقولوا لفقراء المسلمين مساكين إنما المساكين أهل الكتاب ولنذكر أحاديث تتعلق بكل من الأصناف الثمانية * فأما الفقراء فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لاتحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » رواه أحمد وأبوداود والترمذى ، ولأحمد أيضا والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة مثله وعن عبيد الله بن عدى بن الخيار أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبى ﷺ يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر فرآهما جلدين فقال « إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب » رواه أحمد وأبوداود والنسائى بإسناد جيد قوى وقال ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل: أبو بكر العبسى قال قرأ عمر رضى الله عنه (إنما الصدقات للفقراء) قال هم أهل الكتاب روى عنه عمر بن نافع سمعت أبى يقول ذلك (قلت) وهذا قول غريب جدا بتقدير صحة الإسناد فان أبا بكر هذا وإن لم ينص أبو حاتم على جهالته لكنه فى حكم المجهول ، وأما المساكين فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ليس المسكين بهذا الطواف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان قالوا فما المسكين يارسول الله ؟ قال « الذى لايجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا » رواه الشيخان . وأما العاملون عليها فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ولا يجوز

أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد المطلب من ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل ابن العباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصدقة فقال « إن الصدقة لاتحل لمحمد ولا لآل محمد إنما هى أوساخ الناس » . وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبى صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركا قال فلم يزل يعطينى حتى صار أحب الناس إلى بعد أن كان أبغض الناس إلى ، كما قال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن عدى أنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطانى رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلى فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى ، ورواه مسلم والترمذى من حديث يونس عن الزهرى به ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل مائة من الإبل وقال « إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله على وجهه فى نار جهنم » . وفى الصحيحين عن أبى سعيد أن عليا بعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم بذهيبة فى تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة ، وزيد الخير ، وقال « أتألفهم » ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجبى الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تفصيل هذا فى كتب الفروع والله أعلم

وهل تعطى المؤلفة على الإسلام بعد النبى ﷺ ؟ فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لا يعطون بعده لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم فى البلاد ، وأذل لهم رقاب العباد . وقال آخرون بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم . وأما الرقاب فروى عن الحسن البصرى ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنخعى والزهرى وابن زيد أنهم المكاتبون ، وروى عن أبى موسى الأشعرى نحوه وهو قول الشافعى والليث رضى الله عنهما . وقال ابن عباس والحسن لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك وإسحق أى أن الرقاب أعم من أن يعطى المكاتب أو يشترى رقبة فيعتقها استقلالا ، وقد ورد فى ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة وأن الله يعتق بكل عضو منها عضواً من معتقها حتى الفرج بالفرج وماذاك إلا لأن الجزاء من جنس العمل (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « ثلاثة حق على الله عونهم : الغازى فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف » رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود ، وفى المسند عن البراء بن عازب قال جاء رجل فقال يا رسول الله دلنى على عمل يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار فقال « أعتق النسمة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليسا واحدا ؟ قال « لا ، عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها » وأما الغارمون فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن دينا فلزمه فأجحف بماله أو غرم فى أداء دينه أو فى معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم ، والأصل فى هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالى قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال « أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها » قال ثم قال « يا قبيصة إن المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ـ أو قال سدادا من عيش ـ ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قرابة قومه فيقولون لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ـ أو قال سدادا من عيش ـ فما سواهن من المسألة سحت يأكلها صاحبها سحتاً » رواه مسلم ، وعن أبى سعيد قال : أصيب رجل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال النبى ﷺ « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لغرمائه « خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك » رواه مسلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد أنبأنا صدقة بن موسى عن أبى عمران الجونى عن قيس بن يزيد عن قاضى المصرين عن عبدالرحمن بن

أبى بكر قال : قال رسول الله ﷺ « يدعو الله لصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول : يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس ؟ فيقول يا رب إنك تعلم أنى أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم أضيع ولكن أتى على يدى إما حرق وإما سرق وإما وضيعة . فيقول الله صدق عبدى أنا أحق من قضى عنك اليوم فيدعو الله بشىء فيضعه فى كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل الله ورحمته » وأما فى سبيل الله فمنهم الغزاة الذين لاحق لهم فى الديوان وعند الإمام أحمد والحسن وإسحق والحج من سبيل الله الحديث ، وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المجتاز فى بلد ليس معه شىء يستعين به على سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده وإن كان له مال وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شىء فيعطى من مال الزكاة كفايته فى ذهابه وإيابه . والدليل على ذلك الآية وما رواه الإمام أبو داود وابن ماجه من حديث معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة : العامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غاز فى سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى لغنى » وقد رواه السفيانان عن زيد بن أسلم عن عطاء مرسلا ، ولأبى داود عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لغنى إلا فى سبيل الله وابن السبيل أو جار فقير فيهدى لك أو يدعوك » وقوله (فريضة من الله) أى حكما مقدراً بتقدير الله وفرضه وقسمه (والله عليم حكيم) أى عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده (حكيم) فيما يقوله ويفعله ويشرعه ويحكم به لا إله إلا هو ولا رب سواه

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون (هو أذن) أى من قال له شيئا صدقه فينا ومن حدثه صدقه فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا . روى معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. قال الله تعالى (قل أذن خير لكم) أى هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أى ويصدق المؤمنين (ورحمة للذين آمنوا منكم) أى وهو حجة على الكافرين ولهذا قال (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

قال قتاده فى قوله تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الآية . قال ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وإن كان مايقول محمد حقا ، لهم شر من الحمير . قال فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله إن مايقول محمد لحق ولأنت أشر من الحمار قال فسعى بها الرجال إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال « ما حملك على الذى قلت ؟ » فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك ، وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب ، فأنزل الله الآية . وقوله تعالى (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) الآية أى ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله عزوجل أى شاقه وحاربه وخالفه وكان فى حد والله ورسوله فى حد (فأن له نار جهنم خالداً فيها) أى مهاناً معذبا و(ذلك الخزى العظيم) أى وهذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوا إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾

قال مجاهد : يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا هذا ، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى

(وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) وقال فى هذه الآية (قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون) أى إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم كقوله تعالى (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم - إلى قوله - ولتعرفنهم فى لحن القول) الآية ، ولهذا قال قتادة كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾

قال أبو معشر المدينى عن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء . فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب . فقال (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون - إلى قوله - كانوا مجرمين) وإن رجليه لتسفعان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الله بن وهب : أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل فى المسجد : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو أنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون .) الآية . وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا . وقال ابن إسحق وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بنى أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبنى سلمة يقال له مخشى بن حمير يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنا بكم غداً مقرنين فى الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشى بن حمير والله لوددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإننا نغلب أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله ﷺ فيما بلغنى لعمار بن ياسر « أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا » فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال مخشى بن حمير يا رسول الله قعد بى اسمى واسم أبى فكان الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشى بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر. وقال قتادة (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) قال فبينما النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال « على بهؤلاء النفر » فدعاهم فقال « قلتم كذا وكذا » فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب . وقال عكرمة فى تفسير هذه الآية كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول اللهم إنى أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت. قال فأصيب يوم اليمامة فما من أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره . وقوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) أى بهذا المقال الذى استهزأتم به (إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة) أى لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم (بأنهم كانوا مجرمين) أى مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة .

فى ثعلبة بن حاطب الأنصارى وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن أبى حاتم من حديث معان بن رفاعة عن على بن يزيد عن أبى عبدالرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية عن أبى أمامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى أنه قال لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يرزقنى مالا ، قال فقال رسول الله ﷺ « ويحك يائعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه » قال ثم قال مرة أخرى فقال « أما ترضى أن تكون مثل نبى الله ؟ فو الذى نفسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت » قال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم ارزق ثعلبة مالا » قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ماسواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهى تنمى كما ينمى الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ « ما فعل ثعلبة ؟ » فقالوا يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال « ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة » وأنزل الله جل ثناؤه (خذ من أموالهم صدقة) الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما « مرا بثعلبة وبفلان ـ رجل من بنى سليم ـ فخذا صدقاتهما » فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ماأدرى ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا مايجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك . فقال بلى فخذوها فان نفسى بذلك طيبة وإنما هى له ، فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال ، أرونى كتابكما فقرأه فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأبى فانطلقا حتى أتيا النبى ﷺ فلما رآهما قال « ياويح ثعلبة » قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى . فأنزل الله عز وجل (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية قال وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال : ويحك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال « إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك » فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله ﷺ « هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى » فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله وموضعى من الأنصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولى عمر رضى الله عنه أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك فقبض ولم يقبلها فلما ولى عثمان رضى الله عنه أتاه فقال : اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة فى خلافة عثمان ، وقوله تعالى (بما أخلفوا الله ماوعدوه) الآية أى أعقبهم النفاق فى قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم كما فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وله شواهد كثيرة والله أعلم . وقوله (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) الآية يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فان الله أعلم بهم من أنفسهم لأنه تعالى علام الغيوب أى يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ماظهر ومابطن

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

وهذا أيضا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم فى جميع الأحوال حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مراء وإن جاء بشىء يسير قالوا إن الله لغنى عن صدقة هذا كما روى البخارى حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو النعمان البصرى حدثنا شعبة عن سليمان عن أبى وائل عن أبى مسعود رضى الله عنه قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل [1] على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشىء كثير فقالوا مرائى وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغنى عن صدقة هذا . فنزلت (الذين يلمزون المطوعين) الآية . وقد رواه مسلم أيضاً فى صحيحه من حديث شعبة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد الجريرى عن أبى السليل قال : وقف علينا رجل فى مجلسنا بالبقيع فقال : حدثنى أبى أو عمى أنه رأى رسول الله ﷺ بالبقيع وهو يقول « من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة » قال فحللت من عمامتى لوثا أو لوثين وأنا أريد أن أتصدق بهما فأدركنى ما يدرك ابن آدم فعقدت على عمامتى فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلا أشد منه سوادا ولا أصغر منه ولا أذم ببعير ساقه لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها فقال يا رسول الله أصدقة ؟ قال « نعم » قال دونك هذه الناقة قال فلمزه رجل فقال هذا يتصدق بهذه فوالله لهى خير منه . قال فسمعها رسول الله ﷺ فقال « كذبت بل هو خير منك ومنها » ثلاث مرات ثم قال « ويل لأصحاب المئين من الإبل » ثلاثا قالوا إلا من يا رسول الله ؟ قال « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا » وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ثم قال « قد أفلح المزهد المجهد » ثلاثا . المزهد فى العيش المجهد فى العبادة وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى رسول الله ﷺ وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء ، وقالوا إن الله ورسوله الغنيان عن هذا الصاع . وقال العوفى عن ابن عباس إن رسول الله خرج إلى الناس يوما فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال يارسول الله هذا صاع من تمربت ليلتى أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره فى الصدقات فسخر منه رجال وقالوا إن الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون بصاعك من شىء ، ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله ﷺ هل بقى أحد من أهل الصدقات ؟ فقال رسول الله ﷺ « لم يبق أحد غيرك » فقال له عبد الرحمن بن عوف فان عندى مائة أوقية من ذهب فى الصدقات فقال له عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أمجنون أنت ؟ قال ليس بى جنون قال أفعلت ما فعلت ؟ قال نعم مالى ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربى وأما أربعة آلاف فلى فقال له رسول الله ﷺ « بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت » ولمزه المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء وهم كاذبون إنما كان به متطوعا فأنزل الله عز وجل عذره وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر فقال تعالى فى كتابه (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات) الآية ، وكذا روى عن مجاهد وغير واحد وقال ابن إسحق كان من المطوعين من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف درهم وعاصم بن عدى أخو بنى العجلان وذلك أن رسول الله ﷺ رغب فى الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف وقام عاصم بن عدى وتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ماهذا إلا رياء وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف الاراشى حليف بنى عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فأفرغه فى الصدقة فتضاحكوا به وقالوا إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا طالوت بن عباد حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « تصدقوا فإنى أريد أن أبعث بعثا » قال فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال يا رسول الله عندى أربعة آلاف ألفين أقرضهما ربى وألفين لعيالى فقال رسول الله ﷺ « بارك الله لك فيما أعطيت

(١) أى نؤاجر أنفسنا فى الحمل ، وفى رواية عنده فى التفسير نتحامل أى يحمل بعضنا لبعض بالأجرة .

فى ثعلبة بن حاطب الأنصارى وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن أبى حاتم من حديث معان بن رفاعة عن على بن يزيد عن أبى عبدالرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية عن أبى أمامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى أنه قال لرسول الله ﷺ : ادع الله أن يرزقنى مالا ، قال فقال رسول الله ﷺ « ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه » قال ثم قال مرة أخرى فقال « أما ترضى أن تكون مثل نبى الله ؟ فو الذى نفسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت » قال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم ارزق ثعلبة مالا » قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهى تنمى كما ينمى الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ « ما فعل ثعلبة ؟ » فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال « ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة » وأنزل الله جل ثناؤه (خذ من أموالهم صدقة) الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما « مرا بثعلبة وبفلان - رجل من بنى سليم - فخذا صدقاتهما » فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدرى ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك . فقال بلى فخذوها فان نفسى بذلك طيبة وإنما هى له ، فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال ، أرونى كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأبى فانطلقا حتى أتيا النبى ﷺ فلما رآهما قال « ياويح ثعلبة » قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى . فأنزل الله عز وجل (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية قال وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال « إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك » فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله ﷺ « هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى » فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله وموضعى من الأنصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولى عمر رضى الله عنه أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك فقبض ولم يقبلها فلما ولى عثمان رضى الله عنه أتاه فقال : اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة فى خلافة عثمان ، وقوله تعالى (بما أخلفوا الله ما وعدوه) الآية أى أعقبهم النفاق فى قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم كما فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وله شواهد كثيرة والله أعلم . وقوله (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) الآية يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فان الله أعلم بهم من أنفسهم لأنه تعالى علام الغيوب أى يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما بطن

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ

ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

وهذا أيضا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم فى جميع الأحوال حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مراء وإن جاء بشىء يسير قالوا إن الله لغنى عن صدقة هذا كما روى البخارى حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو النعمان البصرى حدثنا شعبة عن سليمان عن أبى وائل عن أبى مسعود رضى الله عنه قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل (١) على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشىء كثير فقالوا مرائى وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغنى عن صدقة هذا . فنزلت (الذين يلمزون المطوعين) الآية . وقد رواه مسلم أيضاً فى صحيحه من حديث شعبة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد الجريرى عن أبى السليل قال : وقف علينا رجل فى مجلسنا بالبقيع فقال : حدثنى أبى أو عمى أنه رأى رسول الله ﷺ بالبقيع وهو يقول « من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة » قال فحللت من عمامتى لوثا أو لوثين وأنا أريد أن أتصدق بهما فأدركنى ما يدرك ابن آدم فعقدت على عمامتى . فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلا أشد منه سوادا ولا أصغر منه ولا أذم ببعير ساقه لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها فقال يا رسول الله أصدقة ؟ قال « نعم » قال دونك هذه الناقة قال فلمزه رجل فقال هذا يتصدق بهذه فوالله لهى خير منه . قال فسمعها رسول الله ﷺ فقال « كذبت بل هو خير منك ومنها » ثلاث مرات ثم قال « ويل لأصحاب المئين من الإبل » ثلاثا قالوا إلا من يا رسول الله ؟ قال « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا » وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ثم قال « قد أفلح المزهد المجهد » ثلاثا . المزهد فى العيش المجهد فى العبادة وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى رسول الله ﷺ وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء ، وقالوا إن الله ورسوله الغنيان عن هذا الصاع . وقال العوفى عن ابن عباس إن رسول الله خرج إلى الناس يوما فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتى أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره فى الصدقات فسخر منه رجال وقالوا إن الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون بصاعك من شىء ، ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله ﷺ هل بقى أحد من أهل الصدقات ؟ فقال رسول الله ﷺ « لم يبق أحد غيرك » فقال له عبد الرحمن بن عوف فان عندى مائة أوقية من ذهب فى الصدقات فقال له عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أمجنون أنت ؟ قال ليس بى جنون قال أفعلت ما فعلت ؟ قال نعم مالى ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربى وأما أربعة آلاف فلى فقال له رسول الله ﷺ « بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت » ولمزه المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء وهم كاذبون إنما كان به متطوعا فأنزل الله عز وجل عذره وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر فقال تعالى فى كتابه (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات) الآية ، وكذا روى عن مجاهد وغير واحد وقال ابن إسحق كان من المطوعين من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف درهم وعاصم بن عدى أخو بنى العجلان وذلك أن رسول الله ﷺ رغب فى الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف وقام عاصم بن عدى وتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف الاراشى حليف بنى عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فأفرغه فى الصدقة فتضاحكوا به وقالوا إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا طالوت بن عباد حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « تصدقوا فإنى أريد أن أبعث بعثا » قال فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال يا رسول الله عندى أربعة آلاف ألفين أقرضهما ربى وألفين لعيالى فقال رسول الله ﷺ « بارك الله لك فيما أعطيت

(١) أى نؤاجر أنفسنا فى الحمل ، وفى رواية عنده فى التفسير نتحامل أى يحمل بعضنا لبعض بالأجرة .

وبارك لك فيما أمسكت » وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر فقال يا رسول الله أصبت صاعين من تمر صاع أقرضه لربي وصاع لعيالي قال فلمزه المنافقون وقالوا ما أعطى الذي أعطى ابن عوف إلا رياء وقالوا ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا ؟ فأنزل الله (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم) الآية ثم رواه عن أبي كامل عن أبي عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه مرسلا قال ولم يسنده أحد إلا طالوت ، وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة حدثني خالد ابن يسار عن ابن أبي عقيل عن أبيه قال بت أجر الجرير على ظهري على صاعين من تمر فانقلبت بأحدهما إلى أهلي يتبلغون به وجئت بالآخر أتقرب إلى رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال « انثره في الصدقة » قال فسخر القوم وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فأنزل الله (الذين يلمزون المطوعين) الآيتين ، وكذا رواه الطبراني من حديث زيد بن الحباب به وقال اسم أبي عقيل حباب ويقال عبد الرحمن بن عبدالله بن ثعلبة وقوله (فيسخرون منهم سخر الله منهم) هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين لأن الجزاء من جنس العمل فعاملهم معاملة من سخر منهم انتصارا للمؤمنين في الدنيا وأعد للمنافقين في الآخرة عذابا أليما لأن الجزاء من جنس العمل

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

يخبر تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل إن السبعين إنما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها ، وقيل بل لها مفهوم كما روى العوفي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم » فقال الله من شدة غضبه عليهم (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) الآية . وقال الشعبي لما ثقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه إلى النبي ﷺ فقال إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه فقال له النبي ﷺ « ما اسمك » قال الحباب بن عبد الله قال « بل أنت عبد الله بن عبد الله إن الحباب اسم شيطان » ، فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له : أتصلي عليه ؟ فقال « إن الله قال (إن تستغفر لهم سبعين مرة) ولأستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين » وكذا روى عن عروة بن الزبير ومجاهد وقتادة بن دعامة ورواه ابن جرير بأسانيده

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وفرحوا بقعودهم بعد خروجه (وكرهوا أن يجاهدوا) معه (بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا) أي بعضهم لبعض (لا تنفروا في الحر) وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلهذا قالوا (لا تنفروا في الحر) قال الله تعالى لرسوله ﷺ (قل) لهم (نار جهنم) التي تصيرون إليها بمخالفتكم (أشد حرا) مما فررتم منه من الحر بل أشد حرا من النار كما قال الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نار بني آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال

« فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به ، وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت في البحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لأحد » وهذا أيضا إسناده صحيح ، وقد روى الإمام أبوعيسى الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس الدوري ، وعن يحيي بن أبي بكير عن شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أوقد الله على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم » ثم قال الترمذي لا أعلم أحداً رفعه غير يحيي . كذا قال ، وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه عن إبراهيم بن محمد عن محمد بن الحسين بن مكرم عن عبيد الله بن سعيد عن عمه عن شريك وهو ابن عبدالله النخعي به ، وروى أيضا ابن مردويه من رواية مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (نارا وقودها الناس والحجارة) قال « أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى احمرت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء كالليل لايضيء لهبها » ، وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث تمام بن نجيح وقد اختلف فيه عن الحسن عن أنس رفعه « لو أن شرارة بالمشرق - أي من نار جهنم - لوجد حرها من بالمغرب » وروى الحافظ أبويعلى عن إسحق بن أبي إسرائيل عن أبي عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن محمد بن شبيب عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدن وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه » غريب وقال الأعمش عن أبي إسحق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهنم يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل لايرى أن أحدا من أهل النار أشد عذابا منه وإنه أهونهم عذابا » أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش ، وقال مسلم أيضا حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة حدثنا يحي بن أبي كثير حدثنا زهير بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ قال « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه » وقال الإمام أحمد : حدثنا يحي عن ابن عجلان سمعت أبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن أدنى أهل النار عذابا رجل يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه » وهذا إسناد جيد قوي رجاله على شرط مسلم والله أعلم ، والأحاديث والآثار النبوية في هذا كثيرة ، وقال الله تعالى في كتابه العزيز (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) وقال تعالى (يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) وقال تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) أي لو أنهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر ليتقوا به من حر جهنم الذي هو أضعاف أضعاف هذا ولكنهم كما قال الآخر

* كالمستجير من الرمضاء بالنار *

وقال الآخر

عمرك بالحمية أفنيته * خوفا من البارد والحار
وكان أولى لك أن تتقي * من المعاصي حذر النار

ثم قال تعالى جل جلاله متوعدا هؤلاء المنافقين على صنيعهم هذا (فليضحكوا قليلا) الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا فاذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لاينقطع أبدا ، وكذا قال أبو رزين والحسن وقتادة والربيع بن خثيم وعون العقيلي وزيد بن أسلم ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خداش حدثنا محمد بن جبير عن ابن المبارك عن عمران بن زيد حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء

يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقة فإنهم نقصوا أنفسهم من الأجر لأنهم (لا يصيبهم ظمأ) وهو العطش (ولا نصب) وهو التعب (ولا مخمصة) وهي المجاعة (ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار)أي ينزلون منزلا يرهب عدوهم (ولا ينالون) منه ظفراً وغلبة عليه (إلا كتب لهم) بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرهم وإنما هي ناشئة عن أفعالهم أعمالا صالحة وثوابا جزيلا (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) كقوله (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى : ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي قليلا ولا كثيرا (ولا يقطعون وادياً) أي في السير إلى الأعداء (إلا كتب لهم)ولم يقل ههنا به لأن هذه أفعال صادرة عنهم ولهذا قال (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم ، وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة كما قال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثنا أبو موسى العنزي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني سكن بن المغيرة حدثني الوليد بن أبي هشام عن فرقد بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن حباب السلمي قال خطب رسول الله ﷺ فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، قال ثم حث فقال عثمان علي مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها ، قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان بن عفان عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال فرأيت رسول الله ﷺ قال بيده هكذا يحركها ، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » وقال عبد الله أيضا حدثنا هارون ابن معروف حدثنا ضمرة حدثنا عبد الله بن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال فصبها في حجر النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول « ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم » يرددها مرارا ، وقال قتادة في قوله تعالى (ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم) الآية ما ازداد قوم في سبيل الله بعدا من أهليهم إلا ازدادوا قربا من الله

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

هذا بيان من الله تعالى لما أراد من نفير الأحياء مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فإنه قد ذهبت طائفة من السلف إلى أنه كان يجب النفير على كل مسلم إذا خرج رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى (انفروا خفافا وثقالا) وقال (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) الآية قال فنسخ ذلك بهذه الآية . وقد يقال إن هذا بيان لمراده تعالى من نفير الأحياء كلها وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو فيجتمع لهم الأمران في هذا النفير المعين وبعده ﷺ تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه وإما للجهاد فإنه فرض كفاية على الأحياء وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) يقول ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي ﷺ وحده (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا

إلا بإذنه فإذا رجعت السرايا وقد أنزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا أخرى فذلك قوله (ليتفقهوا في الدين) يقول ليعلموا ما أنزل الله على نبيهم وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم (لعلهم يحذرون) وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ، ومن الخصب ما ينتفعون به ، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يبغون الخير (ليتفقهوا في الدين) وليستمعوا ما في الناس وما أنزل الله بعدهم (ولينذروا قومهم) الناس كلهم إذا رجعوا إليهم (لعلهم يحذرون) وقال قتادة في الآية هذا إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش أمرهم الله أن يغزوا بنبيه صلى الله عليه وسلم وتقيم طائفة مع رسول الله تتفقه في الدين وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم ، وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل الأعذار وكان إذا أقام وأسرى السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا إلا بإذنه وكان الرجل إذا استرى فنزل بعده قرآن وتلاه نبي الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه القاعدين معه فإذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرئونهم ويفقهونهم في الدين وهو قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) يقول إذا أقام رسول الله (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يعني بذلك أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبي الله صلى الله عليه وسلم قاعد ولكن إذا قعد نبي الله فسرت السرايا وقعد معه معظم الناس . وقال علي بن أبي طلحة أيضاً عن ابن عباس في الآية قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) إنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فأنزل الله تعالى يخبر رسوله أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) الآيه وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله ؟ وأخبرنا بما نأمر به عشائرنا إذا قدمنا عليهم قال فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا إذا أتوا قومهم قالوا إن من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرهم قومهم فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة ، وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما) (وما كان لأهل المدينة) الآية قال المنافقون هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ، وقد كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم فأنزل الله عز وجل (وما كان المؤمنون لينفروا كافة)الآية ونزلت (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) وقال الحسن البصري في الآية ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام ، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب ، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال (ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين) وقوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال قتادة للمطيعين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس المسبحين وفي رواية عنه المطيعين المحسنين ، وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى ، وقال شعبة عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب به وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون إلى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها ووافقه مجاهد في ذلك ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا . وقال ابن جرير والأولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاع من المعصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذي قاله هو الصواب لأن الأواب مشتق من الأوب وهو الرجوع يقال آب فلان إذا رجع قال تعالى (إن إلينا إيابهم) وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ، وفي الحديث « أمك وأباك ثم أدناك أدناك » وفي رواية « ثم الأقرب فالأقرب » وفي الحديث « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحي التيمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك ثم قال لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحي التيمي وحميد بن حماد بن الخوار وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وفدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو إذا حديث منكر والأشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم : وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله (ولا تبذر تبذيرا) لما أمر بالانفاق نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطا كما قال في الآية الأخرى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية ثم قال منفرا عن التبذير والسرف (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي أشباههم في ذلك . قال ابن مسعود التبذير الانفاق في غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق مدا في غير حق كان مبذرا . وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال أتى رجل من بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ « تخرج الزكاة من مالك إن كان فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتعرف حق السائل والجار والمسكين » فقال يارسول الله أقلل لي ؟ قال (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً) فقال حسبي يارسول الله إذا أديت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ

« نعم إذا أديتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها ، وإثمها على من بدلها » وقوله (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال (وكان الشيطان لربه كفوراً) أي جحودا لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته ، وقوله (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك) الآية أي إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقة (فقل لهم قولا ميسوراً) أي عدهم وعدا بسهولة ولين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله (فقل لهم قولا ميسوراً) بالوعد : مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾

يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذاما للبخل ناهياً عن السرف (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أي لا تكن بخيلا منوعا لا تعطي أحدا شيئاً كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أي نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله (ولا تبسطها كل البسط) أي ولا تسرف في الانفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا وهذا من باب اللف والنشر أي فتقعد إن بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا فانها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال كما قال (فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) أي كليل عن أن يرى عيبا هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم ، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » هذا لفظ البخاري في الزكاة وفي الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول الله ﷺ « انفقي هكذا وهكذا وهكذا ولا توعي فيوعي الله عليك ولا توكي فيوكي الله عليك » وفي لفظ « ولا تحصي فيحصي الله عليك » وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قال لي أنفق أنفق عليك » وفي الصحيحين من طريق معاوية ابن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » وروى مسلم عن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا أنفق إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله » وفي حديث أبي كثير عن عبد الله بن عمر مرفوعا « إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا » وروى البيهقي من طريق سعدان بن نصر عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحي سبعين شيطانا »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » وقوله (إن ربك يبسط الرزق

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفى نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفى رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال (ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين) وقوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال قتادة للمطيعين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس المسبحين وفى رواية عنه المطيعين المحسنين ، وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى ، وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثورى ومعمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب به وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون إلى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير فى الآية هو الذى إذا ذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر الله منها ووافقه مجاهد فى ذلك ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير فى قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لى ما أصبت فى مجلسى هذا . وقال ابن جرير والأولى فى ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاع من المعصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذى قاله هو الصواب لأن الأواب مشتق من الأوب وهو الرجوع يقال آب فلان إذا رجع قال تعالى (إن إلينا إيابهم) وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »

﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴾

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ، وفى الحديث « أمك وأباك ثم أدناك أدناك » وفى رواية « ثم الأقرب فالأقرب » وفى الحديث « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أجله فليصل رحمه » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحيى التيمى حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد قال لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك ثم قال لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمى وحميد بن حماد بن الخوار وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وفدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو إذا حديث منكر والأشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم : وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل فى سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله (ولا تبذر تبذيرا) لما أمر بالانفاق نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطا كما قال فى الآية الأخرى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية ثم قال منفرا عن التبذير والسرف (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أى أشباههم فى ذلك .قال ابن مسعود التبذير الانفاق فى غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أنفق إنسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق مدا فى غير حق كان مبذرا . وقال قتادة: التبذير النفقة فى معصية الله تعالى وفى غير الحق والفساد . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال أتى رجل من بنى تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرنى كيف أنفق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ « تخرج الزكاة من مالك إن كان فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتعرف حق السائل والجار والمسكين » فقال يارسول الله أقلل لى ؟ قال (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً) فقال حسبى يا رسول الله إذا أديت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ

« نعم إذا أديتها إلى رسولى فقد برئت منها ولك أجرها ، وإثمها على من بدلها » وقوله (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أى فى التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال (وكان الشيطان لربه كفوراً) أى جحودا لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته ، وقوله (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك) الآية أى إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شىء وأعرضت عنهم لفقد النفقة (فقل لهم قولا ميسوراً) أى عدهم وعدا بسهولة ولين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله (فقل لهم قولا ميسوراً) بالوعد : مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾

يقول تعالى آمراً بالاقتصاد فى العيش ذاما للبخل ناهياً عن السرف (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أى لا تكن بخيلا منوعا لا تعطى أحدا شيئاً كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أى نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله (ولا تبسطها كل البسط) أى ولا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا وهذا من باب اللف والنشر أى فتقعد إن بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبى سلمى فى المعلقة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شىء تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التى قد عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا فانها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال كما قال (فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) أى كليل عن أن يرى عيبا هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم ، وقد جاء فى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أووفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » هذا لفظ البخارى فى الزكاة وفى الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبى بكر قالت : قال رسول الله ﷺ « انفقى هكذا وهكذا وهكذا ولا توعى فيوعى الله عليك ولا توكى فيوكى الله عليك » وفى لفظ « ولا تحصى فيحصى الله عليك » وفى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قال لى أنفق أنفق عليك » وفى الصحيحين من طريق معاوية ابن أبى مزرد عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » وروى مسلم عن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا أنفق إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله » وفى حديث أبى كثير عن عبد الله بن عمر مرفوعا « إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا » وروى البيهقى من طريق سعدان بن نصر عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحيي سبعين شيطانا »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » وقوله (إن ربك يبسط الرزق

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال (ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين) وقوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال قتادة للمطيعين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس المسبحين وفى رواية عنه المطيعين المحسنين ، وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى ، وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثورى ومعمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب به وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون إلى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير فى الآية هو الذى إذا ذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر الله منها ووافقه مجاهد فى ذلك ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير فى قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفرلى ما أصبت فى مجلسى هذا . وقال ابن جرير والأولى فى ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاع من المعصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذى قاله هو الصواب لأن الأواب مشتق من الأوب وهو الرجوع يقال آب فلان إذا رجع قال تعالى (إن إلينا إيابهم) وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴾

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ، وفى الحديث « أمك وأباك ثم أدناك أدناك » وفى رواية « ثم الأقرب فالأقرب » وفى الحديث « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أجله فليصل رحمه » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحيى التيمى حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد قال لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك ثم قال لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمى وحميد بن حماد بن الخوار وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وفدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو إذا حديث منكر والأشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم : وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل فى سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله (ولا تبذر تبذيرا) لما أمر بالانفاق نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطا كما قال فى الآية الأخرى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية ثم قال منفرا عن التبذير والسرف (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أى أشباههم فى ذلك .قال ابن مسعود التبذير الانفاق فى غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أنفق إنسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق مدا فى غير حق كان مبذرا . وقال قتادة: التبذير النفقة فى معصية الله تعالى وفى غير الحق والفساد . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال أتى رجل من بنى تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرنى كيف أنفق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ « تخرج الزكاة من مالك إن كان فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتعرف حق السائل والجار والمسكين » فقال يارسول الله أقلل لى ؟ قال (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً) فقال حسبى يارسول الله إذا أديت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ

« نعم إذا أديتها إلى رسولى فقد برئت منها ولك أجرها ، وإثمها على من بدلها » وقوله (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أى فى التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال (وكان الشيطان لربه كفوراً) أى جحودا لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته ، وقوله (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك) الآية أى إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شىء وأعرضت عنهم لفقد النفقة (فقل لهم قولا ميسوراً) أى عدهم وعدا بسهولة ولين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله (فقل لهم قولا ميسوراً) بالوعد : مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾

يقول تعالى آمراً بالاقتصاد فى العيش ذاما للبخل ناهياً عن السرف (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أى لا تكن بخيلا منوعا لا تعطى أحدا شيئاً كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أى نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله (ولا تبسطها كل البسط) أى ولا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا وهذا من باب اللف والنشر أى فتقعد إن بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبى سلمى فى المعلقة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شىء تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التى قد عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا فانها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال كما قال (فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) أى كليل عن أن يرى عيبا هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم ، وقد جاء فى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » هذا لفظ البخارى فى الزكاة وفى الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبى بكر قالت : قال رسول الله ﷺ « انفقى هكذا وهكذا وهكذا ولا توعى فيوعى الله عليك ولا توكى فيوكى الله عليك » وفى لفظ « ولا تحصى فيحصى الله عليك » وفى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قال لى أنفق أنفق عليك » وفى الصحيحين من طريق معاوية ابن أبى مزرد عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » وروى مسلم عن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا أنفق إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله » وفى حديث أبى كثير عن عبد الله بن عمر مرفوعا « إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا » وروى البيهقى من طريق سعدان بن نصر عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحيي سبعين شيطانا »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » وقوله (إن ربك يبسط الرزق

يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم فى حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا
ريق منهم فى حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره . وقوله تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) هى لام العاقبة
لد بعضهم ولام التعليل عند آخرين ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله (فسوف تعلمون) قال
ة . والله لو توعدنى حارس درب لخفت منه فكيف والمتوعد ههنا هو الذى يقول للشىء كن فيكون ثم قال
ا منكراً على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان (أم أنزلنا عليهم سلطانا)أى
حجة (فهو يتكلم) أى ينطق (بما كانوا به يشركون) وهذا استفهام إنكار أى لم يكن لهم شىء من ذلك،ثم قال تعالى
(وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) هذا إنكار على الإنسان من
حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه فان الإنسان إذا أصابته نعمة بطر . وقال (ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور)
أى يفرح فى نفسه ويفخر على غيره وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . قال الله تعالى
(إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أى صبروا فى الضراء وعملوا الصالحات فى الرخاء كما ثبت فى الصحيح « عجباً
للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا
له » وقوله تعالى (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله
فيوسع على قوم ويضيق على آخرين (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى آمراً بإعطاء (ذى القربى حقه) أى من البر والصلة (والمسكين) وهو الذى لا شىء له ينفق عليه أوله
شىء لا يقوم بكفايته (وابن السبيل) وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه فى سفره (ذلك خير للذين يريدون
وجه الله) أى النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى (وأولئك هم المفلحون) أى فى الدنيا والآخرة.ثم قال تعالى
(وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله) أى من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى
لهم فهذا لا ثواب له عند الله ، بهذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي،وهذا
الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، قاله الضحاك واستدل
بقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط العطاء تريد أكثر منه ؛ وقال ابن عباس : الربا رباءان ، فربا لا يصح :
يعنى ربا البيع ؛ وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها ، أضعافها ثم تلا هذه الآية (وما آتيتم من ربا ليربو
فى أموال الناس فلا يربو عند الله) وإنما الثواب عند الله فى الزكاة ولهذا قال تعالى (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه
الله فأولئك هم المضعفون) أى الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء كما جاء فى الصحيح « وما تصدق أحد بعدل تمرة
من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تصير التمرة أعظم
من أحد » وقوله عزوجل (الله الذى خلقكم ثم رزقكم) أى هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه
عريانا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والأملاك
والمكاسب كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبة وسواء ابنى خالد قالا
دخلنا على النبى ﷺ وهو يصلح شيئا فأعناه فقال « لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رءوسكما فإن الإنسان

تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل » وقوله تعالى (ثم يميتكم) أى بعد هذه الحياة (ثم يحييكم) أى
يوم القيامة ، وقوله تعالى (هل من شركائكم) أى الذين تعبدونهم من دون الله (من يفعل من ذلكم من شىء ؟) أى
لا يقدر أحد منهم على فعل شىء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والاماتة
ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم
وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفواً أحد

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾

قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدى وغيرهم المراد بالبر ههنا الفيافى وبالبحر الأمصار والقرى وفى رواية
عن ابن عباس وعكرمة : البحر الأمصار والقرى ما كان منها على جانب نهر ، وقال آخرون بل المراد بالبر هو البر
المعروف وبالبحر هو البحر المعروف . وقال زيد بن رفيع (ظهر الفساد) يعنى انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط
وعن البحر يعنى دوابه . رواه ابن أبى حاتم وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن المقرى عن سفيان عن حميد بن قيس
الأعرج عن مجاهد (ظهر الفساد فى البر والبحر) قال فساد البر قتل ابن آدم وفساد البحر أخذ السفينة غصبا ، وقال عطاء
الخراسانى المراد بالبر ما فيه من المدائن والقرى وبالبحر جزائره . والقول الأول أظهر وعليه الأكثرون ، ويؤيده
ما قاله محمد بن إسحاق فى السيرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح ملك أيلة وكتب إليه ببحره يعنى ببلده
ومعنى قوله تعالى (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) أى بان النقص فى الزروع والثمار بسبب
المعاصى . وقال أبو العالية . من عصى الله فى الأرض فقد أفسد فى الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ولهذا
جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود « لحد يقام فى الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا » والسبب فى هذا
أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطى المحرمات وإذا تركت المعاصى كان سببا فى
حصول البركات من السماء والأرض . ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة
فى ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف فإذا أهلك الله
فى زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج قيل للأرض أخرجى بركتك فيأكل من الرمانة الفئام من الناس
ويستظلون بقحفها ، ويكفى لبن اللقحة الجماعة من الناس وماذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ فكلما أقيم العدل
كثرت البركات والخير . ولهذا ثبت فى الصحيحين أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب
وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا عوف عن أبى قحذم قال وجد رجل فى زمان زياد وابن زياد
صرة فيها حب يعنى من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا نبت فى زمان كان يعمل فيه بالعدل ، وروى مالك عن زيد
ابن أسلم أن المراد بالفساد ههنا الشرك وفيه نظر وقوله تعالى (ليذيقهم بعض الذى عملوا) الآية أى يبتليهم بنقص
الأموال والأنفس والثمرات اختبارا منه لهم ومجازاة على صنيعهم (لعلهم يرجعون) أى عن المعاصى كما قال تعالى (وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) ثم قال تعالى (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل)أى من
قبلكم (كان أكثرهم مشركين) أى فانظروا ما حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ * مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ

ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمه الأولى ، أى أصعبه فى أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها (والخاشعين والخاشعات) الخشوع: السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما فى الحديث « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » (والمتصدقين والمتصدقات) الصدقة هى الاحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانا إلى خلقه وقد ثبت فى الصحيحين « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وفى الحديث الآخر « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » والأحاديث فى الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته (والصائمين والصائمات) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أى يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعا وشرعا كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل فى قوله تعالى (والصائمين والصائمات) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ناسب أن يذكر بعده (والحافظين فروجهم والحافظات) أى عن المحارم والمآثم إلا عن المباح كما قال عز وجل (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن على بن الأقمر عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » قال قلت يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله تعالى ؟ قال « لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه » وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فأتى على جمدان فقال « هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون » قالوا وما المفردون ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » ثم قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة قال إنه بلغنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من تعاطى الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلا سأله فقال أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله تعالى ذكراً » قال فأى الصائمين أكثر أجراً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله عز وجل ذكرا » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة . كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله ذكراً » فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل » . وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث

الواردة فى كثرة الذكر عند قوله تعالى فى هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية إن شاء الله تعالى ، وقوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أى أن الله تعالى قد أعد لهم أى هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى فانكحيه » قالت يا رسول الله أؤامر فى نفسى ؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) الآية قالت قد رضيته لى يا رسول الله منكحا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت إذا لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسى وقال ابن لهيعة عن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضى الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان أنها نزلت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها حين خطبها رسول الله صلى عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فامتنعت ثم أجابت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعنى بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه يعنى والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هى وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال فذاك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال خطب النبى ﷺ على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى أستأمر أمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فنعم إذا » قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية فى سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه . قال فكأنها جلت عن أبويها وقالا صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضيته فقد رضيناه قال صلى الله عليه وسلم « فانى قد رضيته » قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضى الله عنه فلقد رأيتها وإنها لمن انفق بيت بالمدينة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوى عن أبى برزة الأسلمى قال إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتى لا تدخلن عليكن جليبيبا فانه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار « زوجنى ابنتك » قال نعم وكرامة يا رسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم « إنى لست أريدها لنفسى » قال فلمن يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لجليبيب » فقال يا رسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس

ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أى أصعبه فى أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها (والخاشعين والخاشعات) الخشوع: السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما فى الحديث « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك »(والمتصدقين والمتصدقات)الصدقة هى الاحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانا إلى خلقه وقد ثبت فى الصحيحين « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وفى الحديث الآخر « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار» والأحاديث فى الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته (والصائمين والصائمات) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أى يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعا وشرعا كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل فى قوله تعالى (والصائمين والصائمات) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ناسب أن يذكر بعده (والحافظين فروجهم والحافظات) أى عن المحارم والمآثم إلا عن المباح كما قال عز وجل (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن على بن الأقمر عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » قال قلت يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله تعالى ؟ قال « لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه» وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فأتى على جمدان فقال « هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون » قالوا وما المفردون ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » ثم قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة قال إنه بلغنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من تعاطى الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلا سأله فقال أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله تعالى ذكراً » قال فأى الصائمين أكثر أجراً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله عز وجل ذكرا » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة . كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله ذكراً » فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل » . وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث

الواردة فى كثرة الذكر عند قوله تعالى فى هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية إن شاء الله تعالى ، وقوله تعالى(أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أى أن الله تعالى قد أعد لهم أى هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى فانكحيه » قالت يا رسول الله أؤامر فى نفسى؟ فبينما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) الآية قالت قد رضيته لى يا رسول الله منكحا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت إذا لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسى وقال ابن لهيعة عن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضى الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان أنها نزلت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها حين خطبها رسول الله صلى عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فامتنعت ثم أجابت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعنى بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه يعنى والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هى وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال فذاك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال خطب النبى ﷺ على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى أستأمر أمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فنعم إذا » قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية فى سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبويها وقالا صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضيته فقد رضيناه قال صلى الله عليه وسلم «فانى قد رضيته » قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضى الله عنه فلقد رأيتها وإنها لمن انفق بيت بالمدينة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوى عن أبى برزة الأسلمى قال إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتى لا تدخلن عليكن جليبيبا فانه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار « زوجنى ابنتك » قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم « إنى لست أريدها لنفسى » قال فلمن يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لجليبيب» فقال يا رسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس

وقداختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيدوله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى فى الخليقة بالعدل فيقول (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) وقد اختلف النحاة فى قوله (ألقيا) فقال بعضهم هى لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية كما روى عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه ومما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وإن تتركانى أحم عرضا ممنعا

وقيل بل هى نون التأكيد سهلت إلى الالف وهذا بعيد لأن هذا إنما يكون فى الوقف والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب فلما أدى الشهيد عليه أمرهما الله تعالى بالقائه فى نار جهنم وبئس المصير (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) أى كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك (مناع للخير) أى لا يؤدى ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة (معتد) أى فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد . وقال قتادة معتد فى منطقه وسيره وأمره (مريب) أى شاك فى أمره مريب لمن نظر فى أمره (الذى جعل مع الله إلها آخر) أى أشرك بالله فعبد معه غيره (فألقياه فى العذاب الشديد) وقد تقدم فى الحديث أن عنقا من النار يبرز للخلائق فينادى بصوت يسمع الخلائق إنى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ؟ ومن جعل مع الله إلها آخر . وبالمصورين ثم تنطوى عليهم قال الإمام أحمد حدثنا معاوية هو ابن هشام حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتنطوى عليهم فتقذفهم فى غمرات جهنم » (قال قرينه) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم هو الشيطان الذى وكل به (ربنا ما أطغيته) أى يقول عن الإنسان الذى قد وافى القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانه فيقول (ربنا ما أطغيته) أى ما أضللته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى بل كان هو فى نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى فى الآية الأخرى فى قوله (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) . وقوله تبارك وتعالى (قال لا تختصموا لدى) يقول الرب عز وجل للانسى وقرينه من الجن وذلك أنهما يختصمان بين يدى الحق تعالى فيقول الانسى يارب هذا أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى ويقول الشيطان (ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن منهج الحق فيقول الرب عز وجل لهما (لا تختصموا لدى) أى عندى (وقد قدمت إليكم بالوعيد) أى قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين (ما يبدل القول لدى) قال مجاهد يعنى قد قضيت ما أنا قاض (وما أنا بظلام للعبيد) أى لست أعذب أحدا بذنب أحد ولكن لا أعذب أحدا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت ؟ وذلك لأنه تبارك وعدها أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهى تقول هل من مزيد : أى هل بقى شىء تزيدونى؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث . قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله بن أبى الأسود حدثنا حرمى بن عمارة حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يلقى فى النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول : قط قط » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم الله تعالى فى فضول الجنة » ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه . ورواه أبان العطار وسليمان التيمى عن قتادة بنحوه ﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميرى سعيد بن يحيى بن مهدى حدثنا عوف عن محمد عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان : « يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط » . ورواه أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به ﴿ طريق أخرى ﴾ قال البخارى وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها خلقا آخر »

﴿ حديث آخر ﴾ قال مسلم فى صحيحه : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجت الجنة والنار فقالت النار فى الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة فى ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى بينهما فقال للجنة إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها » انفرد به مسلم دون البخارى من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم : وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أبى سعيد رضى الله عنه بأبسط من هذا السياق فقال حدثنا حسن وروح قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « افتخرت الجنة والنار فقالت النار يارب يدخلنى الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف ، وقالت الجنة أى رب يدخلنى الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى للنار أنت عذابى أصيب بك من أشاء ، وقال للجنة أنت رحمتى وسعت كل شىء ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى فى النار أهلها فتقول هل من مزيد ، قال ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل مزيد حتى يأتيها عز وجل فيضع قدمه عليها فتنزوى وتقول قدنى قدنى ، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء الله تعالى أن يبقى فينشئ الله سبحانه وتعالى لها خلقا ما يشاء » ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار بن القاسم عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « يعرفنى الله تعالى نفسه يوم القيامة فأسجد سجدة يرضى بها عنى ثم أمدحه مدحة يرضى بها عنى ثم يؤذن لى فى الكلام ثم تمر أمتى على الصراط مضروب بين ظهرانى جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها يحبو وهى الأعمال ، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وأنا على الحوض » قيل وما الحوض يارسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إن شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج . وأطيب ريحا من المسك ، وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبدا ولا يصرف فيروى أبدا » وهذا القول هو اختيار ابن جرير . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الحمانى عن نصر الجزار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قال ما امتلأت قال تقول وهل فى من مكان يزاد فى ، وكذا رواه الحكم بن أبان عن عكرمة (وتقول هل من مزيد) وهل فى مدخل واحد قد امتلأت قال الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبى مريم أنه سمع مجاهدا يقول لا يزال يقذف فيها حتى تقول قد امتلأت فتقول هل فى مزيد ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

واليقين والإيمان (وإن الله بكم لرؤوف رحيم) أى فى انزاله الكتب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما أمرهم أولا بالإيمان والانفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضا على الإنفاق فقال (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض ؟) أى أنفقوا ولاتخشوا فقرا وإقلالا فان الذى أنفقتم فى سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدها وعنده خزائنهما وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذى العرش اقلالا وعلم أن الله سيخلفه عليه وقوله تعالى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى لايستوى هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فانه ظهر الإسلام ظهورا عظيما ودخل الناس فى دين الله أفواجا . ولهذا قال تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبى وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال « دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أومثل الجبال ذهبا مابلغتم أعمالهم » ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما فى بنى جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك والذى فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وروى ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » فقلنا من هم يارسول الله أقريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن هم أرق افئدة والين قلوبا » فقلنا أهم خير منا يارسول الله ؟ قال : « لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ماأدرك مد أحدكم ولا نصيفه إلا أن هذا فضل مابيننا وبين الناس (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذى فى الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال حدثنى ابن البرقى حدثنا ابن أبى مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنى زيد بن أسلم عن أبى سعيد التمار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » قلنا من هم يارسول الله، قريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوبا » وأشار بيده إلى اليمن فقال « هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية » فقلنا يارسول الله هم خير منا ؟ قال : « والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ماأدى مد أحدكم ولا نصيفه » ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال « ألا إن هذا فضل مابيننا وبين الناس لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فان كان ذلك محفوظا كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارا عما بعده كما فى قوله تعالى فى سورة المزمل وهى مكية من أوائل مانزل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية فهى بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى المنفقين قبل الفتح

وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت فى تفاضل الجزاء كما قال تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) وهكذا الحديث الذى فى الصحيح « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر فيتوهم عندهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون خبير) أى فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وانفاقه فى حال الجهد والقلة والضيق ، وفى الحديث « سبق درهم مائة ألف » ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضى الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها . وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنا عبد الله ابن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن إسحق بن أيوب أخبرنا محمد بن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيبانى حدثنا أبو إسحق الفزارى حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن على عن ابن عمر قال كنت عند النبى ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال ؟ فقال « أنفق ماله على قبل الفتح » قال فان الله يقول : اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه : أسخط على ربى عز وجل ؟ إنى عن ربى راض . هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) قال عمر بن الخطاب هو الانفاق فى سبيل الله ، وقيل هو النفقة على العيال ، والصحيح أنه أعم من ذلك فكل من أنفق فى سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل فى عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) كما قال فى الآية الأخرى (أضعافا كثيرة وله أجر كريم) أى جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة

قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) قال أبو الدحداح الأنصارى يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال « نعم يا أبا الدحداح » قال أرنى يدك يارسول الله قال فناوله يده قال فانى قد أقرضت ربى حائطى وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل ، وفى رواية أنها قالت له ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها وإن رسول الله ﷺ قال « كم من عذق رداح فى الجنة لأبى الدحداح » وفى لفظ « رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبى الدحداح فى الجنة »

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ

عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لايحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد الليثي به وحسنه الترمذي. وقد روى عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعني في مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أي انهضوا للقتال وقال قتادة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أي إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل إذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا إذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه، عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا انهم إذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي لاتعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو اذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصا في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لايضيع ذلك له بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لايستحقه ، قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص ، فقال عمر رضي الله عنه أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به ، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وماورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فان لم تجدوا) أي إلا من عجز عن ذلك لفقره (فإن الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها . ثم قال تعالى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال علي رضي الله عنه : آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم

الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الآية . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأنماري عن علي رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « ماترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقون قال « نصف دينار » قال لايطيقون قال « ماترى ؟ » قال شعيرة فقال له النبي ﷺ « إنك لزهيد » قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال علي : في خفف الله عن هذه الأمة . ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الأشجعي عن سفيان الثوري عن عثمان ابن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأنماري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إلى آخرها قال لي النبي ﷺ « ما ترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم به . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة - إلى - فان الله غفور رحيم) كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) نسختها الآية التي بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) إلى آخرها . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إنها منسوخة ماكانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال علي ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۞ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لامعهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن ثم قال تعالى (ماهم منكم ولا منهم) أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى

عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد الليثي به وحسنه الترمذي. وقد روى عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعني في مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أي انهضوا للقتال وقال قتادة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أي إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل إذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا إذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه، عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا انهم إذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو اذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصا في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه ، قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص ، فقال عمر رضي الله عنه أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به ، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة

﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فان لم تجدوا) أي إلا من عجز عن ذلك لفقره (فإن الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها . ثم قال تعالى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال علي رضي الله عنه : آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم

الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الآية . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأنماري عن علي رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « ماترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقون قال « نصف دينار » قال لا يطيقون قال « ماترى ؟ » قال شعيرة فقال له النبي ﷺ « إنك لزهيد » قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال علي : في خفف الله عن هذه الأمة . ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الأشجعي عن سفيان الثوري عن عثمان ابن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأنماري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إلى آخرها قال لي النبي ﷺ « ما ترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم به . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ـ إلى ـ فان الله غفور رحيم) كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) نسختها الآية التي بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) إلى آخرها . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال علي ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن ثم قال تعالى (ماهم منكم ولا منهم) أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى

حتى تمضي فعلت قال « نعم » قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت ياعبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال : ماهو إلا مارأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله فهذه التي بلغت بك وهي التي لاتطاق، ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس فالله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) يعني مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك » قالوا وماذاك يارسول الله ؟ قال « هم قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » فقالوا نعم يارسول الله . وقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل » وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) وقوله (وآتى المال على حبه) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ماتصدقوا به وقد لايكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أبقيت لأهلك ؟ » فقال رضي الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله ، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم . وقال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله » فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدخرية شيئا فقالت والله ما عندي إلا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفيء السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لقد عجب الله عز وجل ـ أوضحك ـ من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح

قال أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد باخراجه مسلم فرواه عن القعنبي عن داود بن قيس به .

وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال جاء رجل إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد الله وماذاك ؟ قال سمعت الله يقول (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل. وقال سفيان الثوري عن طارق ابن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول اللهم قني شح نفسي . لا يزيد على ذلك فقلت له فقال إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه . رواه ابن جرير . وقال ابن جرير حدثني محمد بن إسحق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة . وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال في آية براءة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) أي قائلين (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي بغضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) الآية وقال إسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم . سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » رواه البغوي ، وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن الزهري قال : قال عمر رضي الله عنه (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) قال الزهري : قال عمر رضي الله عنه : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عرينة وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ـ وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ـ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ـ والذين جاءوا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق . قال أيوب ـ أو قال حظ ـ إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع . وقال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة

أنه قال « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » وفى لفظ « ما داوم عليه صاحبه » قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا داوم عليه ، وفى لفظ أثبته ، وقال قتادة فى قوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فانها خلق للمؤمنين حسن

وقوله تعالى (والذين فى أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم) أى فى أموالهم نصيب مقرر لذوى الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الذاريات . وقوله تعالى (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجوا الثواب ويخاف العقاب. ولهذا قال تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون وجلون (إن عذاب ربهم غير مأمون) أى لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) أى يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أى من الإماء (فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقد تقدم تفسير هذا فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أى إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا ، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد فى الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى رواية « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر » وقوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه)

ثم قال تعالى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) سواء ولهذا قال هناك (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال ههنا (أولئك فى جنات مكرمون) أى مكرمون بأنواع الملاذ والمسار

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الكفار الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه ، شاردون يمينا وشمالا فرقا فرقا ، وشيعا شيعا ، كما قال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة) الآية وهذه مثلها فانه قال تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) أى فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أى مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصرى مهطعين أى منطلقين (عن اليمين وعن الشمال عزين) واحدها عزة أى متفرقين وهو حال من مهطعين أى فى حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفى عن ابن عباس (فما للذين كفروا قبلك

مهطعين قال قبلك ينظرون (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن فى قوله (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى متفرقين يأخذون يمينا وشمالا يقولون: ما قال هذا الرجل ؟ وقال قتادة (مهطعين) عامدين (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى فرقا حول النبي ﷺ لا يرغبون فى كتاب الله ولا فى نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الثورى وشعبة وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحي القطان وأبو معاوية كلهم عن الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال « مالى أراكم عزين ؟ » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن جرير من حديث الأعمش به وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق حلق فقال « مالى أراكم عزين؟ » وهذا إسناده جيد ولم أره فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه

وقوله تعالى (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا) أى أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا بل مأواهم جهنم . ثم قال تعالى مقررا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذى أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبداءة التى الاعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى (إنا خلقناهم مما يعلمون) أى من المنى الضعيف كما قال تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين) وقال (فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر) ثم قال تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) أى الذى خلق السموات والأرض وجعل مشرقا ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب فى مغاربها . وتقرير الكلام ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ، ولهذا أتى بلا فى ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفى وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد فى نفى يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى؟ بلى إنه على كل شىء قدير) وقال تعالى فى الآية الأخرى (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال ههنا (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أى يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فان قدرته صالحة لذلك (وما نحن بمسبوقين) أى بعاجزين كما قال تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه) وقال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) واختار ابن جرير (على أن نبدل خيرا منهم) أى أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم ، ثم قال تعالى (فذرهم) أى يا محمد (يخوضوا ويلعبوا) أى دعهم فى تكذيبهم وكفرهم وعنادهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) أى يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إلى علم يسعون ، وقال أبو العالية ويحي بن أبى كثير إلى غاية يسعون إليها ، وقد قرأ الجمهور إلى نصب بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصوب ، وقرأ الحسن البصرى نصب بضم النون والصاد وهو الصنم أى كأنهم فى إسراعهم إلى الموقف كما كانوا فى الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون يبتدرون أيهم

إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أى واديا ولا أمتا أى رابية ومعناه لا شىء ينخفض ولا شىء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) أى بأعمالكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والثورى (أخذا وبيلا) أى شديدا أى فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد، وقوله تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم، وعلى الثانى كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه، وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم، ومعنى قوله (يوما يجعل الولدان شيبا) أى من شدة أهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. قال الطبرانى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ (يوما يجعل الولدان شيبا) قال «ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار، قال من كم يا رب؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد» فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك فى وجوههم «إن بنى آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففيهم وفى أشباههم جنة لكم» هذا حديث غريب وقد تقدم فى أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث. وقوله تعالى (السماء منفطر به) قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى، وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوى لأنه لم يجر له ذكر ههنا، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أى كان وعد هذا اليوم مفعولا أى واقعا لا محالة وكائنا لا محيد عنه

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

يقول تعالى (إن هذه) أى السورة (تذكرة) أى يتذكر بها أولو الألباب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيده فى السورة الأخرى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) أى تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) أى تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا (علم أن لن تحصوه) أى الفرض الذى أوجبه عليكم (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) أى من غير تحديد بوقت أى ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما

قال فى سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك (ولا تخافت بها) وقد استدل أصحاب الإمام أبى حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهى قوله (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة فى الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية أجزأه واعتضدوا بحديث المسىء صلاته الذى فى الصحيحين «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن» وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو فى الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج فهى خداج فهى خداج غير تمام» وفى صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة مرفوعا «لا تجزىء صلاة من لم يقرأ بأم القرآن». وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله فى المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم فى حقهم من الغزو فى سبيل الله، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهى من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه) أى قوموا بما تيسر عليكم منه. قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول فى رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلى المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبد الصالح (وإنه لذو علم لما علمناه) (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشىء منه فى الليل ولهذا جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال «ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه» فقيل معناه نام عن المكتوبة، وقيل عن قيام الليل: وفى السنن «أوتروا يا أهل القرآن» وفى الحديث الآخر «من لم يوتر فليس منا» وأغرب من هذا ما حكى عن أبى بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان فالله أعلم. وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الحدرد حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدى حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم (فاقرءوا ما تيسر منه) قال «مائة آية» وهذا حديث غريب جدا لم أره إلا فى معجم الطبرانى رحمه الله تعالى: وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدل لمن قال أن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذى كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل، واختلفوا فى المدة التى بينهما على أقوال كما تقدم، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل «خمس صلوات فى اليوم والليلة» قال هل على غيرها؟ قال «لا إلا أن تطوع» وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعنى من الصدقات فان الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) أى جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم فى الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟» قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال «اعلموا ما تقولون» قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله؟ قال «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر» ورواه البخارى من حديث حفص بن غياث والنسائى من طريق أبى معاوية كلاهما عن الأعمش به، ثم قال تعالى (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أى أكثروا من ذكره واستغفاره فى أموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره. آخر تفسير سورة المزمل ولله الحمد والمنة.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب والحريق فى نار جهنم كما قال تعالى (إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون * فى الحميم ثم فى النار يسجرون) ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) وقد علم ما فى الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة فى الجنة . قال الحسن: برد الكافور فى طيب الزنجبيل ولهذا قال (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) أى هذا الذى مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز ، قال بعضهم هذا الشراب فى طيبه كالكافور ، وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا بيشرب حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقوله تعالى (يفجرونها تفجيراً) أى يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، والتفجير هو الانباع كما قال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) وقال (وفجرنا خلالهما نهراً) . وقال مجاهد (يفجرونها تفجيراً) يقودونها حيث شاءوا وكذا قال عكرمة وقتادة، وقال الثوالى يصرفونها حيث شاءوا ، وقوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أى يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر . قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلى عن القاسم بن مالك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخارى من حديث مالك . ويتركون المحرمات التى نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذى شره مستطير أى منتشر عام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس: فاشياً ، وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، قال ابن جرير : ومنه قولهم: استطار الصدع فى الزجاجة واستطال ، ومنه قول الأعشى :

فبانت وقد أسأت فى الفؤا د صدعا على نأيها مستطيرا

يعنى ممتدا فاشيا . وقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أى ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى (وآتى المال على حبه) وكقوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وروى البيهقى من طريق الأعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعنى امرأته فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفية إلى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به وفى الصحيح « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » أى فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس كان أسراؤهم

يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك ، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء فى غير ما حديث حتى انه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد هو المحبوس أى يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال (إنما نطعمكم لوجه الله) أى رجاء ثواب الله ورضاه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند الناس . قال مجاهد وسعيد ابن جبير أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب فى ذلك راغب (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أى إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه فى اليوم العبوس القمطرير . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه فى قوله (يوما عبوسا قمطريرا) قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين (قمطريرا) قال يقبض الوجه بالبسور ، وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقليص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضى الله عنه قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا وذلك أشد الأيام وأطولها فى البلاء والشدة ومنه قول بعضهم

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا ؟ عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) وهذا من باب التجانس البليغ (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى آمنهم مما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أى فى وجوههم (وسرورا) أى فى قلوبهم ، قاله الحسن البصرى وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة) وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر ، وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله ﷺ مسرورا تبرق أسارير وجهه . الحديث وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا أى منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة هشام بن سليمان الدارانى قال قرىء على أبى سليمان الدارانى سورة (هل أتى على الإنسان ؟) فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال بما صبروا على ترك الشهوات فى الدنيا ثم أنشد يقول :

كم قتيل لشهوة وأسير أف من مشتهى خلاف الجميل
شهوات الإنسان تورثه الذل وتلقيه فى البلاء الطويل

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾

وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد انها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال لم يجيء أهلها بعد وقال العوفي عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبي سليم عن أبي إسحق عن الحارث عن علي: الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو ، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي قاله عكرمة حسن فانه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد ابن كعب ويمنعون الماعون قال المعروف . ولهذا جاء في الحديث « كل معروف صدقة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن الزهري (ويمنعون الماعون) قال بلسان قريش المال . وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا في إسناده ومتنه فقال حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمي حدثنا دلهم بن دهم العجلي حدثنا عائذ بن ربيعة النميري حدثني قرة بن دعموص النميري أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ما تعهد إلينا ؟ قال « لا تمنعوا الماعون » قالوا يا رسول الله وما الماعون ؟ قال « في الحجر وفي الحديدة وفي الماء » قالوا فأي الحديدة ؟ قال « قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتهنون به » قالوا ما الحجر ؟ قال « قدوركم الحجارة » غريب جدا ورفعه منكر وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم . وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة علي النميري فقال روى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة بن قيس النميري عن علي بن فلان النميري سمعت رسول الله ﷺ يقول « المسلم أخو المسلم إذا لقيه جاء بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون » قلت يا رسول الله ما الماعون . قال « الحجر والحديد وأشباه ذلك » والله أعلم . آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الكوثر وهي مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسما إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت فقال رسول الله ﷺ « إنه أنزلت على آنفا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فقال « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وأن آنيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي من طريق علي بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس ، ولفظ مسلم قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يارسول الله . قال « لقد أنزلت على آنفا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر) ثم قال « أتدررن ما الكوثر . — قلنا الله ورسوله أعلم قال — فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي ، فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك »

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وأنها منزلة معها . فأما قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر)

قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجري ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت يدي في تربته فاذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت يدي إلى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ماهذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل » ورواه البخاري في صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر » وهو لفظ البخاري رحمه الله . وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسري برسول الله ﷺ مضى به جبريل في السماء الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال « ياجبريل ما هذا النهر ؟ قال هو الكوثر الذي خبأ لك ربك » وقد تقدم حديث الاسراء في سورة سبحان من طريق شريك عن أنس عن النبي ﷺ وهو مخرج في الصحيحين . وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقال الملك ـ الذي معه ـ أتدري ماهذا ؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله ، وضرب يده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك » وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة به . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الوهاب ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال « هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر » قال أبو بكر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها »

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس أن رجلا قال يارسول الله ما الكوثر ؟ قال « هو نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها ياعمر » رواه ابن جرير من حديث الزهري عن أخيه عبد الله عن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء . وقال البخاري حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم ، ثم قال البخاري رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف ، وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء . وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أو مسروق قال : قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت : نهر في بطنان الجنة ، قلت وما بطنان الجنة ؟ قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت ، وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل اصبعيه في أذنيه ، وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها ، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لا أنه يسمعه نفسه والله أعلم . قال السهيلي ورواه الدارقطني مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ . ثم قال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر هو الخير الذي أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير : فان ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

أعمال موسوعية مساعدة
تحقيق التراث الفقهي
٣

الفروق للكرابيسي

اسعد بن محمد بن الحسين النيسابوري الحنفي
قبل ٤٩٠ - ٥٧٠هـ

حققه

الدكتور محمد طموم

راجعه

الدكتور عبد الستار أبو غدة

وليس كذلك التطوع ، لأن الوجوب[1] سببان مختلفان[1]، لأن الوجوب بالشروع وشروع هذا غير شروع ذاك ، فصار كالفرضين المختلفين ، فلا يجوز أداء[2] أحدهما خلف من يصلي الآخر[3] . والله أعلم .

* * *

(١) في هامش أ « سببين مختلفين » في ب « شيئين مختلفين »
(٢) الزيادة من ب
(٣) في ب « للاخر »

« كتاب الزكاة »

٤٣ ـ إذا[1] قال رب المال : أخذ[2] الصدقة [3]مصدق آخر[3] وحلف وجاء بالبراءة أو لم يجيء بها ، فإن كان[4] عليهم مصدق[5] غيره في تلك السنة صدق .

وإن لم يكن عليهم مصدق[6] آخر[6] في تلك السنة أو قال : دفعتها الى المساكين لم يصدق .

والفرق أن مال الزكاة حصل[7] في يده حصول أمانة ، بدليل أنه لو تلف[8] لم يضمن ، فهو أمين ادعى الدفع الى من جعل له الدفع[9] اليه ، فكان القول قوله ، كالمودع اذا قال : رددت الوديعة الى المودع أو إلى وليه .

وليس كذلك إذا لم يكن عليهم مصدق[10] آخر[10]، لأنه إذا لم يكن مصدق آخر فقد أدعى الدفع الى من لم يجعل له الدفع اليه[11]، فوجب أن لا يصدق ، [12] كالمودع إذا قال : رددت الوديعة الى الأجنبي لا يصدق[12]، كذا[13] هذا .

٤٤ ـ وإذا[14] ظهر الخوارج على بلد فيه أهل العدل، فأخذوا منهم صدقة أموالهم ، ثم ظهر عليهم[15] الامام حسبها لهم[16] .

(١) الهداية جـ ١ ص ٧٥
(٢) في ب « آخذ »
(٣) في ب « متى تصدق أحد »
(٤) ليست موجودة في ب
(٥) في ب « متصدق »
(٦) في ب « متصدق »
(٧) في ب « جعلت »
(٨) في ب « هلكت »
(٩) في ب « الدافع »
(١٠) في ب « متصدق »
(١١) ليست موجودة في ب
(١٢) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٣) في هامش أ « كذلك »
(١٤) في المبسوط جـ ٢ ص ١٩٦
(١٥) الزيادة من ب
(١٦) ليست موجودة في ب

ولو (مروا هم[١] على العاشر من أهل هذا[٢] البغي ، فأخذ منهم[٣] العشر ، لم (يحسب لهم عاشر أهل العدل .

والفرق أن على الامام أن يحميهم ويذب عنه وعن حريمهم ، فإذا لم يحمهم حتى غلب[٥] الخوارج عليهم فهو الذي ضيع حق نفسه ، فلم يكن له أن (يثنّي عليهم[٦]، كما لو (أقاموا حداً[٧] لم يكن له أن يثني[٨] اقامته ، كذلك هذا .

وليس كذلك العاشر ، لأن صاحب المال بالمرور عليه[٩] عرض حق الفقراء للتلف[١٠]، فصار جانياً وإذا جنى غرم .

٤٥ ـ رجل[١١] له ألف درهم ، فحال عليها[١٢] الحول ، فاشترى بها عبداً للتجارة فمات ، سقطت[١٣] الزكاة عنه .

ولو اشترى عبداً للخدمة لم تبطل .

والفرق انه[١٤] اذا اشترى بها عبداً للتجارة فقد نقلها الى ما يثبت[١٥] فيه الحق[١٦] الأول[١٧]، بدليل أنه لو فعل ذلك في وسط الحول يبني[١٨] عليه ، ولم[١٩]

(١) في ب « ولو مر على »
(٢) ليست موجودة في ب
(٣) في ب « منه »
(٤) في ب « لم تحسب له اعشار »
(٥) في ب « غلبت »
(٦) في ب « يبني عليه »
(٧) في ب « اقام احدا »
(٨) في ب « يبني »
(٩) ليست موجودة في ب
(١٠) في هامش أ « على التلف »
(١١) المبسوط جـ ٢ ص ١٩٦
(١٢) في أ « عليه »
(١٣) في ب « بطلت »
(١٤) في ب « انها لو »
(١٥) تحت السطر في أ « اي الى العبد الذي اشتراه للتجارة »
(١٦) في هامش أ « أي حق الفقراء الأول »
(١٧) تحت السطر في أ « الأولى »
(١٨) في ب « بشيء »
(١٩) في ب « فلم »

يكن متلفاً[١] حق الفقراء ، ولا ناقلاً فقام[٢] الثاني[٣] مقام الأول[٤] ، ولو بقي[٥] الأول وتلف[٦] لم يضمن ، كذلك هذا .

وليس كذلك في[٧] العبد للخدمة ، لأنه نقله الى ما لا يثبت فيه الحق الأول ، بدليل أنه لو فعل ذلك في وسط الحول لم يبن[٨] عليه ، فصار مفوتاً حق الفقراء فيغرم[٩] ، كما لو وهبها من انسان أو تزوج عليها[١٠] امرأة .

٤٦ ـ رجل[١١] له على انسان ألف درهم ، فتصدق بشيء منها عليه ، ينوي أن تكون[١٢] من زكاة ماله ، جاز عن زكاة هذا الدين .

ولا يجوز عن زكاة دين آخر ولا عن عين[١٣].

والفرق أن العين أكمل من الدين ، بدليل (أن الشيء يشترى[١٤] بالنسيئة بأكثر مما يشترى بالنقد ، فصار مؤدياً[١٥] ناقصاً عن كامل وهذا لا يجوز ، فبقي الكامل عليه بحاله[١٦]، كما لو كان عليه عتق رقبة (مؤمنة فأعتق رقبة[١٧] كافرة ، أو[١٨] كان عليه عتق رقبة ، فاعتق مدبراً أو[١٩] أم ولد لم يجزه عن الفرض ، وبقي الوجوب عليه بحاله[٢٠]، كذلك هذا .

وليس كذلك إذا أدى عن هذا الدين ، لأن (المؤدى ناقص[٢١] والمؤدى عنه

(١) في ب « مبلغا »
(٢) في أ « ولا ناقل »
(٣) فوق السطر في أ « اي الحق الثاني »
(٤) تحت السطر « في عدم وجوب الضمان بهلاكه في يده »
(٥) في ب « نفى »
(٦) في ب « فتلف »
(٧) ليست موجودة في ب
(٨) في ب « لم تبن »
(٩) في ب « فغرم »
(١٠) في أ « عليه »
(١١) المبسوط جـ ٢ ص ٢٠٣
(١٢) في أ « يكون »
(١٣) فوق السطر أ « أي عن مال حاصل موجود نقدا »
(١٤) في ب « انه لو اشترى »
(١٥) في أ « يؤدي »
(١٦) في ب « بماله »
(١٧) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٨) في ب « وكان »
(١٩) ليست موجودة في ب
(٢٠) في ب « بمال »
(٢١) ما بين قوسين ليس موجودا في ب

ولو (مروا هم[١]) على العاشر من أهل هذا[٢] البغي ، فأخذ منهم[٣] العشر ، لم (يحسب لهم عاشر[٤]) أهل العدل .

والفرق أن على الامام أن يحميهم ويذب عنه وعن حريمهم ، فإذا لم يحمهم حتى غلب[٥] الخوارج عليهم فهو الذي ضيع حق نفسه ، فلم يكن له أن (يثنّي عليهم[٦]) ، كما لو (أقاموا حداً[٧]) لم يكن له أن يثني[٨] اقامته ، كذلك هذا .

وليس كذلك العاشر ، لأن صاحب المال بالمرور عليه[٩] عرض حق الفقراء للتلف[١٠] ، فصار جانياً وإذا جنى غرم .

٤٥ ـ رجل[١١] له ألف درهم ، فحال عليها[١٢] الحول ، فاشترى بها عبداً للتجارة فمات ، سقطت[١٣] الزكاة عنه .

ولو اشترى عبداً للخدمة لم تبطل .

والفرق انه[١٤] اذا اشترى بها عبداً للتجارة فقد نقلها الى ما يثبت[١٥] فيه الحق[١٦] الأول[١٧] ، بدليل أنه لو فعل ذلك في وسط الحول يبني[١٨] عليه ، ولم[١٩]

(١) في ب « ولو مر على »
(٢) ليست موجودة في ب
(٣) في ب « منه »
(٤) في ب « لم تحسب له اعشار »
(٥) في ب « غلبت »
(٦) في ب « يبني عليه »
(٧) في ب « اقام احدا »
(٨) في ب « يبني »
(٩) ليست موجودة في ب
(١٠) في هامش أ « على التلف »
(١١) المبسوط جـ ٢ ص ١٩٦
(١٢) في أ « عليه »
(١٣) في ب « بطلت »
(١٤) في ب « انها لو »
(١٥) تحت السطر في أ « اي الى العبد الذي اشتراه للتجارة »
(١٦) في هامش أ « أي حق الفقراء الأول »
(١٧) تحت السطر في أ « الأولى »
(١٨) في ب « بشيء »
(١٩) في ب « فلم »

يكن متلفاً[١] حق الفقراء ، ولا ناقلاً فقام[٢] الثاني[٣] مقام الأول[٤] ، ولو بقي[٥] الأول وتلف[٦] لم يضمن ، كذلك هذا .

وليس كذلك في[٧] العبد للخدمة ، لأنه نقله الى ما لا يثبت فيه الحق الأول ، بدليل أنه لو فعل ذلك في وسط الحول لم يبن[٨] عليه ، فصار مفوتاً حق الفقراء فيغرم[٩] ، كما لو وهبها من انسان أو تزوج عليها[١٠] امرأة .

٤٦ ـ رجل[١١] له على انسان ألف درهم ، فتصدق بشيء منها عليه ، ينوي أن تكون[١٢] من زكاة ماله ، جاز عن زكاة هذا الدين .

ولا يجوز عن زكاة دين آخر ولا عن عين[١٣] .

والفرق أن العين أكمل من الدين ، بدليل (أن الشيء يشترى[١٤]) بالنسيئة بأكثر مما يشترى بالنقد ، فصار مؤدياً[١٥] ناقصاً عن كامل وهذا لا يجوز ، فبقي الكامل عليه بحاله[١٦] ، كما لو كان عليه عتق رقبة (مؤمنة فأعتق رقبة[١٧]) كافرة ، أو[١٨] كان عليه عتق رقبة ، فاعتق مدبراً أو[١٩] أم ولد لم يجزه عن الفرض ، وبقي الوجوب عليه بحاله[٢٠] ، كذلك هذا .

وليس كذلك إذا أدى عن هذا الدين ، لأن (المؤدى ناقص[٢١]) والمؤدى عنه

(١) في ب « مبلغا »
(٢) في أ « ولا ناقل »
(٣) فوق السطر في أ « اي الحق الثاني »
(٤) تحت السطر « في عدم وجوب الضمان بهلاكه في يده »
(٥) في ب « نفى »
(٦) في ب « فتلف »
(٧) ليست موجودة في ب
(٨) في ب « لم تبن »
(٩) في ب « فغرم »
(١٠) في أ « عليه »
(١١) المبسوط جـ ٢ ص ٢٠٣
(١٢) في أ « يكون »
(١٣) فوق السطر أ « أي عن مال حاصل موجود نقدا »
(١٤) في ب « انه لو اشترى »
(١٥) في أ « يؤدي »
(١٦) في ب « بماله »
(١٧) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٨) في ب « وكان »
(١٩) ليست موجودة في ب
(٢٠) في ب « بمال »
(٢١) ما بين قوسين ليس موجودا في ب

ولو (مروا هم[1] على العاشر من أهل هذا[2] البغي ، فأخذ منهم[3] العشر ، لم (يحسب لهم عاشر[4] أهل العدل .

والفرق أن على الامام أن يحميهم ويذب عنه وعن حريمهم ، فإذا لم يحمهم حتى غلب[5] الخوارج عليهم فهو الذي ضيع حق نفسه ، فلم يكن له أن (يثني عليهم[6]، كما لو (أقاموا حداً[7] لم يكن له أن يثني[8] اقامته ، كذلك هذا .

وليس كذلك العاشر ، لأن صاحب المال بالمرور عليه[9] عرض حق الفقراء للتلف[10]، فصار جانياً وإذا جنى غرم .

٤٥ ـ رجل[11] له ألف درهم ، فحال عليها[12] الحول ، فاشترى بها عبداً للتجارة فمات ، سقطت[13] الزكاة عنه .

ولو اشترى عبداً للخدمة لم تبطل .

والفرق انه[14] اذا اشترى بها عبداً للتجارة فقد نقلها الى ما يثبت[15] فيه الحق[16] الأول[17]، بدليل أنه لو فعل ذلك في وسط الحول يبني[18] عليه ، ولم[19]

---

(١) في ب « ولو مر على »
(٢) ليست موجودة في ب
(٣) في ب « منه »
(٤) في ب « لم تحسب له اعشار »
(٥) في ب « غلبت »
(٦) في ب « يبني عليه »
(٧) في ب « اقام احدا »
(٨) في ب « يبني »
(٩) ليست موجودة في ب
(١٠) في هامش أ « على التلف »
(١١) المبسوط جـ ٢ ص ١٩٦
(١٢) في أ « عليه »
(١٣) في ب « بطلت »
(١٤) في ب « انها لو »
(١٥) تحت السطر في أ « اي الى العبد الذي اشتراه للتجارة »
(١٦) في هامش أ « اي حق الفقراء الأول »
(١٧) تحت السطر في أ « الأولى »
(١٨) في ب « بشيء »
(١٩) في ب « فلم »

يكن متلفاً[1] حق الفقراء ، ولا ناقلاً فقام[2] الثاني[3] مقام الأول[4] ، ولو بقي[5] الأول وتلف[6] لم يضمن ، كذلك هذا .

وليس كذلك في[7] العبد للخدمة ، لأنه نقله الى ما لا يثبت فيه الحق الأول ، بدليل أنه لو فعل ذلك في وسط الحول لم يبن[8] عليه ، فصار مفوتاً حق الفقراء فيغرم[9] ، كما لو وهبها من انسان أو تزوج عليها[10] امرأة .

٤٦ ـ رجل[11] له على انسان ألف درهم ، فتصدق بشيء منها عليه ، ينوي أن تكون[12] من زكاة ماله ، جاز عن زكاة هذا الدين .

ولا يجوز عن زكاة دين آخر ولا عن عين[13].

والفرق أن العين أكمل من الدين ، بدليل (أن الشيء يشترى[14]) بالنسيئة بأكثر مما يشترى بالنقد ، فصار مؤدياً[15] ناقصاً عن كامل وهذا لا يجوز ، فبقي الكامل عليه بحاله[16]، كما لو كان عليه عتق رقبة[17] مؤمنة فأعتق رقبة[17] كافرة ، أو[18] كان عليه عتق رقبة ، فاعتق مدبراً أو[19] أم ولد لم يجزه عن الفرض ، وبقي الوجوب عليه بحاله[20]، كذلك هذا .

وليس كذلك إذا أدى عن هذا الدين ، لأن (المؤدى ناقص[21]) والمؤدى عنه

---

(١) في ب « مبلغا »
(٢) في أ « ولا ناقل »
(٣) فوق السطر في أ « اي الحق الثاني »
(٤) تحت السطر « في عدم وجوب الضمان بهلاكه في يده »
(٥) في ب « نفى »
(٦) في ب « فتلف »
(٧) ليست موجودة في ب
(٨) في ب « لم تبن »
(٩) في ب « فغرم »
(١٠) في أ « عليه »
(١١) المبسوط جـ ٢ ص ٢٠٣
(١٢) في أ « يكون »
(١٣) فوق السطر أ « أي عن مال حاصل موجود نقدا »
(١٤) في ب « انه لو اشترى »
(١٥) في أ « يؤدي »
(١٦) في ب « بماله »
(١٧) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٨) في ب « وكان »
(١٩) ليست موجودة في ب
(٢٠) في ب « بمال »
(٢١) ما بين قوسين ليس موجودا في ب

ناقص ، فقد اتفق المؤدي والمؤدي عنه فجاز ، كأداء العين (عن العين [١]) .

ووجه الفرق بينه وبين دين آخر ، لأنه بعقد [٢] المداينة أخرجه [٣] من أن يملكه غير من عليه الدين ، لأنه لو اشترى به شيئاً لم يجز ، وإذا لم يجز تمليكه من غير من عليه الدين [٤] لم يجز تمليكه من غير ما [٥] عليه ، دليله لو (دبر عبداً [٦]) ثم أراد أن يعتقه عن كفارة يمينه لم يجز عنه ، لأنه [٧] لا يُقدر على تمليكه [٧] من [٨] غير من [٩] عليه ولا يقدر على تمليكه [٧] من غير ما عليه كذلك هذا .

٤٧ ـ المسلم إذا مر على العاشر بمال (مرة أخذ منه [١٠]) العشر ، فلو مر بذلك المال ثانياً لا يأخذ منه [١١] شيئاً .

وليس كذلك الحربي لو مر على العاشر في سنة [١٢] مرات أخذ منه [١٣] كل مرة عشراً .

والفرق أن المأخوذ من المسلم حق الحول وهو الزكاة ، وحق الحول إذا أخذ مرة لا يؤخذ ثانية ، كما لو كان له ابل سائمة فأدى زكاتها مرة في حول ، فإنه لا يؤخذ منه ثانياً ، كذلك هذا .

وليس كذلك الحربي ، لأن المأخوذ منه ليس هو حق الحول ، لأنه ليس من

(١) ما بين قوسين ليس موجودا في ب
(٢) في ب « يعقد »
(٣) في ب « اخره »
(٤) ليست موجودة في ب
(٥) تحت السطر أ « أي من غير دين هو عليه ، في هامش أ » أي من غير من هو عليه أي من غير من الدين عليه .
(٦) في ب « دين عبده »
(٧) تحت السطر أ « المدبر »
(٨) الزيادة من ب
(٩) تحت السطر أ « أي غير من هو مدبر عليه »
(١٠) في ب « مدة اخذه منه »
(١١) ليست موجودة في ب
(١٢) في ب « ست »
(١٣) في المبسوط جـ ٢ ص ٢٠١ تفصيل

أهل الزكاة ، وانما المأخوذ منه بعقد [١] الأمان والكف عن تغنيم [٢] ما في يده [٣] ، وهو محتاج في كل [٤] مرة الى إذن جديد فيؤخذ منه (أخذاً جديداً [٥]) .

٤٨ ـ إذا [٦] ورث مالاً [٧] أو وهب له أو كانت له جارية للخدمة فنوى بها التجارة [٨] لا تصير [٩] للتجارة ما لم تبع [١٠] .

ولو كانت له جارية للتجارة فنوى القنية [١١] وامسكها فصارت مهنة [١٢] ، ولا تجب زكاة التجارة .

والفرق أن الجارية إذا [١٣] كانت للخدمة فنوى بها التجارة [١٤] فقد نوى التجارة ولم يفعلها ، فلم يبطل حكمها ، فتبقى [١٥] للخدمة ولم تصر [١٦] للتجارة ، كما لو كان مقيماً فنوى السفر ، ولم يسافر لا يصير مسافراً ويبقى مقيماً [١٧] ، والمعنى [١٨] أنه نوى السفر ولم يخرج فبقى على الاقامة ، كذلك هذا .

(١) في ب « يعقد »
(٢) في صل أ « تغنيمه » حيث اضيفت الهاء بحبر آخر من مصحح ، وفي هامش أ بحبر آخر « تغنيم صح » . وفي ب « نعمه »
(٣) في ب « يديه »
(٤) ليست موجودة في ب
(٥) في أ « أخذ جديد » .
(٦) المبسوط جـ ٢ ص ١٩٨
(٧) تحت السطر أ « أي ما لا عر[illegible]ا »
(٨) في أ « للتجارة »
(٩) في أ « يصير » وفي هامش أ « لا يصير »
(١٠) في أ « لم يبع »
(١١) في ب « الفدية »
(١٢) لسان العرب جـ ١٧ ص ٣١٣ « مهن » المَهْنَة والمِهْنَة والمَهَنَة والمِهَنَة كله الحذق بالخدمة والعمل ونحوه وأنكر الاصمعي الكسر . . . والماهن العبد . وفي الصحاح الخادم والانثى ماهنة . قال الاصمعي المَهْنَة بفتح الميم هي الخدمة قال ولا يقال مهنة بالكسر . قال الكسائي المَهْنَة والخدمة ومهنهم أي خدمهم وأنكر ابو زيد المِهَنَة بالكسر وفتح الميم .
(١٣) في ب « لما »
(١٤) في أ « للتجارة »
(١٥) في أ « فبقى »
(١٦) في ب لم تحم « وفي أ » لم يصير « وهو خطأ وأظن أن المناسب المذكور .
(١٧) في هامش أ « كذلك هذا هكذا »
(١٨) في ب « لهذا المعنى »

ناقص ، فقد اتفق المؤدي والمؤدي عنه فجاز ، كأداء العين (عن العين[1]) .

ووجه الفرق بينه وبين دين آخر ، لأنه بعقد[2] المداينة أخرجه[3] من أن يملكه غير من عليه الدين ، لأنه لو اشترى به شيئاً لم يجز ، وإذا لم يجز تمليكه من غير من عليه الدين[4] لم يجز تمليكه من غير ما[5] عليه ، دليله لو [6]دبر عبداً[6] ثم أراد أن يعتقه عن كفارة يمينه لم يجز عنه ، لأنه[7] لا يُقدر على تمليكه[7] من[8] غير من[9] عليه ولا يقدر على تمليكه[7] من غير ما عليه كذلك هذا .

٤٧ ـ المسلم إذا مر على العاشر بمال (مرة أخذ منه[10]) العشر ، فلو مر بذلك المال ثانياً لا يأخذ منه[11] شيئاً .

وليس كذلك الحربي لو مر على العاشر في سنة[12] مرات أخذ منه[13] كل مرة عشراً .

والفرق أن المأخوذ من المسلم حق الحول وهو الزكاة ، وحق الحول إذا أخذ مرة لا يؤخذ ثانية ، كما لو كان له ابل سائمة فأدى زكاتها مرة في حول ، فإنه لا يؤخذ منه ثانياً ، كذلك هذا .

وليس كذلك الحربي ، لأن المأخوذ منه ليس هو حق الحول ، لأنه ليس من

(١) ما بين قوسين ليس موجودا في ب
(٢) في ب « يعقد »
(٣) في ب « اخره »
(٤) ليست موجودة في ب
(٥) تحت السطر أ « أي من غير دين هو عليه ، في هامش أ » أي من غير من هو عليه أي من غير من الدين عليه .
(٦) في ب « دين عبده »
(٧) تحت السطر أ « المدبر »
(٨) الزيادة من ب
(٩) تحت السطر أ « أي غير من هو مدبر عليه »
(١٠) في ب « مدة اخذه منه » .
(١١) ليست موجودة في ب
(١٢) في ب « ست »
(١٣) في المبسوط جـ ٢ ص ٢٠١ تفصيل

أهل الزكاة ، وانما المأخوذ منه بعقد[1] الأمان والكف عن تغنيم[2] ما في يده[3] ، وهو محتاج في كل[4] مرة الى إذن جديد فيؤخذ منه (أخذاً جديداً[5]) .

٤٨ ـ إذا[6] ورث مالاً[7] أو وهب له أو كانت له جارية للخدمة فنوى بها التجارة[8] لا تصير[9] للتجارة ما لم تبع[10].

ولو كانت له جارية للتجارة فنوى القنية[11] وامسكها فصارت مهنة[12]، ولا تجب زكاة التجارة .

والفرق أن الجارية إذا[13] كانت للخدمة فنوى بها التجارة[14] فقد نوى التجارة ولم يفعلها ، فلم يبطل حكمها ، فتبقى[15] للخدمة ولم تصر[16] للتجارة ، كما لو كان مقيماً فنوى السفر ، ولم يسافر لا يصير مسافراً ويبقى مقيماً[17]، والمعنى[18] أنه نوى السفر ولم يخرج فبقى على الاقامة ، كذلك هذا .

(١) في ب « يعقد »
(٢) في صل أ « تغنيمه » حيث اضيفت الهاء بحبر آخر من مصحح ، وفي هامش أ بحبر آخر « تغنيم صح » . وفي ب « نعمه »
(٣) في ب « يديه »
(٤) ليست موجودة في ب
(٥) في أ « أخذ جديد » .
(٦) المبسوط جـ ٢ ص ١٩٨
(٧) تحت السطر أ « أي ما لا عروضا »
(٨) في أ « للتجارة »
(٩) في أ « يصير » وفي هامش أ « لا يصير »
(١٠) في أ « لم يبع »
(١١) في ب « الفدية »
(١٢) لسان العرب جـ ١٧ ص ٣١٣ « مهن » المَهْنَة والمِهْنَة والمَهَنَة والمِهَنَة كله الحذق بالخدمة والعمل ونحوه وأنكر الاصمعي الكسر . . . والماهن العبد . وفي الصحاح الخادم والانثى ماهنة . قال الاصمعي المَهْنَة بفتح الميم هي الخدمة قال ولا يقال مهنة بالكسر . قال الكسائي المَهْنَة والخدمة ومهنهم أي خدمهم وأنكر ابو زيد المِهْنَة بالكسر وفتح الميم .
(١٣) في ب « لما »
(١٤) في أ « للتجارة »
(١٥) في أ « فبقى »
(١٦) في ب لم تحم « وفي أ » لم يصير « وهو خطأ وأظن أن المناسب المذكور .
(١٧) في هامش أ « كذلك هذا هكذا »
(١٨) في ب « لهذا المعنى »

وليس كذلك[١] إذا كانت للتجارة فنوى بها الخدمة[٢] لأنه نوى الخدمة وفعلها ، فيبطل[٣] حكم ما نوى قبله ، وصارت للخدمة ، كما لو نوى الاقامة يبطل حكم السفر ، ويصير مقيماً ، كذلك هذا .

والمعنى فيه أن السفر والتجارة عمل ، فما[٤] لم يوجد العمل[٥] لا يحكم به .

والاقامة والمهنة (٦ ترك العمل ٦) والترك يحصل مع النية من غير عمل ، فكذلك افترقا .

٤٩ ـ إذا[٧] وهب الانسان الف درهم ، ثم[٨] رجع فيها بعد ما حال الحول عليه ، سقطت الزكاة عن الموهوب له .

ولو باع شيئاً بألف درهم[٩] وقبض[١٠] الثمن ، ثم استحق المبيع ، فارتجع[١١] الألف منه وقد كان حال الحول عليه في يديه[١٢] لم تسقط الزكاة عنه .

والفرق أن الدراهم في الهبة تتعين[١٣] عند العقد ، لأن صحتها بالقبض ، والقبض (يصادف[١٤] عينها) (فتعينت[١٥] عند العقد) فتعينت[١٦] عند الرد ، وقد استحق عليه عينها من غير رضاه ، فصار كما لو هلكت[١٧] بعد وجوب الزكاة سقطت[١٨] عنه الزكاة ، كذلك هذا .

(١) في ب « كذلك ما اذا »
(٢) في أ « للخدمة »
(٣) في ب « فبطل »
(٤) في ب « ولم »
(٥) ليست موجودة في ب
(٦) في أ « تركها لعمل »
(٧) المبسوط جـ ٢ ص ٢٠٥
(٨) في ب « ورجع »
(٩) الزيادة من ب
(١٠) في ب « فقبض »
(١١) في ب « فارجع »
(١٢) في أ « يده »
(١٣) في هامش أ « أي تتعين للموهوب له »
(١٤) في ب « يصادق عنها »
(١٥) ما بين قوسين ليس موجودا في ب وتحت السطر في أ « فتتعين »
(١٦) تحت السطر في أ « فتعتبر » فتعين « ب »
(١٧) في ب « هلك »
(١٨) في أ « سقط »

وليس كذلك في البيع لأن الدراهم (١ في البيع ١) لا تتعين / عند العقد عندنا ، لأن العقد ينعقد بمضمون في الذمة ، ثم تصير[٢] قصاصاً بما له عليه عند الأداء ، وإذا لم تتعين عند العقد لم تتعين عند الرد ، فلا يستحق عليها عينها ، وانما استحق عليه دراهم مثلها ، فهذا[٣] دين لحقه بعد حولان الحول عليه ووجوب الزكاة ، وإذا لحقه دين بعد وجوب الزكاة فلم تسقط عنه الزكاة كسائر الديون .

٥٠ ـ يجوز[٤] دفع خمس الركاز[٥] الى أولاده .

ولا يجوز دفع العشر .

والفرق أن في الركاز لم يسبق[٦] له ملك فيه ، وانما ملكه بالأخذ ، فلم يثبت له حق في عينه[٧] ، فكما أخذه مشتركاً[٨] أربعة أخماسه له وخمسه للفقراء ، وإذا ثبت هذا قلنا : هذا مال لم يسبق له ملك فيه ولا حق له في عينه فيؤمر بقطعة ، وهو مأمور بالتصدق به فإذا صرفه إلى ولده جاز ، دليله اللقطة .

وليس كذلك العشر والزكاة ، لأنه قد سبق له ملك في الحب قبل الزرع ، فثبت له حق في الخارج منه ، فقد اجتمع له الملك والحق فيه ، وفي باب العشر وهو مأمور بإزالة الملك وقطع الحق عنه ، فإذا تصدق به على ولده فقد أزال ملكه عنه وبقي (٩ الحق له ٩) فيه ، لأن له حقاً / في مال ابنه ، فقد فعل بعض ما أمر به فلم يجزه[١٠] .

(١) في ب « لا تتعين في البيع »
(٢) في ب « يصير »
(٣) في ب « وهذا » أي الألف المرتجع منه ، تحت السطر في أ
(٤) المبسوط جـ ٣ ص ١٧ في الركاز ، المبسوط جـ ٣ ص ١١ في العشر .
(٥) في النسختين « الزكاة » والمذكور تصحيح في أ
(٦) في ب « لم يستحق »
(٧) في أ فوق السطر « حكما »
(٨) في أ فوق السطر « اخذه »
(٩) في ب « له الحق »
(١٠) في ب « يجز »

وليس كذلك[١] إذا كانت للتجارة فنوى بها الخدمة[٢] لأنه نوى الخدمة وفعلها ، فيبطل[٣] حكم ما نوى قبله ، وصارت للخدمة ، كما لو نوى الاقامة يبطل حكم السفر ، ويصير مقيماً ، كذلك هذا .

والمعنى فيه أن السفر والتجارة عمل ، فما[٤] لم يوجد العمل[٥] لا يحكم به .

والاقامة والمهنة 'ترك[٦] العمل' والترك يحصل مع النية من غير عمل ، فكذلك افترقا .

٤٩ ـ إذا[٧] وهب الانسان الف درهم ، ثم[٨] رجع فيها بعد ما حال الحول عليه ، سقطت الزكاة عن الموهوب له .

ولو باع شيئاً بألف درهم[٩] وقبض[١٠] الثمن ، ثم استحق المبيع ، فارتجع[١١] الألف منه وقد كان حال الحول عليه في يديه[١٢] لم تسقط الزكاة عنه .

والفرق أن الدراهم في الهبة تتعين[١٣] عند العقد ، لأن صحتها بالقبض ، والقبض 'يصادف[١٤] عينها' 'فتعينت[١٥] عند العقد' فتعينت[١٦] عند الرد ، وقد استحق عليه عينها من غير رضاه ، فصار كما لو هلكت[١٧] بعد وجوب الزكاة سقطت[١٨] عنه الزكاة ، كذلك هذا .

(١) في ب « كذلك ما اذا »
(٢) في أ « للخدمة »
(٣) في ب « فبطل »
(٤) في ب « ولم »
(٥) ليست موجودة في ب
(٦) في أ « تركها لعمل »
(٧) المبسوط جـ ٢ ص ٢٠٥
(٨) في ب « ورجع »
(٩) الزيادة من ب
(١٠) في ب « فقبض »
(١١) في ب « فارجع »
(١٢) في أ « يده »
(١٣) في هامش أ « أي تتعين للموهوب له »
(١٤) في ب « يصادق عنهما »
(١٥) ما بين قوسين ليس موجودا في ب وتحت السطر فى أ « فتتعين »
(١٦) تحت السطر في أ « فتعتبر » فتعين « ب »
(١٧) في ب « هلك »
(١٨) في أ « سقط »

وليس كذلك في البيع لأن الدراهم 'في البيع' لا تتعين[١] / عند العقد عندنا ، لأن العقد ينعقد بمضمون في الذمة ، ثم تصير[٢] قصاصاً بما له عليه عند الأداء ، وإذا لم تتعين عند العقد لم تتعين عند الرد ، فلا يستحق عليها عينها ، وانما استحق عليه دراهم مثلها ، فهذا[٣] دين لحقه بعد حولان الحول عليه ووجوب الزكاة ، وإذا لحقه دين بعد وجوب الزكاة فلم تسقط عنه الزكاة كسائر الديون .

٥٠ ـ يجوز[٤] دفع خمس الركاز[٥] الى أولاده .
ولا يجوز دفع العشر .

والفرق أن في الركاز لم يسبق[٦] له ملك فيه ، وانما ملكه بالأخذ ، فلم يثبت له حق في عينه[٧] ، فكما أخذه مشتركاً[٨] أربعة أخماسه له وخمسه للفقراء ، وإذا ثبت هذا قلنا : هذا مال لم يسبق له ملك فيه ولا حق له في عينه فيؤمر بقطعة ، وهو مأمور بالتصدق به فإذا صرفه إلى ولده جاز ، دليله اللقطة .

وليس كذلك العشر والزكاة ، لأنه قد سبق له ملك في الحب قبل الزرع ، فثبت له حق في الخارج منه ، فقد اجتمع له الملك والحق فيه ، وفي باب العشر وهو مأمور بإزالة الملك وقطع الحق عنه ، فإذا تصدق به على ولده فقد أزال ملكه عنه وبقي 'الحق له' فيه ، لأن له حقاً / في مال ابنه ، فقد فعل بعض ما أمر به فلم يجزه[١٠] .

(١) في ب « لا تتعين في البيع »
(٢) في ب « يصير »
(٣) في ب « وهذا » أي الألف المرتجع منه ، تحت السطر في أ
(٤) المبسوط جـ ٣ ص ١٧ في الركاز ، المبسوط جـ ٣ ص ١١ في العشر .
(٥) في النسختين « الزكاة » والمذكورتصحيح في أ
(٦) في ب « لم يستحق »
(٧) في أ فوق السطر « حكما »
(٨) في أ فوق السطر « اخذه »
(٩) في ب « له الحق »
(١٠) في ب « يجز »

وليس كذلك[1] إذا كانت للتجارة فنوى بها الخدمة[2] لأنه نوى الخدمة وفعلها ، فيبطل[3] حكم ما نوى قبله ، وصارت للخدمة ، كما لو نوى الاقامة يبطل حكم السفر ، ويصير مقيماً ، كذلك هذا .

والمعنى فيه أن السفر والتجارة عمل ، فما[4] لم يوجد العمل[5] لا يحكم به .

والاقامة والمهنة (ترك[6] العمل) والترك يحصل مع النية من غير عمل ، فكذلك افترقا .

٤٩ ـ إذا[7] وهب الانسان الف درهم ، ثم[8] رجع فيها بعد ما حال الحول عليه ، سقطت الزكاة عن الموهوب له .

ولو باع شيئاً بألف درهم[9] وقبض[10] الثمن ، ثم استحق المبيع ، فارتجع[11] الألف منه وقد كان حال الحول عليه في يديه[12] لم تسقط الزكاة عنه .

والفرق أن الدراهم في الهبة تتعين[13] عند العقد ، لأن صحتها بالقبض ، والقبض (يصادف[14] عينها) (فتعينت[15] عند العقد) فتعينت[16] عند الرد ، وقد استحق عليه عينها من غير رضاه ، فصار كما لو هلكت[17] بعد وجوب الزكاة سقطت[18] عنه الزكاة ، كذلك هذا .

(١) في ب « كذلك ما اذا »
(٢) في أ « للخدمة »
(٣) في ب « فبطل »
(٤) في ب « ولم »
(٥) ليست موجودة في ب
(٦) في أ « تركها لعمل »
(٧) المبسوط جـ ٢ ص ٢٠٥
(٨) في ب « ورجع »
(٩) الزيادة من ب
(١٠) في ب « فقبض »
(١١) في ب « فارجع »
(١٢) في أ « يده »
(١٣) في هامش أ « أي تتعين للموهوب له »
(١٤) في ب « يصادق عنها »
(١٥) ما بين قوسين ليس موجودا في ب وتحت السطر في أ « فتتعين »
(١٦) تحت السطر في أ « فتعتبر » فتعين « ب »
(١٧) في ب « هلك »
(١٨) في أ « سقط »

وليس كذلك في البيع لأن الدراهم (في البيع[1] لا تتعين) / عند العقد عندنا ، لأن العقد ينعقد بمضمون في الذمة ، ثم تصير[2] قصاصاً بما له عليه عند الأداء ، وإذا لم تتعين عند العقد لم تتعين عند الرد ، فلا يستحق عليها عينها ، وانما استحق عليه دراهم مثلها ، فهذا[3] دين لحقه بعد حولان الحول عليه ووجوب الزكاة ، وإذا لحقه دين بعد وجوب الزكاة فلم تسقط عنه الزكاة كسائر الديون .

٥٠ ـ يجوز[4] دفع خمس الركاز[5] الى أولاده .

ولا يجوز دفع العشر .

والفرق أن في الركاز لم يسبق[6] له ملك فيه ، وانما ملكه بالأخذ ، فلم يثبت له حق في عينه[7] ، فكما أخذه مشتركاً[8] أربعة أخماسه له وخمسه للفقراء ، وإذا ثبت هذا قلنا : هذا مال لم يسبق له ملك فيه ولا حق له في عينه فيؤمر بقطعة ، وهو مأمور بالتصدق به فإذا صرفه إلى ولده جاز ، دليله اللقطة .

وليس كذلك العشر والزكاة ، لأنه قد سبق له ملك في الحب قبل الزرع ، فثبت له حق في الخارج منه ، فقد اجتمع له الملك والحق فيه ، وفي باب العشر وهو مأمور بإزالة الملك وقطع الحق عنه ، فإذا تصدق به على ولده فقد أزال ملكه عنه وبقي (الحق له[9]) فيه ، لأن له حقاً / في مال ابنه ، فقد فعل بعض ما أمر به فلم يجزه[10] .

(١) في ب « لا تتعين في البيع »
(٢) في ب « يصير »
(٣) في ب « وهذا » أي الألف المرتجع منه ، تحت السطر في أ
(٤) المبسوط جـ ٣ ص ١٧ في الركاز ، المبسوط جـ ٣ ص ١١ في العشر .
(٥) في النسختين « الزكاة » والمذكور تصحيح في أ
(٦) في ب « لم يستحق »
(٧) في أ فوق السطر « حكما »
(٨) في أ فوق السطر « اخذه »
(٩) في ب « له الحق »
(١٠) في ب « يجز »

وإن شئت[1] قلت : له أن يصرفه إلى نفسه ، لأن له أن يمسك الجميع إذا[2] احتاج إليه ، فله أن يصرفه[3] إلى ولده .

وأما العشر فليس له أن يصرفه الى (نفسه ، ولو كان محتاجاً اليه ، فليس له أن يصرفه الى ولده)[4]، فكذلك افترقا .

٥١ ـ وإذا نوى بالخلع والصلح عن[5] دم العمد التجارة ، مثل أن يصالح على دار أو خالع امرأته على عبد صار للتجارة .

ولو ورث داراً ونوى التجارة لا تصير[6] للتجارة .

والفرق أن الخلع والصلح كل واحد منهما سبب يحصل الملك به من جهته ، إذ لولا عقده لما ملكه[7] فدل على أنه سبب يحصل[8] الملك به من جهته ، وإذا كان كذلك ونوى به التجارة كان للتجارة ، كالشراء لما كان سبباً يحصل الملك به من جهته ، فنوى به التجارة ، كان للتجارة كذلك هذا .

وليس كذلك الإرث ، لأن الارث ليس بسبب يحصل به الملك من جهته ، لأن الشيء الموروث يدخل في ملكه[9] شاء أو أبى[10] من غير فعل من جهته ، وإذا لم يوجد منه سبب صار كما لو كان في ملكه للمهنة[11] فنوى به[12] التجارة ، فإنه يصير[13] للتجارة[14]، كذلك هذا .

٥٢ ـ وإذا تزوج امرأة على ألف درهم[15] ثم طلقها قبل الدخول بها

(١) في ب « ثبت »
(٢) في ب « فاذا »
(٣) في أ « يصرف »
(٤) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(٥) من « ب »
(٦) في ب « لا تكون »
(٧) في ب « ملك »
(٨) في ب « فحصل »
(٩) في هامش أ « كما لو اتى من غير فعل من جهته »
(١٠) في ب « واما »
(١١) في ب « للهبة »
(١٢) في ب « بها »
(١٣) في أ « لا تصير »
(١٤) ليست موجودة في ب
(١٥) الزيادة من ب

بعدما حال الحول ، فارتجع منها نصفها لم تسقط[1] عنها الزكاة .

ولو تزوجها على عرض ثم طلقها بعدما حال الحول عليها ، سقطت زكاة نصفه .

والفرق أن الألف الذي تزوجها عليها[2] لا تتعين[3] عند العقد ، وإذا لم تتعين[3] عند العقد تتعين[3] عند الفسخ والرد[4] وإذا لم تتعين[3] عند الرد كان له أن يعدل عنها إلى غيرها ، فإذا كان كذلك لم يستحق عليها عين[5] تلك الدراهم ، وإنما استحق عليها مثلها ، فصار كدين لحقها بعد وجوب الزكاة ، ولو[6] لحقها دين بعد وجوب الزكاة لم يسقط عنها شيء من الزكاة ، كذلك هذا .

وليس كذلك العروض (لأنها[7] تتعين) عند العقد فتتعين[8] عند الفسخ ، فقد استحق عليها عين[9] تلك العروض من غير رضاها ، فصار كما لو هلك سقط عنها بعد الحول ، ولو هلك نصفه[10] سقط[11] عنها زكاة نصفه ، كذلك هذا .

٥٣ ـ المضارب إذا اشترى بمال المضاربة طعاماً للعبيد[12]، فحال الحول عليه ففيه الزكاة .

(١) في أ « لم يسقط »
(٢) في أ « عليه »
(٣) في أ « يتعين »
(٤) في ب « والدار اذا »
(٥) في ب « غير »
(٦) في أ « فلو »
(٧) في أ « لانه » يتعين
(٨) في أ « فيتعين »
(٩) في ب « غير »
(١٠) ليست موجودة في ب
(١١) في ب « فسقط »
(١٢) في ب « للعيد »

وإن شئت[1] قلت : له أن يصرفه إلى نفسه ، لأن له أن يمسك الجميع إذا[2] احتاج إليه ، فله أن يصرفه[3] إلى ولده .

وأما العشر فليس له أن يصرفه الى (4)نفسه ، ولو كان محتاجاً اليه ، فليس له أن يصرفه الى ولده(4)، فكذلك افترقا .

٥١ ـ وإذا نوى بالخلع والصلح عن[5] دم العمد التجارة ، مثل أن يصالح على دار أو خالع امرأته على عبد صار للتجارة .

ولو ورث داراً ونوى التجارة لا تصير[6] للتجارة .

والفرق أن الخلع والصلح كل واحد منها سبب يحصل الملك به من جهته ، إذ لولا عقده لما ملكه[7] فدل على أنه سبب يحصل[8] الملك به من جهته ، وإذا كان كذلك ونوى به التجارة كان للتجارة ، كالشراء لما كان سبباً يحصل الملك به من جهته ، فنوى به التجارة ، كان للتجارة كذلك هذا .

وليس كذلك الإرث ، لأن الارث ليس بسبب يحصل به الملك من جهته ، لأن الشيء الموروث يدخل في ملكه[9] شاء أو أبى[10] من غير فعل من جهته ، وإذا لم يوجد منه سبب صار كما لو كان في ملكه للمهنة[11] فنوى به[12] التجارة ، فإنه يصير[13] للتجارة[14]، كذلك هذا .

٥٢ ـ وإذا تزوج امرأة على ألف درهم[15] ثم طلقها قبل الدخول بها

(١) في ب « ثبت »
(٢) في ب « فاذا »
(٣) في أ « يصرف »
(٤) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(٥) من « ب »
(٦) في ب « لا تكون »
(٧) في ب « ملك »
(٨) في ب « فحصل »
(٩) في هامش أ « كما لو اتى من غير فعل من جهته »
(١٠) في ب « واما »
(١١) في ب « للهبة »
(١٢) في ب « بها »
(١٣) في أ « لا تصير »
(١٤) ليست موجودة في ب
(١٥) الزيادة من ب

بعدما حال الحول ، فارتجع منها نصفها لم تسقط[1] عنها الزكاة .

ولو تزوجها على عرض ثم طلقها بعدما حال الحول عليها ، سقطت زكاة نصفه .

والفرق أن الألف الذي تزوجها عليها[2] لا تتعين[3] عند العقد ، وإذا لم تتعين[3] عند العقد تتعين[3] عند الفسخ والرد[4] وإذا لم تتعين[3] عند الرد كان له أن يعدل عنها إلى غيرها ، فإذا كان كذلك لم يستحق عليها عين[5] تلك الدراهم ، وإنما استحق عليها مثلها ، فصار كدين لحقها بعد وجوب الزكاة ، ولو[6] لحقها دين بعد وجوب الزكاة لم يسقط عنها شيء من الزكاة ، كذلك هذا .

وليس كذلك العروض (لأنها[7] تتعين) عند العقد فتتعين[8] عند الفسخ ، فقد استحق عليها عين[9] تلك العروض من غير رضاها ، فصار كما لو هلك سقط عنها بعد الحول ، ولو هلك نصفه[10] سقط[11] عنها زكاة نصفه ، كذلك هذا .

٥٣ ـ المضارب إذا اشترى بمال المضاربة طعاماً للعبيد[12]، فحال الحول عليه ففيه الزكاة .

(١) في أ « لم يسقط »
(٢) في أ « عليه »
(٣) في أ « يتعين »
(٤) في ب « والدار اذا »
(٥) في ب « غير »
(٦) في أ « فلو »
(٧) في أ « لانه » يتعين
(٨) في أ « فيتعين »
(٩) في ب « غير »
(١٠) ليست موجودة في ب
(١١) في ب « فسقط »
(١٢) في ب « للعيد »

ولو [1] اشترى رب المال طعاماً[2] لعبيده[3] لا يكون للتجارة إلا بالنية[4] .

والفرق أن المضارب مأمور بالتجارة فكان (ما يشتريه[5]) للتجارة ، إذ لو لم يجعل ما يشتريه للتجارة لصار (مخالفاً[6] ويكون) ضامناً ، فإذا لم نجعله ضامناً فقد جعلنا ما اشتراه للتجارة ، وإذا كان مأموراً بالتجارة فكان ما يشتريه للتجارة لم يحتج فيه الى (النية[7]) .

وليس كذلك رب المال ، لأنه غير مأمور بالتجارة ، وله أن يشتريه للتجارة ولغيره ، وشراؤه يصلح لهما جميعاً ، [8]فالظاهر انما يشتريه[8] للمهنة وانما يصرف الى التجارة بقرينة وهي النية ، فإن وجدت النية كانت للتجارة ، وإلا فلا .

٥٤ ـ الزكاة[9] تجب في الدراهم والدنانير (ينوي[10] بها) التجارة أو لم ينو . ولا تجب الزكاة في العروض إلا بنية[11] التجارة .

والفرق أن الزكاة تجب في المال لكونه معرضاً للنماء ، والنماء[12] لا يحصل إلا بأحد[13] شيئين ، إما السوم أو التجارة ، فما[14] لم يعرض لواحد منهما لم تجب الزكاة ، ولا يكون معرضاً له[15] إلا بالنية .

وليس كذلك الدراهم والدنانير ، لأنه معرض للنماء بنفسه ، لأنه يقدر أن يصرفه فيما شاء[16] ليحصل به الربح ، ويمكنه أن يشتري به ما شاء كل وقت فصار

(١) في ب « واذا »
(٢) الزيادة من ب
(٣) في ب « للعبد »
(٤) في هامش أ « بلغت المقابلة بحمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله » .
(٥) في ب « ما يشتري به »
(٦) في ب « مخالفا فيكون »
(٧) في ب « بالنية »
(٨) في ب « الظاهر ان ما »
(٩) المبسوط جـ ٢ ص ١٩١
(١٠) في ب « نوى به »
(١١) في هامش أ « بالنية وهي النماء »
(١٢) في ب « وانما »
(١٣) في ب « لأحد »
(١٤) في ب « فيما لم يعرضه »
(١٥) الزيادة من ب
(١٦) ليست موجودة في ب

كالمعد بالنية ، ولأنه لو[1] (قصد الى نقله الى الذهب والفضة بأن نوى التجارة[2]) تجب الزكاة في العروض (فلأن تجب[3] إذا) تحقق القصد انتقل أولى وأحق[4] .

٥٥ ـ الصباغ[5] إذا اشترى العصفر والزعفران ليصنع به ثياب الناس بالأجرة ، والسمن[6] ليدبغ به الجلد ، فحال الحول عنده لزمه زكاة التجارة .

والقصار إذا اشترى الاشنان والصابون والحطب للتنور والملح فلا زكاة فيه .

والفرق أن الصبغ معد[7] للاعتياض عنه[8] ، لأن ما يؤخذ[9] من الأجر يكون في الحكم كالعوض عن هذه الأعيان ، فوجب الزكاة فيها كالسلع المعدة[10] للبيع .

وليس كذلك القصار ، لأن الاشنان والصابون لا يعد للاعتياض عن عينها ، لأنها تتلف[11] ولا يقع التسليم في[12] عينها الى صاحب الثوب ، فصار كأداة القصارين من المدقة[13] والقدر وما أشبهها[14] ولا زكاة فيها ، لأن التسليم لا يقع فيها ، كذلك هذا .

٥٦ ـ عبد للتجارة قتله عبد آخر خطأً فدفع[15] مكانه فالثاني للتجارة .

(١) الزيادة من ب
(٢) في أ « للتجارة »
(٣) في أ « فاذا »
(٤) الزيادة من ب
(٥) المبسوط جـ ٢ ص ١٩٨
(٦) في ب « والثمن »
(٧) في ب « معتد »
(٨) فوق السطر أ « كالبيع ـ صح »
(٩) في ب « ما يأخذه »
(١٠) في ب « المعتدة »
(١١) في أ « تنقلب »
(١٢) في هامش أ « من »
(١٣) في ب « المرقة »
(١٤) في ب « وما اشبهه »
(١٥) في ب « ودفع »

ولو (١) اشترى رب المال طعاماً(٢) لعبيده(٣) لا يكون للتجارة إلا بالنية(٤) .

والفرق أن المضارب مأمور بالتجارة فكان (ما يشتريه٥) للتجارة ، إذ لو لم يجعل ما يشتريه للتجارة لصار (مخالفاً٦ ويكون) ضامناً ، فإذا لم نجعله ضامناً فقد جعلنا ما اشتراه للتجارة ، وإذا كان مأموراً بالتجارة فكان ما يشتريه للتجارة لم يحتج فيه الى (النية٧) .

وليس كذلك رب المال ، لأنه غير مأمور بالتجارة ، وله أن يشتريه للتجارة ولغيره ، وشراؤه يصلح لهما جميعاً ، (٨فالظاهر انما يشتريه٨) للمهنة وانما يصرف الى التجارة بقرينة وهي النية ، فإن وجدت النية كانت للتجارة ، وإلا فلا .

٥٤ ـ الزكاة(٩) تجب في الدراهم والدنانير (ينوي١٠ بها) التجارة أو لم ينو . ولا تجب الزكاة في العروض إلا بنية(١١) التجارة .

والفرق أن الزكاة تجب في المال لكونه معرضاً للنماء ، والنماء(١٢) لا يحصل إلا بأحد(١٣) شيئين ، إما السوم أو التجارة ، فما(١٤) لم يعرض لواحد منهما لم تجب الزكاة ، ولا يكون معرضاً له(١٥) إلا بالنية .

وليس كذلك الدراهم والدنانير ، لأنه معرض للنماء بنفسه ، لأنه يقدر أن يصرفه فيما شاء(١٦) ليحصل به الربح ، ويمكنه أن يشتري به ما شاء كل وقت فصار

(١) في ب « واذا »
(٢) الزيادة من ب
(٣) في ب « للعيد »
(٤) في هامش أ « بلغت المقابلة بحمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله » .
(٥) في ب « ما يشتري به »
(٦) في ب « مخالفا فيكون »
(٧) في ب « بالنية »
(٨) في ب « الظاهر ان ما »
(٩) المبسوط جـ ٢ ص ١٩١
(١٠) في ب « نوى به »
(١١) في هامش أ « بالنية وهي النماء »
(١٢) في ب « وانما »
(١٣) في ب « لأحد »
(١٤) في ب « فيما لم يعرضه »
(١٥) الزيادة من ب
(١٦) ليست موجودة في ب

كالمعد بالنية ، ولأنه لو(١) (قصد الى نقله الى الذهب والفضة بأن نوى التجارة(٢)) تجب الزكاة في العروض (فلأن تجب٣ إذاً) تحقق القصد انتقل أولى وأحق(٤) .

٥٥ ـ الصباغ(٥) إذا اشترى العصفر والزعفران ليصنع به ثياب الناس بالأجرة ، والسمن(٦) ليدبغ به الجلد ، فحال الحول عنده لزمه زكاة التجارة .

والقصار إذا اشترى الاشنان والصابون و الحطب للتنور والملح فلا زكاة فيه .

والفرق أن الصبغ معد(٧) للاعتياض عنه(٨)، لأن ما يؤخذ(٩) من الأجر يكون في الحكم كالعوض عن هذه الأعيان ، فوجب الزكاة فيها كالسلع المعدة(١٠) للبيع .

وليس كذلك القصار ، لأن الاشنان والصابون لا يعد للاعتياض عن عينها ، لأنها تتلف(١١) ولا يقع التسليم في(١٢) عينها الى صاحب الثوب ، فصار كأداة القصارين من المدقة(١٣) والقدر وما أشبهها(١٤) ولا زكاة فيها ، لأن التسليم لا يقع فيها ، كذلك هذا .

٥٦ ـ عبد للتجارة قتله عبد آخر خطأ فدفع(١٥) مكانه فالثاني للتجارة .

(١) الزيادة من ب
(٢) في أ « للتجارة »
(٣) في أ « فاذا »
(٤) الزيادة من ب
(٥) المبسوط جـ ٢ ص ١٩٨
(٦) في ب « والثمن »
(٧) في ب « معتد »
(٨) فوق السطر أ « كالبيع ـ صح »
(٩) في ب « ما يأخذه »
(١٠) في ب « المعتدة »
(١١) في أ « تنقلب »
(١٢) في هامش أ « من »
(١٣) في ب « المرقة »
(١٤) في ب « وما اشبهه »
(١٥) في ب « ودفع »

بدخوله ، فقد حدث[1] له ملك[2] جديد وأقر[3] بعتق متقدم عليه ، فلو صدقناه لنفذناه في ملك متقدم ، والعتق المتقدم لا يسري في الملك المتأخر ، فلا ينفذ ذلك العتق ، فبقي رقيقاً وقت الدخول فأخذ منه الحق .

فإذا لم يولد لمثله لا ينفذ[4] استيلاده والعتق[4] أيضاً ، إلا أن إقراره يتضمن عتقه عليه فصدقناه في حقه فعتق عليه .

٦١ - إذا استخرج الحربي المستأمن معدنا في دار الاسلام بغير[5] اذن الامام ، كان لبيت المال ولا شيء له .

وان عمل في المعدن بإذن الامام أخذ منه الخمس والباقي له .

والفرق أن دار الاسلام في أيدي[6] المسلمين ، وهو 'لعقد الامان'[7] التزم الكف عن أخذ ما في أيديهم ، ويد المسلمين ثابته[8] على الدار ، فقد أخذ مالاً مما[9] في أيدي المسلمين فاسترد منه ، كما لو أخذ من يد مسلم .

وليس كذلك إذا كان بإذنه ، لأن الامام لما أذن له فقد استأجره لعمل المسلمين ، لما رأى فيه من المصلحة ، وجعل ما يخرج 'عمالة له'[10]، فصار كما لو استأجره لهم لاستصلاح قنطرة ، فإنه يجوز كذلك هذا[11]

٦٢ - وإذا[12] دفن ماله[13] في أرضه حتى خفي عليه موضعه ، ومضت عليه[14] سنون ثم وجده فلا زكاة عليه .

---

(١) تحت السطر أ « تجدد »
(٢) في أ « الملك »
(٣) في ب « فاقر »
(٤) في ب « استيلاد العتق »
(٥) في ب « تعين »
(٦) في أ « يدي »
(٧) في أ « بالامان »
(٨) في ب « نائبة »
(٩) في ب « بما »
(١٠) في أ « عما بداه » وفيه تصحيح بحبر آخر وتحتها في هامش أ « ما يخرج عمالة له . خ » وفي ب « كما له له » وأظن أن ناسخ (ب) اشتبه عليه العين مع الميم .
(١١) في ب « هذان »
(١٢) المبسوط جـ ٢ ص ٢١٠
(١٣) في ب «مال »
(١٤) ليست موجودة في ب

ولو دفنه في بيته فنسي موضعه ثم ذكره بعد سنين وجبت[1] الزكاة لما مضى .

والفرق أن أرضه ليست بحرز له ، بدليل أنه لو سرق منها نصاباً لم يقطع ، فصار المال خارجاً عن يده وتصرفه ، فلا تجب[2] عليه زكاة ، كالمال المغصوب والدين المجحود .

وليس[3] كذلك المدفون في بيته ، لأن بيته حرز له ، بدليل أنه لو سرق منه[4] نصاباً يقطع[5]، فصار كما لو نسي في صندوقه[6] أو جيبه تجب[7] فيه الزكاة كذلك هذا .

٦٣ - إذا اشترى رجل بدراهم عبداً ولم ينو التجارة[8]، لا يكون للتجارة .

ولو اشترى عبداً بعبد 'كان للتجارة[9]'كان الثاني للتجارة .

والفرق أن العبد للتجارة بدل مال للتجارة ، والبدل يسري[10] حكم الأصل اليه ، ألا ترى أن بدل مال المضاربة وبدل مال الشركة 'وبدل[11] جارية المهْنَة حكمه' حكم المبدل ، لأنه يخلفه[12] ويقوم مقامه ، فصار الثاني كالأول ، 'والأول[13] للتجارة كذا[14] الثاني .

وأما الدراهم فليست هي[15] مال التجارة ، 'لأن مال[16] التجارة' إذا أعد[17]

---

(١) في أ « وجب »
(٢) في أ « فلا يجب »
(٣) في ب « ولا كذلك »
(٤) ليست موجودة في ب
(٥) في ب « قطع »
(٦) في ب « وجيبه »
(٧) في أ « يجب »
(٨) في ب « للتجارة »
(٩) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٠) في ب « الشرعي »
(١١) في ب « ويدخل ربه المهنة تكون حكمه »
(١٢) في ب « مخلفة »
(١٣) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٤) في أي « كذي » وفي ب « كذلك »
(١٥) في أ « هو »
(١٦) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٧) في أ « اعدت »

ولو قتل عمداً فصالح من [١]دم العمد[١] على عبد[٢] وعرض فليس للتجارة .

والفرق أن في قتل الخطأ الواجب مال وهو القيمة ، فصار المأخوذ بدلاً عما هو مال ، فصار كما لو باعه بالثاني[٣] .

وأما إذا كان القتل عمداً فالواجب القصاص ، وهو ليس بمال فلم يكن المأخوذ بدلاً عن مال التجارة ، فلم ينتقل حكم الأول اليه ، فصار[٤] كأنه ملكه بالهبة [٥]أو بالارث ابتداء ، فلا يصير للتجارة إلا بالتجارة[٥] .

٥٧ ـ هشام[٦] عن محمد في رجل له مال[٧] نوى أن يؤدي الزكاة عنها[٨]، وجعل يتصدق الى آخر السنة ، ولا تحضره[٩] النية فإنه لا يجزيه .

ولو أخرج دراهم فصرها[١٠] في كِنّ[١١] وقال : هذا من الزكاة ، فجعل يتصدق منها ولا تحضره[١٢] النية . قال : أرجو أن يجزيه .

والفرق أن تعيين[١٣] النية عن الزكاة شرط[١٤]، ولم يوجد إذا فرق الدفع من غير نية[١٥] .

وليس كذلك إذا جمعها في صرة ، لأنه عينها لهذه الجهة وعرضها لها ،

(١) في ب « الدم »
(٢) في ب « اعيد »
(٣) في ب « بالثلا »
(٤) في ب « وصار »
(٥) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(٦) هو : هشام بن عبيد الله الرازي
(٧) في ب « ما »
(٨) في ب « منه »
(٩) في الهداية جـ١ ص ٦٩ « لا يجوز اداء الزكاة الا بنية مقارنة للاداء او مقارنة لعزل مقدار الواجب» في المبسوط جـ ٣ ص ٣٤
(١٠) في النسختين المذكور ، ولكن في أ اضاف اليها احد المصححين ياء وشكلها « فصيرها »
(١١) في ب « كحد » ! والكِنّ : السترة .
(١٢) في أ « ولا تحضره »
(١٣) في ب « تتعين »
(١٤) في ب « يشرط »
(١٥) في ب « غير النية »

واحضار النية مع كل جزء [١]ليس[١] بشرط، فمتى أخره الى ما عرضه قصده .

هذا كما قلنا في الرجل اذا اشترى شاة للأضحية ، فذبحها غ صح ولو [٢]لم يشتر[٢] للأضحية ولم يعينها لهذه الجهة ، فذب يجزه[٣] ، كذلك هذا .

٥٨ ـ ابن[٤] رستم عن محمد فيمن أودع رجلاً لا يعرفه مالاً بعد سنين قال : لا زكاة عليه فيه .

وان أودعه[٥] رجلاً يعرفه فنسيه[٦] سنين ثم ذكره[٧] فإنه يزك

والفرق أنه إذا أودعه[٨] إلى من لا يعرفه فهو مضيع ، بدليل أ ارتجاعه فصار[٩] كما لو دفنه[١٠] في مغارة ونسيه .

وإذا أودع إلى[١١] من يعرفه فهو [١٢]ليس بمضيع[١٢]، بدليل أنه يق متى شاء ، ويد المودع كيد[١٣] المودع فصار كما لو كان في صندوقه ون كذلك وجبت[١٤] الزكاة ، كذا هذا .

٥٩ ـ إذا ادعى المسلم حين مر على العاشر أن حوله لم يتم ، يحيط بماله ، أو هذا مال غيره ، أو أنه ليس للتجارة ، وحلف على

(١) في ب « فليس بشرط »
(٢) في ب « ولو اخر يشتري »
(٣) في ب « لم يجز »
(٤) هو : ابراهيم بن رستم المروزي
(٥) في ب « أودع »
(٦) تحت السطر في أ « ونسيه »
(٧) في ب « تذكر »
(٨) في ب « دفعه »
(٩) الزيادة من ب
(١٠) في ب « دفعه »
(١١) ليست موجودة في ب
(١٢) في ب « غير مضيع .
(١٣) في أ « يد »
(١٤) في أ « وجب »
(١٥) في ب « وعليه »

بدخوله ، فقد حدث(١) له ملك(٢) جديد وأقر(٣) بعتق متقدم عليه ، فلو صدقناه لنفذناه في ملك متقدم ، والعتق المتقدم لا يسري في الملك المتأخر ، فلا ينفذ ذلك العتق ، فبقي رقيقاً وقت الدخول فأخذ منه الحق .

فإذا لم يولد لمثله لا ينفذ(٤) استيلاده والعتق(٤) أيضاً ، إلا أن إقراره يتضمن عتقه عليه فصدقناه في حقه فعتق عليه .

٦١ - إذا استخرج الحربي المستأمن معدناً في دار الاسلام بغير(٥) اذن الامام ، كان لبيت المال ولا شيء له .

وان عمل في المعدن بإذن الامام أخذ منه الخمس والباقي له .

والفرق أن دار الاسلام في أيدي(٦) المسلمين ، وهو (العقد(٧) الامان) التزم الكف عن أخذ ما في أيديهم ، ويد المسلمين ثابته(٨) على الدار ، فقد أخذ مالاً مما(٩) في أيدي المسلمين فاسترد منه ، كما لو أخذ من يد مسلم .

وليس كذلك إذا كان بإذنه ، لأن الامام لما أذن له فقد استأجره لعمل المسلمين ، لما رأى فيه من المصلحة ، وجعل ما يخرج (عمالة(١٠) له) ، فصار كما لو استأجره لهم لاستصلاح قنطرة ، فإنه يجوز كذلك هذا(١١)

٦٢ - وإذا(١٢) دفن ماله(١٣) في أرضه حتى خفي عليه موضعه ، ومضت عليه(١٤) سنون ثم وجده فلا زكاة عليه .

(١) تحت السطر أ « تجدد »
(٢) في أ « الملك »
(٣) في ب « فاقر »
(٤) في ب « استيلاد العتق »
(٥) في ب « تعين »
(٦) في أ « يدي »
(٧) في أ « بالامان »
(٨) في ب « نائبة »
(٩) في ب « بما »
(١٠) في أ « عما بداه » وفيه تصحيح بحبر آخر ونحتها في هامش أ « ما يخرج عمالة له . خ » وفي ب « كما له له » وأظن أن ناسخ (ب) اشتبه عليه العين مع الميم .
(١١) في ب « هذان »
(١٢) المبسوط جـ ٢ ص ٢١٠
(١٣) في ب « مال »
(١٤) ليست موجودة في ب

ولو دفنه في بيته فنسي موضعه ثم ذكره بعد سنين وجبت(١) الزكاة لما مضى .

والفرق أن أرضه ليست بحرز له ، بدليل أنه لو سرق منها نصاباً لم يقطع ، فصار المال خارجاً عن يده وتصرفه ، فلا تجب(٢) عليه زكاة ، كالمال المغصوب والدين المجحود .

وليس(٣) كذلك المدفون في بيته ، لأن بيته حرز له ، بدليل أنه لو سرق منه(٤) نصاباً يقطع(٥) ، فصار كما لو نسي في صندوقه(٦) أو جيبه تجب(٧) فيه الزكاة كذلك هذا .

٦٣ - إذا اشترى رجل بدراهم عبداً ولم ينو التجارة(٨) ، لا يكون للتجارة .

ولو اشترى عبداً بعبد (كان للتجارة(٩)) كان الثاني للتجارة .

والفرق أن العبد للتجارة بدل مال للتجارة ، والبدل يسري(١٠) حكم الأصل اليه ، ألا ترى أن بدل مال المضاربة وبدل مال الشركة (وبدل(١١) جارية المهنة حكمه(١١)) حكم المبدل ، لأنه يخلفه(١٢) ويقوم مقامه ، فصار الثاني كالأول ، والأول(١٣) للتجارة كذا(١٤) الثاني .

وأما الدراهم فليست هي(١٥) مال التجارة ، (لأن مال(١٦) التجارة) إذا أعد(١٧)

(١) في أ « وجب »
(٢) في أ « فلا يجب »
(٣) في ب « ولا كذلك »
(٤) ليست موجودة في ب
(٥) في ب « قطع »
(٦) في ب « وجيبه »
(٧) في أ « يجب »
(٨) في ب « للتجارة »
(٩) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٠) في ب « الشرعي »
(١١) في ب « ويدخل ربه المهنة تكون حكمه »
(١٢) في ب « مخلفة »
(١٣) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٤) في أبي « كذي » وفي ب « كذلك »
(١٥) في أ « هو »
(١٦) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٧) في أ « اعدت »

ولو قتل عمداً فصالح من [1]دم العمد[1] على عبد[2] وعرض فليس للتجارة .

والفرق أن في قتل الخطأ الواجب مال وهو القيمة ، فصار المأخوذ بدلاً عما هو مال ، فصار كما لو باعه بالثاني[3] .

وأما إذا كان القتل عمداً فالواجب القصاص ، وهو ليس بمال فلم يكن المأخوذ بدلاً عن مال التجارة ، فلم ينتقل حكم الأول اليه ، فصار[4] كأنه ملكه بالهبة [5]أو بالارث ابتداء ، فلا يصير للتجارة إلا بالتجارة[5] .

٥٧ ـ هشام[6] عن محمد في رجل له مال[7] نوى أن يؤدي الزكاة عنها[8]، وجعل يتصدق الى آخر السنة ، ولا تحضره[9] النية فإنه لا يجزيه .

ولو أخرج دراهم فصرها[10] في كِنّ[11] وقال : هذا من الزكاة ، فجعل يتصدق منها ولا تحضره[12] النية . قال : أرجو أن يجزيه .

والفرق أن تعيين[13] النية عن الزكاة شرط[14]، ولم يوجد إذا فرق الدفع من غير نية[15] .

وليس كذلك إذا جمعها في صرة ، لأنه عينها لهذه الجهة وعرضها لها ،

---

(١) في ب «الدم»
(٢) في ب «اعيد»
(٣) في ب «بالثلا»
(٤) في ب «وصار»
(٥) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(٦) هو : هشام بن عبيد الله الرازي
(٧) في ب «ما»
(٨) في ب «منه»
(٩) في الهداية جـ١ ص ٦٩ «لا يجوز اداء الزكاة الا بنية مقارنة للاداء او مقارنة لعزل مقدار الواجب» في المبسوط جـ ٣ ص ٣٤
(١٠) في النسختين المذكور ، ولكن في أ اضاف اليها احد المصححين ياء وشكلها «فصيرها»
(١١) في ب «كحد» ! والكِنّ : السترة .
(١٢) في أ «ولا تحضره»
(١٣) في ب «تتعين»
(١٤) في ب «بشرط»
(١٥) في ب «غير النية»

واحضار النية مع كل جزء [1]ليس بشرط[1]، فمتى أخره الى ما عرضه له و قصده .

هذا كما قلنا في الرجل اذا اشترى شاة للأضحية ، فذبحها غيره بغ صح ولو [2]لم يشتر[2] للأضحية ولم يعينها لهذه الجهة ، فذبحها يجزه[3] ، كذلك هذا .

٥٨ ـ ابن[4] رستم عن محمد فيمن أودع رجلاً لا يعرفه مالاً ، بعد سنين قال : لا زكاة عليه فيه .

وان أودعه[5] رجلاً يعرفه فنسيه[6] سنين ثم ذكره[7] فإنه يزكيه .

والفرق أنه إذا أودعه[8] إلى من لا يعرفه فهو مضيع ، بدليل أنه لا ارتجاعه فصار[9] كما لو دفنه[10] في مغارة ونسيه .

وإذا أودع إلى[11] من يعرفه فهو [12]ليس بمضيع[12]، بدليل أنه يقدر أ متى شاء ، ويد المودع كيد[13] المودع فصار كما لو كان في صندوقه ونسيه كذلك وجبت[14] الزكاة ، كذا هذا .

٥٩ ـ إذا ادعى المسلم حين مر على العاشر أن حوله لم يتم ، أو[15] يحيط بماله ، أو هذا مال غيره ، أو أنه ليس للتجارة ، وحلف على ذلك

---

(١) في ب «فليس بشرط»
(٢) في ب «ولو أخر يشتري»
(٣) في ب «لم يجز»
(٤) هو : ابراهيم بن رستم المروزي
(٥) في ب «أودع»
(٦) تحت السطر في أ «ونسيه»
(٧) في ب «تذكر»
(٨) في ب «دفعه»
(٩) الزيادة من ب
(١٠) في ب «دفعه»
(١١) ليست موجودة في ب .
(١٢) في ب «غير مضيع» .
(١٣) في أ «يد»
(١٤) في أ «وجب»
(١٥) في ب «وعليه»

ولو قتل عمداً فصالح من [١]دم العمد[١] على عبد[٢] وعرض فليس للتجارة .

والفرق أن في قتل الخطأ الواجب مال وهو القيمة ، فصار المأخوذ بدلاً عما هو مال ، فصار كما لو باعه بالثاني[٣] .

وأما إذا كان القتل عمداً فالواجب القصاص ، وهو ليس بمال فلم يكن المأخوذ بدلاً عن مال التجارة ، فلم ينتقل حكم الأول اليه ، فصار[٤] كأنه ملكه بالهبة [٥]أو بالارث ابتداء ، فلا يصير للتجارة إلا بالتجارة[٥] .

٥٧ ـ هشام[٦] عن محمد في رجل له مال[٧] نوى أن يؤدي الزكاة عنها[٨]، وجعل يتصدق الى آخر السنة ، ولا تحضره[٩] النية فإنه لا يجزيه .

ولو أخرج دراهم فصرها[١٠]في كنّ[١١] وقال : هذا من الزكاة ، فجعل يتصدق منها ولا تحضره[١٢] النية . قال : أرجو أن يجزيه .

والفرق أن تعيين[١٣] النية عن الزكاة شرط[١٤]، ولم يوجد إذا فرق الدفع من غير نية[١٥] .

وليس كذلك إذا جمعها في صرة ، لأنه عينها لهذه الجهة وعرضها لها ،

(١) في ب « الدم »
(٢) في ب « اعيد »
(٣) في ب « بالثلا »
(٤) في ب « وصار »
(٥) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(٦) هو : هشام بن عبيد الله الرازي
(٧) في ب « ما »
(٨) في ب « منه »
(٩) في الهداية جـ١ ص ٦٩ « لا يجوز اداء الزكاة الا بنية مقارنة للاداء او مقارنة لعزل مقدار الواجب» في المبسوط جـ ٣ ص ٣٤
(١٠) في النسختين المذكور ، ولكن في أ اضاف اليها احد المصححين ياء وشكلها « فصيرها »
(١١) في ب « كحد » ! والكِنّ : السترة .
(١٢) في أ « ولا تحضره »
(١٣) في ب « تتعين »
(١٤) في ب « يشرط »
(١٥) في ب « غير النية »

واحضار النية مع كل جزء [١]ليس بشرط[١]، فمتى أخره الى ما عرضه له وقع عما قصده .

هذا كما قلنا في الرجل اذا اشترى شاة للأضحية ، فذبحها غيره بغير أمره صح ولو [٢]لم يشتر[٢] للأضحية ولم يعينها لهذه الجهة ، فذبحها غيره لم يجزه[٣] ، كذلك هذا .

٥٨ ـ ابن[٤] رستم عن محمد فيمن أودع رجلاً لا يعرفه مالاً ، ثم أصابه بعد سنين قال : لا زكاة عليه فيه .

وان أودعه[٥] رجلاً يعرفه فنسيه[٦] سنين ثم ذكره[٧] فإنه يزكيه .

والفرق أنه إذا أودعه[٨] إلى من لا يعرفه فهو مضيع ، بدليل أنه لا يقدر على ارتجاعه فصار[٩] كما لو دفنه[١٠] في مغارة ونسيه .

وإذا أودع إلى[١١] من يعرفه فهو [١٢]ليس بمضيع[١٢]، بدليل أنه يقدر أن يرتجعه متى شاء ، ويد المودع كيد[١٣] المودع فصار كما لو كان في صندوقه ونسيه ، ولو كان كذلك وجبت[١٤] الزكاة ، كذا هذا .

٥٩ ـ إذا ادعى المسلم حين مر على العاشر أن حوله لم يتم ، أو[١٥] عليه دين يحيط بماله ، أو هذا مال غيره ، أو أنه ليس للتجارة ، وحلف على ذلك صدق .

(١) في ب « فليس بشرط »
(٢) في ب « ولو أخر يشتري »
(٣) في ب « لم يجز »
(٤) هو : ابراهيم بن رستم المروزي
(٥) في ب « أودع »
(٦) تحت السطر في أ « ونسيه »
(٧) في ب « تذكر »
(٨) في ب « دفعه »
(٩) الزيادة من ب
(١٠) في ب « دفعه »
(١١) ليست موجودة في ب .
(١٢) في ب « غير مضيع » .
(١٣) في أ « يد »
(١٤) في أ « وجب »
(١٥) في ب « وعليه »

ولا يصدق الحربي في شيء منه .

والفرق أن المأخوذ من المسلم زكاة ، والزكاة لا تجب الا لوجود شرائطها ، فإذا لم يكن يقر[1] به "لم يلزمه" فالمصدق يدعى عليه الحق[3] وهو ينكر فكان[4] القول قوله مع يمينه ، كما لو حضر المصدق وقال : لك سوائم[5] فأدّ زكاتها[6] فجحد ، فالقول قوله، كذلك هذا .

وأما الحربي فالمأخوذ منه ليس على وجه الزكاة ، فلا تعتبر[7] فيه شرائط الزكاة : من[8] الملك وحولان[9] الحول ، وإنما يؤخذ منه[10] للكف عن "الغنيمة[11] وتغنيم" ما في يده على وجه المجازاة ، والمكافأة ، ومال غيره يحتاج الى الأمان كماله[12]، وكون الدين عليه يوجب نقصان ملكه ، والحربي ناقص الملك في الأصل ، فلا يمنع جواز الأخذ منه فيؤخذ .

٦٠ - إذا[13] قال الحربي الذي في يده مماليك للعاشر : أن هذا الغلام ولدي ، أو هو مد بري ، أو هذه الجارية أم ولدي ، يصدق على ذلك ولا يؤخذ منه الحق .

وذكر في المنتقى عن أبي حنيفة رحمه الله عليه في الحربي إذا قال لرجال[14] [في]يده : وهؤلاء بني . ومثلهم لا يولدون لمثله . قال : يعشرون ويعتقون عليه[15] .

---

(١) في هامش أ ، مقرا ، صح
(٢) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(٣) ليست موجودة في ب
(٤) في ب ، فالقول ،
(٥) في ب ، سويم ،
(٦) في ب ، ركنها ،
(٧) في أ ، فلا يعتبر ،
(٨) في أ ، في ،
(٩) في ب ، وحول ،
(١٠) ليست موجودة في ب
(١١) في ب ، تغنيمه وتغنيم ،
(١٢) ليست موجودة في ، ب ،
(١٣) المبسوط جـ ٢ ص ٢٠٠ .
(١٤) في أ ، لرجل ،
(١٥) الزيادة من ب

وحكى عن أصحابنا[1] انه لو[2] قال : هذا كان عبدي اعتقته[3] ، أو قال : هذا مدبري لا يصدق .

والفرق أن الظاهر أن ما في يده ملك له ، فإذا قال : هذا ولدي أو[4] هذه أم ولدي . والنسب مما[5] يصح ثبوته في دار الحرب كما يصح في دار الاسلام فأثبتنا[6] نسبه منه في الحال ، وهو على اثبات النسب بدعواه فنفذنا[7] دعواه ، "فصاروا[8] ولداً" له من حين العلوق في دار الحرب فلا يجب فيه شيء .

وإذا كان أكبر سناً منه لم يجز اثبات النسب ، فصار مقراً بإعتاقه في دار الحرب ، وعتقه في دار الحرب لا ينفذ عند أبي حنيفة ، فلم يظهر انه لم يكن ملكاً إلا أنه أقر بعتقه في الحال فنفذناه واعتقناه .

وكذلك العتق والتدبير في دار الحرب لا يجوز .

ووجه آخر أنه لما[9] دخل دار[10] الاسلام بمال له تحقق له ملك الآن ، لأنه لا يغنمه[11] عليه ، فإذا قال : هذا ابني ، أو[12] هذه أم ولدي ، "فإذا انفذنا[13] اقراره انفذنا[14] استيلاء منه في دار الحرب في ملك يحدث[15] في دار الاسلام ، والاستيلاد المتقدم يسري في الملك المتأخر .

وليس كذلك العتق والتدبير ، لأنه انما تحقق[16] له ملك في دار الاسلام

---

(١) المراد ، بأصحابنا ، أئمتنا الثلاثة حاشية ابن عابدين جـ ٣ ص ٤٦٨
(٢) زيادة من ب
(٣) في ب ، اعتقه ،
(٤) في ، وهذه ،
(٥) في ب ، ما ،
(٦) في ب ، فاستثنى ،
(٧) في ب ، لنفذنا ،
(٨) في ب ، فصار ذلك ،
(٩) في أ ، كما ،
(١٠) زيادة من ب
(١١) ، الا أنا لا نعتقه ،
(١٢) في ب ، وهذه ،
(١٣) في ب ، فلو نفذنا ،
(١٤) في ب ، لنفذنا ،
(١٥) في هامش ، تجدد ،
(١٦) في ب ، يحقق ،

بدخوله ، فقد حدث[1] له ملك[2] جديد وأقر[3] بعتق متقدم عليه ، فلو صدقناه لنفذناه في ملك متقدم ، والعتق المتقدم لا يسري في الملك المتأخر ، فلا ينفذ ذلك العتق ، فبقي رقيقاً وقت الدخول فأخذ منه الحق .

فإذا لم يولد لمثله لا ينفذ[4] استيلاده والعتق[4] أيضاً ، إلا أن إقراره يتضمن عتقه عليه فصدقناه في حقه فعتق عليه .

٦١ - إذا استخرج الحربي المستأمن معدناً في دار الاسلام بغير[5] اذن الامام ، كان لبيت المال ولا شيء له .

وان عمل في المعدن بإذن الامام أخذ منه الخمس والباقي له .

والفرق أن دار الاسلام في أيدي[6] المسلمين ، وهو (العقد[7] الامان) التزم الكف عن أخذ ما في أيديهم ، ويد المسلمين ثابته[8] على الدار ، فقد أخذ مالاً مما[9] في أيدي المسلمين فاسترد منه ، كما لو أخذ من يد مسلم .

وليس كذلك إذا كان بإذنه ، لأن الامام لما أذن له فقد استأجره لعمل المسلمين ، لما رأى فيه من المصلحة ، وجعل ما يخرج (عمالة له[10])، فصار كما لو استأجره لهم لاستصلاح قنطرة ، فإنه يجوز كذلك هذا[11][12]

٦٢ - وإذا[12] دفن ماله[13] في أرضه حتى خفي عليه موضعه ، ومضت عليه[14] سنون ثم وجده فلا زكاة عليه .

(١) تحت السطر أ « تجدد »
(٢) في أ « الملك »
(٣) في ب « فأقر »
(٤) في ب « استيلاد العتق »
(٥) في ب « تعين »
(٦) في أ « يدي »
(٧) في أ « بالامان »
(٨) في ب « نائبة »
(٩) في ب « بما »
(١٠) في أ « عما بداه » وفيه تصحيح بحبر آخر وتحتها في هامش أ « ما يخرج عمالة له . خ » وفي ب « كما له له » وأظن أن ناسخ (ب) اشتبه عليه العين مع الميم .
(١١) في ب « هذان »
(١٢) المبسوط جـ ٢ ص ٢١٠
(١٣) في ب « مال »
(١٤) ليست موجودة في ب

ولو دفنه في بيته فنسي موضعه ثم ذكره بعد سنين وجبت[1] الزكاة لما مضى .

والفرق أن أرضه ليست بحرز له ، بدليل أنه لو سرق منها نصاباً لم يقطع ، فصار المال خارجاً عن يده وتصرفه ، فلا تجب[2] عليه زكاة ، كالمال المغصوب والدين المجحود .

وليس[3] كذلك المدفون في بيته ، لأن بيته حرز له ، بدليل أنه لو سرق منه[4] نصاباً يقطع[5]، فصار كما لو نسي في صندوقه[6] أو جيبه تجب[7] فيه الزكاة كذلك هذا .

٦٣ - إذا اشترى رجل بدراهم عبداً ولم ينو التجارة[8]، لا يكون للتجارة .

ولو اشترى عبداً بعبد (كان للتجارة[9])كان الثاني للتجارة .

والفرق أن العبد للتجارة بدل مال للتجارة ، والبدل يسري[10] حكم الأصل اليه ، ألا ترى أن بدل مال المضاربة وبدل مال الشركة (وبدل[11] جارية المهْنَة حكمه[11] حكم المبدل ، لأنه يخلفه[12] ويقوم مقامه ، فصار الثاني كالأول ، والأول[13] للتجارة كذا[14] الثاني .

وأما الدراهم فليست هي[15] مال التجارة ، (لأن مال[16] التجارة) إذا أعد[17]

(١) في أ « وجب »
(٢) في أ « فلا يجب »
(٣) في ب « ولا كذلك »
(٤) ليست موجودة في ب
(٥) في ب « قطع »
(٦) في ب « وجيبه »
(٧) في أ « يجب »
(٨) في ب « للتجارة »
(٩) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٠) في ب « الشرعي »
(١١) في ب « ويدخل ربه المهنة تكون حكمه »
(١٢) في ب « مخلفة »
(١٣) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٤) في أي « كذي » وفي ب « كذلك »
(١٥) في أ « هو »
(١٦) ما بين القوسين ليس موجودا في ب
(١٧) في أ « اعدت »

للمَهْنَة لا تجب(1) الزكاة ، ولو(2) اتخذ من الدراهم حلى وجبت(3) الزكاة ، دل(4) انها ليست بمال التجارة وانما هي(5) مال الزكاة ، وإذا لم يكن بدل مال التجارة لم تجب(6) الزكاة . وأما(7) الدراهم فالشراء لا يقع بالدراهم التي تجب فيها الزكاة ، لأنها لا تتعين(8) وانما يقع بمضمون في ذمته ، وما في الذمة لا زكاة فيه ، وحكم بدله(9) حكم أصله ولا زكاة في الأصل . كذلك في(10) بدله .

٦٤ ـ إذا وجب في ماله أربع شياه ، فأدى ثلاثاً(11) سماناً تساوي(12) أربعاً وسطا جاز .

ولو وجبت عليه أضحيتان ، فذبح واحدا منهما(13) سميناً يساوي وسطين لم يجز .

والفرق أن المقصود من الزكاة سد الخَلَّة(14) ودفع الحاجة ، بدليل انها وجبت لأجل الحاجة ، وسد الخَلَّة يحصل بالثلاث السمان كما يحصل بالأربع الأوساط فجاز . وليس كذلك الأضحية ، لأن المقصود منها اراقة الدم ، بدليل انه لو تصدق بالعين قبل الذبح لم يجزه(15) ، واراقة دمين لا يكون(16) معادلاً لدم واحد ، فمعنى(17) الاثنين لم يوجد في الواحد فلم يجز ، كما لو وجب عليه(17) عتق رقبتين فاعتق رقبة قيمتها قيمة رقبتين وسطين لم يجزه(18) كذلك هذا . والله أعلم .

* * *

(1) في أ « لا يجب »
(2) في ب « فلو »
(3) في أ « يجب »
(4) في هامش أ « لانها ليست للتجارة »
(5) في أ « هو »
(6) في أ « لم يجب »
(7) في ب « أو تقول » .
(8) في أ « لا يتعين »
(9) في ب « حكم به له »
(10) ليست موجودة في ب
(11) في ب « ثلثاها »
(12) في أ « يساوي »
(13) ليست موجودة في ب
(14) في ب « سد خلة الفقراء ودفع » والخَلَّة بالفتح : الحاجة والفقر . لسان العرب .
(15) في أ « لم يجز »
(16) في ب « معادل الدم الواحد فمضى »
(17) ليست موجودة في ب
(18) في ب « لم يجز »

« كتاب الصوم »

٦٥ ـ لو أن رجلاً جامع امرأته أو أفطرت بالأكل متعمدة ، ثم حاضت أو مرضت في ذلك اليوم ، فلا كفارة عليها .

ولو(1) أنها سافرت في ذلك اليوم فعليها الكفارة .

والفرق أن الحيض ليس من فعلها ، بدليل أنها لا تؤمر به ولا تنهى عنه ، فعرف بأنه(2) ليس من فعل آدمي(3) أن(4) صوم ذلك اليوم غير واجب عليها ، فلا تلزمها(5) الكفارة ، كما لو أصبحت صائمة ثم أفطرت ثم تبين أنه ليس من رمضان ، فإنه لا يلزمها شيء كذلك هذا .

وليس كذلك إذا سافرت ، لأن السفر من فعلها ، بدليل أنه يجوز أن تؤمر به وتنهى عنه ، فاتهمت في انشائه(6) ، فصارت بقصد(7) السفر تسقط الكفارة عن نفسها ، والسفر لا يجزئ عن الكفارة فبقيت واجبة عليها .

ومن أصحابنا من قال أن في الحيض لا كفارة(8) ، وأن(9) في المرض الكفارة .

٦٦ ـ إذا(10) احتجم الصائم فظن أن ذلك(11) أفسد صومه فأكل بعد ذلك متعمداً(12) فإنه يلزمه الكفارة إذا(13) لم يتأول الخبر ولم يفت بالافطار .

(1) في ب « وان سافرت »
(2) في ب « فقد بان بما » في هامش أ « فقدما ما ليس من فعل آدمي فعرف الصوم » وفي هامش آخر « فعد بأنها » .
(3) في ب « الأدمي »
(4) في هامش أ « وبدليل » صح
(5) في أ « فلا يلزمها »
(6) في ب « امشائه »
(7) في ب « تقصد »
(8) في ب « لكفارة »
(9) ليست موجودة في ب
(10) الهداية جـ ١ ص ٩٣
(11) في ب « ذلك »
(12) في أ « متعمد »
(13) في ب « واذا »

منه غاصب آخر ثم غنم المسلمون ذلك الشيء فهو فيء ، ويأخذه بالقيمة بعد القسمة وقبلها[1] بغير شيء ، لأنه لم يكن مضموناً على الغاصب الثاني حين أخذ ، لأنه أخذ في دار الحرب حيث لا يد للامام عليه ، ولم يلزمه[2] حكم دارنا ، وكذلك لو ارتد ثم غصب ثم لحق بالدار ثم لحقه[3] صاحبه فرده عليه ثم غصبه[4] ثانياً فهو للغاصب ، لأنه لما رده عليه زال الضمان ، والغصب الثاني لم يوجب ضماناً .

فصل

٣٩٨ ـ اذا اشترى المستأمن من أرض الخراج وجب عليه الخراج[5] ، وصار ذمياً

ولو مر على العاشر بمال فأخذ[6] منه العشر لم يصر ذمياً .

والفرق أن الخراج انما هو من الحقوق التي تجب على أهل الذمة ، فصار الحكم بوجوبه عليه حكماً بكونه من أهل الذمة ، وصار ملتزماً حكم الذمة فالزم[7] حكمه ، وصار ذمياً كما لو قبل الجزية .

والعشر لا يجب على أهل الذمة ، لأن الذمي يؤخذ منه نصف العشر (8ومن الحربي يؤخذ8) العشر كاملاً ، وان زادوا في الأخذ منا زدنا فلم (9يكن بالتزامه9) ملتزماً حكم الذمة ، فلم يصر ذمياً .

ولأن الخراج لا يجب في السنة الا مرة واحدة[10] ، والمستأمن لا يمكن من[11]

(1) في أ : وقبله .
(2) في أ : ولم يكن من .
(3) في ب : لحق .
(4) في أ : غصب .
(5) في ب : خراج .
(6) في أ : وأخذ .
(7) في أ : فالتزم .
(8) في ب : ويؤخذ من الحربي .
(9) في ب : فلم يمكن بالزامه .
(10) ليست موجودة في ب
(11) في ب : في .

دارنا سنة كاملة فاذا التزم[1] اداء الخراج وأداه فقد التزم المقام سنة كاملة ، ذمياً .

وأما عشر المال لا يعتبر فيه الحول ، فلم يكن بالتزامه ملتزماً المكث الاسلام سنة ، واذا لم يجر عليه حكم المكث في دارنا سنة لم يصر ذمياً .

٣٩٩ ـ اذا اشترى جارية من أهل[2] الحرب ، قد كان المشركون اص من مسلم فولدت ، فقتل الولد وأخذ[3] المشتري ارشه[4] لم يكن لصاحبها يأخذ الارش ، ولكن يأخذ الأم بجميع الثمن .

وبمثله لو اشترى جارية فولدت قبل القبض ، فقتل الولد وأخذ ا ارشه ، أو قتله البائع فللمشتري أن يأخذ الأم بحصتها[6] .

والفرق أن حق المولى لا يثبت في بدل الأم ، ولا[7] في بدل الولد ، انهما لو انتقلا الى البدل بأن قتلا لم يكن للمولى على القيمة سبيل ، فلو الثمن بينهما لجعلنا له حقاً في البدل ، وهذا لا يجوز ، فصار كأن الول يكن[8] ، فيأخذ[9] الأم بجميع الثمن .

وليس كذلك ولد المبيع ، لأن حق المشتري ثبت[10] في البدل ، بدليل الأم لو انتقلت الى البدل بقتل[11] أو غصب ثبت[12] حقه فيه[13] ، فصار الولد باق (لحاله[14] فقتل) كان له حصة ، (15كذلك هذا جاز ان يقسم عليه

(1) في ب : الزم .
(2) ليست موجودة في ب
(3) في ب : فأخذ .
(4) في ب : ارشها .
(5) في أ : لصاحبه .
(6) في ب : بقيمتها .
(7) في ب : لا ، ليست موجودة .
(8) ليست موجودة في ب
(9) في ب : فاخذ .
(10) في ب : يثبت .
(11) في ب : يقبل .
(12) في ب : ثلث .
(13) ليست موجودة في ب
(14) في ب : بحالة وقسم .
(15) في ب : جاز أن يقسم عليه هذا .

منه غاصب آخر ثم غنم المسلمون ذلك الشيء فهو فيء ، ويأخذه بالقيمة بعد القسمة وقبلها[1] بغير شيء ، لأنه لم يكن مضموناً على الغاصب الثاني حين أخذ ، لأنه أخذ في دار الحرب حيث لا يد للامام عليه ، ولم يلزمه[2] حكم دارنا ، وكذلك لو ارتد ثم غصب ثم لحق بالدار ثم لحقه[3] صاحبه فرده عليه ثم غصبه[4] ثانياً فهو للغاصب ، لأنه لما رده عليه زال الضمان ، والغصب الثاني لم يوجب ضماناً .

فصل

٣٩٨ ـ اذا اشترى المستأمن من أرض الخراج وجب عليه الخراج[5] ، وصار ذمياً

ولو مر على العاشر بمال فأخذ[6] منه العشر لم يصر ذمياً .

والفرق أن الخراج انما هو من الحقوق التي تجب على أهل الذمة ، فصار الحكم بوجوبه عليه حكماً بكونه من أهل الذمة ، وصار ملتزماً حكم الذمة فالزم[7] حكمه ، وصار ذمياً كما لو قبل الجزية .

والعشر لا يجب على أهل الذمة ، لأن الذمي يؤخذ منه نصف العشر [8]ومن الحربي يؤخذ[8] العشر كاملاً ، وان زادوا في الأخذ منا زدنا فلم [9]يكن بالتزامه[9] ملتزماً حكم الذمة ، فلم يصر ذمياً .

ولأن الخراج لا يجب في السنة الا مرة واحدة[10] ، والمستأمن لا يمكن من[11]

(١) في أ « وقبله »
(٢) في أ « ولم يكن من »
(٣) في ب « لحق »
(٤) في أ « غصب »
(٥) في ب « خراج »
(٦) في أ « واخذ »
(٧) في أ « فالتزم »
(٨) في ب « ويؤخذ من الحربي »
(٩) في ب « فلم يمكن بالزامه »
(١٠) ليست موجودة في ب
(١١) في ب « في »

دارنا سنة كاملة فاذا التزم[1] اداء الخراج وأداه فقد التزم المقام سنة كاملة ، فصار ذمياً .

وأما عشر المال لا يعتبر فيه الحول ، فلم يكن بالتزامه ملتزماً المكث في دار الاسلام سنة ، واذا لم يجر عليه حكم المكث في دارنا سنة لم يصر ذمياً .

٣٩٩ ـ اذا اشترى جارية من أهل[2] الحرب ، قد كان المشركون اصابوها من مسلم فولدت ، فقتل الولد وأخذ[3] المشتري ارشه[4] لم يكن لصاحبها[5] أن يأخذ الارش ، ولكن يأخذ الأم بجميع الثمن .

وبمثله لو اشترى جارية فولدت قبل القبض ، فقتل الولد وأخذ البائع ارشه ، أو قتله البائع فللمشتري أن يأخذ الأم بحصتها[6] .

والفرق أن حق المولى لا يثبت في بدل الأم ، ولا[7] في بدل الولد ، بدليل انها لو انتقلا الى البدل بأن قتلا لم يكن للمولى على القيمة سبيل ، فلو قسمنا الثمن بينهما لجعلنا له حقاً في البدل ، وهذا لا يجوز ، فصار كأن الولد لم يكن[8] ، فيأخذ[9] الأم بجميع الثمن .

وليس كذلك ولد المبيع ، لأن حق المشتري ثبت[10] في البدل ، بدليل أن الأم لو انتقلت الى البدل بقتل[11] أو غصب ثبت[12] حقه فيه[13] ، فصار كأن الولد باق [14]لحاله[14] فقتل كان له حصة ، [15]كذلك هذا جاز ان يقسم عليه[15] .

(١) في ب « الزم »
(٢) ليست موجودة في ب
(٣) في ب « فاخذ »
(٤) في ب « ارشها »
(٥) في أ « لصاحبه »
(٦) في ب « بقيمتها » .
(٧) في ب « لا » ليست موجودة .
(٨) ليست موجودة في ب
(٩) في ب « فاخذ »
(١٠) في ب « يثبت »
(١١) في ب « يقبل »
(١٢) في ب « ثلث »
(١٣) ليست موجودة في ب
(١٤) في ب « بحالة وقسم »
(١٥) في ب « جاز أن يقسم عليه كذلك هذا » .